بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــامعـــة الإسلامـــيـة بغــــزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كـــليـــــــــــــــة الآداب

مــاجســتـــير تــــــــــاريخ



The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Literature

Master of History

مَظَاهِر الصَّلاح عِندَ النِساءِ المُسلِمَاتِ فِي الأَندَلُس

(١٣٨-٤٠٠هـ/٧٥٥-١٠٠٩م)

The Manifestations of Righteousness of Muslim Women in Andalusia (138-400 A.H. / 755-1009 A.D.)

إِعدَادُ البَاحِثَة

ياسمين عبدالله ذيب حمادة

إِشرَافُ

الأُستَاذ الدُكتور/

خالد يونس الخالدي

قُدمَت هَذه الرسالة اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي التاريخ بِكُليةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلاميةِ بِغَزَةَ

جُمادى الآخرة/١٤٣٩هـ- مَارس/٢٠١٨م.

إقــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

مَظَاهِر الصَّلاح عِندَ النِساءِ المُسلِمَاتِ فِي الأَندَلُس

(١٣٨-٤٠٠هـ/٧٥٥-١٠٠٩م)

The Manifestations of Righteousness of Muslim Women in Andalusia (138-400 A.H. / 755-1009 A.D.)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	ياسمين عبد الله ذيب حمادة	اسم الطالبة:
Signature:	ياسمين عبد الله ذيب حمادة	التوقيع:
Date:		التاريخ:

نتيجة الحكم

الجامعة الإسلامية-غزة

The Islamic University of Gaza



عمادة البحث العلمي والدراسات العليا — هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2018/04/07م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **ياسمين عبدالله ذيب حمادة** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ قسم **التاريخ** وموضوعها:

مظاهر الصلاح عند النساء المسلمات في الأندلس (138-400هـ/755-1009م)

Manifestations of Goodness for the Muslim Women in Andalusia (138-400 AH \ 755-1009 AD)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **السبت 21 رجب 1439**هـ الموافق **2018/04/07**م الساعة **الواحدة مساءً**، في قاعة مبنى **اللحيدان** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. خالد يونس الخالدي	مشرفاً ورئيساً	....
د. غسان محمود وشاح	مناقشاً داخلياً	....
د. يوسف ابراهيم الزاملي	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية الآداب/قسم التاريخ.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

ملخص الدراسة باللغة العربية

هدف الدراسة:

توضح الدراسة مظاهر الصّلاح عند النساء المسلمات في الأندلس.

أهمية الدراسة:

رَكزت الدِراسة على صلاح المرأة الأندلسية وعاداتها وتقاليدها ودورها السياسي، وبينت إيمانها وعبادتها وتقواها واستقامتها وإحسانها وزهدها وحكمتها وأخلاقها ودورها في قيام الحضارة الأندلسية المتميزة.

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي.

تقسيم الدراسة:

قُسمت الدراسة الى مُقدمة وأَربعة فُصول هي: الفصل الأول: عوامل صَلاح النساء الُمسلمات في الأندلس، الفصل الثاني: مظاهر الصلاح الديني عند النساء المسلمات في الأندلس، الفصل الثالث: مظاهر الصلاح الأخلاقي عند النساء المسلمات في الأندلس، الفصل الرابع: أثر صلاح النساء المسلمات في الأندلس على الدولة والمجتمع.

نتائج الدراسة:

كانت نِساء الأندلس المسلمات بوجه عام مؤمنات، صالحات، مُتعلمات، زاهدات، مربيات، ملتزمات، أولين بيوتهن وأزواجهن وأبنائهن رعاية كبيرة، كما شاركن في الحياة السياسية وأثّرن فيها.

توصيات الدراسة:

- ضَرُورة الإقدَام على دِراسَة صَلاح نِسَاء الأندلس مُنذُ سنة(٤٠٠-٨٩٧هـ)/(١٠٠٩-١٤٩٢م)، وفي المصادر مايكفي لإنجاز هذا البحث.
- لابدّ من كِتابة البُحوث والأَوراق والمَقالات حَول شَخَصيات نِسائِية أَندَلُسِية صَالِحة، لإظهَار حَقيقَة المرأة الأندَلُسية المُسلِمة التي غَلبَ عليها الصّلاح، والرد على المُغرِضِين الذين صَورُوهَا مَاجِنة عَابِثَة.

Abstract

Objectives of the study:

The study shows the manifestations of righteousness of Muslim women in Andalusia.

Importance of studying:

The study focuses on the virtues of Andalusian women, their customs, their traditions and their political role. It also exhibits their faith, worship, piety, righteousness, charity, asceticism, wisdom, morals and role in the development of the Andalusian civilization.

Research methodology:

The researcher used the historical analytical approach.

Sections of the study:

The study is divided into four chapters: first chapter explains the factors of Muslim women's righteousness in Andalusia, chapter two reflects the manifestations of religious goodness of Muslim women in Andalusia, chapter three illustrates the manifestations of moral goodness of Muslim women in Andalusia, and chapter four explains the impact of Andalusian women on the development of the state and society.

The most important findings of the study:

Andalusian women were generally educated, good worshipers and pious scholars. This indicates the strength of faith and the integrity of creed among Muslim women in Andalusia.

The most important recommendations of the study:

• It is necessary to study the virtues of Andalusian women from the year (400-897 A.H) / (1009-492 A.D.), since there are sufficient sources to complete this research.

• Research papers and articles relevant to the righteousness of Andalusian women's personalities must be written to show the truth of the Andalusian Muslim woman to respond to the misconceptions that portray them as frivolous and impudent.

.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَات وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[الأحزاب: ٣٥]

الإهـداء

❖ إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولايطيب النهار إلى بطاعتك...ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك...ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك...**الله جل جلاله**.

❖ إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة...ونصح الأمة...إلى نبي الرحمة ونور العالمين... **سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم**.

❖ عيناكَ تحرسني حيثما أكون في الغربة... إليكَ وأنتَ المتفاني، المضحي، المعطاء... إليكَ وأنتَ البحرُ يفيض بالخير والبركة...**أبي الحبيب**.

❖ حين تغرق الذاكرة في بحر النسيان...وحينما يعود المرء كما ولد نقياً طاهراً... تبقين كحمامة بيضاء ترشدني إلى السلام ...إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي لحبك وعطائك أقدم شيئًا يسيراً يا أغلى الأحبة... **أمي الحبيبة**.

❖ إلى بيادر الأمل ومرافئ الود...إلى من هم في عيني ملوكاً وسلاطين...إلى القلوب المخلصة التي جمعني بها دفء الحب والتضحية إخواني وأخواتي...(**خالد، محمد، نعيم، منى، ايمان، سحر**).

❖ إلى من جعلني فتاة مدللة...رجل لامثيل له...هو مصدر ثقتي...وكل شيء في حياتي...إلى الحبيب الغالي...زوجي المثالي **أبو يزن (د.عدنان البرش)**.

❖ إلى أملي في الحياة...إلى فيض حناني...أبنائي الأعزاء(**يزن، يامن، تميم، إيلين**).

❖ إلى كل من عجز القلم عن كتابة أسمائهم فأَدخلتَهم قلبي بكل افتخار...

❖ إلى الأغلى والأحلى...إلى دُرّةِ الوجود...ونبراس العزّة والصمود...**فلسطين الحبيبة**.

إليهم جميعًا... أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي له الأمر من قبل ومن بعد على ما أنعم عليّ من إتمامٍ لهذه الدراسة حمدًا كثيرًا وسع السموات والأرض، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين، القائل : "لا يشكر الله من لا يشكر الناس " وبعد...

إنّه ليُسعدني أنْ أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى الجامعة الإسلامية بغزة، التي فتحت ذارعيها لتحتضن كل الظامئين للعلم والمعرفة.

كما ليُشرفني كل الشرف أنْ أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي المُشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور: خالد الخالدي، الذي لم يألُ جهدًا، ولم يضن على هذه الدراسة بقراءتِه الواعية، ونصائحه السديدة، وخبرته العميقة لتخرج على هذا النحو.

وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل إلى عضوي لجنة المناقشة أستاذيّ الكريمين:

الدكتور الفاضل/ غسان محمود وشاح حفظه الله.

الدكتور الفاضل/ يوسف إبراهيم الزاملي حفظه الله.

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإبداء التوجيهات الرشيدة، والملاحظات القيمة السديدة لتخرج في أبهى حلة قشيبة.

والشكر موصول إلى كل أساتِذتي في الجامعة الإسلامية بغزة الذين أفاضوا على طلاب العلم بعلمهم، وحفظهم الله وداموا مُعينًا دفاقًا للعلم والمعرفة.

وأخيرًا عظيم الشكر والامتنان إلى كل من أسهم، أو مد يد العون لمساعدتي على إتمام هذه الدراسة، جزاهم الله عني خير الجزاء.

الباحثة/ ياسمين عبدالله حمادة

قائمة المحتويات:

جدول الإختصارات

اعتمَدت الدِارسة على مَجمُوعة من الرِمُوز وهي كما يلي:

الرمز	الدلالة
ص	صفحة
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
ط	طبعة
(د.ت)	بدون تاريخ
ت	توفي
ع	العدد
(د.ط)	بدون طبعة
(د.م)	بدون مكان

بِسمِ اللهِ الّرحمَنِ الرحِيم

المُقدِمة

الحَمدُ الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أَقام المُسلمون فِي الأندَلس حَضَارة عَظِيمة، جَمعَت بَين التمَيز المادي الذي يُوفر للإنسَان السّعادة في الدُنيا، وبين التميز الرُوحي الإيماني القيّم الذي يَنسجم مع فِطرة الإنسان، وحَاجته إلى علِاقة حَسنة بِخالقه، وخَالق الكون كله، ويضمن له السّعادة الباقية في الحياة الآخرة.

وقد قامت هذه الحضارة العظيمة على أَيدي الصُلحاء في المُجتمع الأندلسي، الصُلحاء في إيمانهم وأخلاقهم وعُقولهم ونُفوسهم وطِباعهم ومُعاملاتهم وأعمالهم وعِلمهم، ومن المُؤكد أن هؤلاء الصُلحاء لَيسوا مِن الرجَال وحدَهم، بل معهم الصّالحات من النِساء، فالنِساء نِصف المُجتمع، ولا يُمكن أن تَقُوم حَضارة على نِصف المُجتمع، دون أنْ يكون هناك أثرٌ لِنِصفه الآخر، فالرِجَال والنِسَاء جَناحَا أيّ حَضَارة، ولا يُعقل أنْ يَطِير طَائر بِجَناح واحد فقط، فالمَرأة هي الأُم التي رَبّت وأَحسَنت، وهِي الزَوجة التِي وَاست وأَنجبَت، وهِي الأُخت التي دَعت وأَخلَصت، وهي البِنت التِي أَحَبت وبَرّت، وهي الجدة التي نَصحَت وحَرضت، فهؤلاء هنّ النساء اللائِي خرج من أَحضَانِهنّ، ومن بين أَيدِيهنّ، ومن بِيوتِهنّ الأُمرَاء والعُلماء والحُكماء والقَادة المُبدِعُون والجِنُود النُجَباء.

وقد شَاركت المرأة في كُل جَوانب الخَير التي قَامت عليها الحَضارة الأَندلسية، فمِنهُنّ المُتميزات، ومِنهُنّ الشّاعرات المَجيدات، ومِنهُنّ المحسنات المُتصدِقات، ومِنهُنّ الحَكِيمات النّاصِحات، ومِنهُنّ العابدات القانتات، ومِنهُنّ المؤمنات الزاهدات، ومِنهُنّ القَاضِيات العَادِلات، ومنهُنّ المعلمات الفاضلات، ومِنهُنّ المستشارات المؤتمنات، ومِنهُنّ الطبِيبات والمُهندِسات.

أهمية الدِراسة:

أسبابٌ عِدة، دفعتني لدِراسة هذا الموضوع المهم والبحث فيه، وأَهم هذهِ الأسباب:

١- نُدرة الدراسات العِلمية الجادّة التي تناولت هذا الموضوع بالرغم من أهميته
٢- رَكزت الدراسات المُتعلقة بالمرأة الأندلسية على عاداتها وتقاليدها، وترفها، وتعليمها ودورها السياسي، لكنها لم تنتبه لإبراز صلاحها، ولم تركز على إيمانها، وعباداتها وتقواها، وإحسانها، وزهدها، وحكمتها، وأخلاقها، والتزامها، ودورها في قيام الحضارة الأندلسية المتميزة.
٣- إظهار الصُورة الحقِيقية المُشرقة للنِساء الأندَلُسِيات بِتَسليِط الضَوء على صلاحهن واستقامتهن، والرد على الذين رسموا للنساء الأندلسيات صورة يغلب عليها المجون والترف والعبث والانحراف والكيد والتآمر والغيرة.
٤- إبراز جوانب الصلاح عند نساء الأندلس اللائي أسهمن في بناء أعظم حضارة عرفتها الإنسانية في ذلك الزمان.
٥- تشجيع نِساء زَماننا على الاقتداء بِالصَالِحات اللائي كنَّ ركنًا أساسيًا في بناء حضارة الأندلس العظيمة.
٦- إقناع النساء المعاصرات في زماننا من خلال الدراسة أنَّه يمكن أنْ يكنَّ متحضرات، ومشاركات في صناعة حضارة عظيمة، وهنَّ مؤمنات عابدات صالحات قانتات ملتزمات بأخلاق الإسلام السامقة، مثلما فعلت نساء الأندلس الصالحات.
٧- حث نساء زماننا على الاقتداء بالمرأة الأندلسية المسلمة، التي جمعت بين التمدن والتحضر من جهة، والصلاح والاستقامة من جهة ثانية، لا الاقتداء بالمرأة الغربية التي أخذت بمظاهر التمدن لكنها انحطت في مجال الروح والقيم والأخلاق.

حدود الدراسة:

الحد الزماني: (١٣٨-٤٠٠هـ/٧٥٥-١٠٠٩م).

الحد المكاني: الأرض الإسلامية التي حكمها المسلمون في الأندلس.

منهج الدراسة :

منهج البحث التاريخي التحليلي.

تقسيمات الدراسة:

قُسمت الدراسة الى مُقدمة وأَربعة فُصول كالتالي:

الـفصـل الأول: عوامل صَلاح النساء المُسلمات في الأندلس

المبحث الأول: العامل الديني.

المبحث الثاني: الاقتداء بسير الصالحين والصالحات.

المبحث الثالث: العيش في بيئة أُسرية مجتمعية صالحة محافظة.

المبحث الرابع: التأثر بالنظام التربوي التعليمي السائد في الأندلس.

المبحث الخامس: إقامة الأحكام الشرعية في الأندلس.

الفـــــصل الثـــــاني: مظاهر الصلاح الديني عند النساء المسلمات في الأندلس

المبحث الأول: قوة الإيمان وسلامة العقيدة عند النساء المسلمات في الأندلس.

المبحث الثاني: العبادة عند النساء المسلمات في الأندلس.

المبحث الثالث: تقوى والتزام النساء المسلمات بأحكام الشرع في الأندلس.

المبحث الرابع: صدقات وأوقاف النساء المسلمات في الأندلس.

الـفـصـل الـثالـث: مظاهر الصلاح الأخلاقي عند النساء المسلمات في الأندلس

المبحث الأول: العفة والحياء والأمانة.

المبحث الثاني: الكرم والصدق والمروءة.

المبحث الثالث: رعاية الزوج والأبناء.

المبحث الرابع: النظافة.

المبحث الخامس: الاهتمام بطلب العلم.

الفصـل الرابـع: أثر صلاح النساء المسلمات في الأندلس على الدولة والمجتمع

المبحث الأول: تربية الأبناء الصالحين.

المبحث الثاني: حث الأبناء والأزواج والحُكام على الجهاد.

المبحث الثالث: التأثير السياسي الإيجابي على أُمراء الأندلس.

المبحث الرابع: إتحاف الأدب الأندلسي بروائع القصائد.

الخاتمة: فيها نتائج الدراسة والتوصيات.

صُعُوبات الدِرَاسة:

واجهت الدّارسة صُعوبات عدة، منها قِلّة وتناثر المعلومات التي تتكلم عن المرأة، من حيث شؤون النساء وأحوالهّن، فرغم مستوى الحرية العالي الذي كانت المرأة تتمتّع به في الأندلس، فإنَّ المجتمع الأندلسَّي يبقى مجتمعًا إسلاّميًا محافظًا، ولو من حيث الّشكل، فذكر أسماء النساء كان قليلاً جّداً، إذ كانت المرأة تُكّنى باسم أبيها، أو تُلحُق باسم زوجها، أو باسم أخيها، وقد حدَّث ابن حزم في كتابه(طوق الحمامة) عن الكثير من النساء، إلا أنه كان في معظم الأحيان يكتفي بقوله: بلغني أن امرأة، أو حَّدثني فلاٌن عن جارية، دون ذكر أسماء أولئك النساء، ولم تكن المعلومات موجودة في بعض المصادر بشكل مباشر بل كانت مبعثرة، أو على شكل إشارات عابرة، استدعت جهداً إضافياً في التحري والبحث للإفادة من الروايات واستنباط المعلومات منها، أيضاً من الصعوبات التي واجعت الباحثة اغلاق معبر رفح البري الوحيد لقطاع غزة المحاصر، فلو ذهبتُ إلى (أسبانيا) اليوم أي(الأندلس) سابقاً، لعثرتُ على معلومات جديدة من خلال المكتبات، ودور العلم، والمؤلفات، والرسائل، ومراكز البحوث وغيرها الكثير، ومن الصعوبات أيضاً انقطاع التيار الكهربائي على قطاع غزة بفعل حصار الإحتلال الصهيوني لها.

وماهذه الدراسة إلا محاولة من الباحثة لبيان مَظَاهر الصّلاح عند المرأة الأندلسية، راجيةً أنْ تكون قد وُفِقت في تحقيق هدفها وهو تسليط الضوء على عنصر رئيسٍ من عناصر المجتمع، كان له أكبر الأثر في جميع نواحي الحياة الأندلسية.

الدراسات السابقة :

من الدراسات السابقة الحديثة التي أفادتني في البحث:

عباس، فايزة.(١٩٨٩م):

١- دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية(٩٢-٤٢٢هـ)، العراق، جامعة الموصل.

شافع، راوية عبد الحميد.(٢٠٠٦م):

٢- المرأة في المجتمع الأندلسي(من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة)، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

عوض الله، رحاب. (د.ت):

٣- دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي في الأندلس مابين(١٣٨-٤٨٤هـ)، سوريا: جامعة دمشق.

تحدثت الدراسات السابقة عن دور المرأة الأندلسية السياسي والاجتماعي والثقافي، لكنها لم تركز على جانب الصلاح في المرأة الأندلسية المسلمة.

تحليل المصادر والمراجع:

اعتمدت الدارسة على جُملة من المصادر الأندلسية، وقد اقتصر الحديث عن أهم المصادر التي أفادت منها الدارسة مع مراعاة ترتيبها الزمني، وفيما يلي عرض موجز لأهم المصادر والمراجع التي استخدمت في البحث:

١. كتاب: **(تاريخ افتتاح الأندلس)** لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية(ت:٣٦٧هـ/٩٧٧م)، ورد في هذا الكتاب إشارات إلى دور المرأة من الفتح الإسلامي إلى أواخر إمارة الأمير عبد الله بن محمد(٢٩٩هـ/٩١٢م)، ولا سيما في الجانب السياسي من خلال تدخلها بولاية العهد، إضافة إلى إلقاء الضوء على مكانتها الاجتماعية.
٢. كتاب: **(تاريخ علماء الأندلس)** لعبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي(ت:٤٠٣هـ/١٠١٢م)، والكتاب يقع في جزئين، وهو عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس وأخبارهم وآثارهم حتّى عصره، وأفادت منه الباحثة عند الحديث عن مهنة التعليم وممارستها من قِبل بعض نساء الأندلس، فقد أورد أسماء بعض نساء مارَسْنَ هذه المهنة مثل فخر(ت:٣١٧هـ/٩٢٩م).
٣. كتاب: **(المقتبس من أنباء أهل الأندلس)** لابن حيان أبي مروان حيان بن خلف (ت:٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، وهو من أعظم مؤرخي الأندلس، ويُعَدُّ كتابه "المقتبس" من أهم

المصادر الأندلسية التي أفادت منها الباحثة، فقد أفاد البحث من الجزء الذي قام بتحقيقه الدكتور محمود مكي، والذي يتناول إمارة عبد الرحمن الأوسط(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٢١-٨٥٢م)، ومعظم إمارة ابنه محمد(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٨٦م)، حيث يشير ابن حيان إلى دور النساء في الحياة السياسية ومنها مسألة ولاية العهد، كما أشار إلى بعض المهن النسائية، كما أفادت الدارسة من الجزء الذي يتناول فترة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢- ٩٦١م)، وقد نشرها شالميتا سنة (١٩٧٩م) بالتعاون مع المعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد، ويبدأ كتابه بالحديث عن النساء والعلاقات السائدة بينهن داخل القصور، وسعي العديد منهن لكسب رضا الخليفة، إضافة إلى الحديث عن دور بعضهن في الجانب السياسي، وتناول الكتاب في بعض صفحاته الجواري وعلاقاتهن بالخليفة، ووصف بعض أدوات زينتهن وحُليهن.

٤. كتاب: **(الأحكام الكبرى)** للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي(ت:٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، الذي تطرق فيه لكثير من القضايا الاجتماعية التي تهُّم المرأة.

٥. كتاب: **(جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)** لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي(ت:٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، الكتاب عبارة عن معجم يحتوي معلومات حول أبرز الشخصيات الأندلسية، وقد بدأ كتابه بمقدمة عن الفتح الإسلامي للأندلس، ثم عن ولاة الأندلس وأمارائها، ابتداءً من عبد الرحمن بن معاوية الداخل حتّى منتصف القرن الخامس الهجري، وأشار إلى أسماء أمهاتهم، كما يحتوي الكتاب معلومات مهمة عن الحياة الثقافية والاجتماعية للمرأة الأندلسية، إذ ترجم المؤلف في نهاية كتابه لمجموعة من النساء الأندلسيات.

٦. كتاب: **(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)** لأبي حسن علي بن بسام الشنتريني(ت:٥٤٢هـ/١١٤٧م)، وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية، ويحتوي أربعة أقسام حسب التقسيمات الجغرافية للأندلس، وكل قسم منها يتحدث عن تاريخه وأمارائه وشعارائه، وقدَّم هذا الكتاب معلومات مهمة حول الحياة الاجتماعية لنساء الطبقة المترفة وجواريهن، إضافة إلى وصف الحلي وأدوات الزينة التي كانت

تتزين بها النساء، والملابس التي كان قد شاع لبسُها في ذلك الوقت بين نساء الأندلس، وتم استخلاصها من الأشعار التي وصفت المرأة.

٧. كتاب: **(الصلة)** لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال(ت:٥٧٨هـ/١١٨٢م) والكتاب عبارة عن تراجم لمجموعة من علماء الأندلس، وقد رتبه على حروف المعجم، وأورد في نهاية كتابه صفحات عديدة تناول فيها النساء الأديبات، والعالمات، وكان لمعلوماته التي أوردها الأثر الكبير في التعرف إلى دور المرأة الثقافي في الأندلس.

٨. كتاب: **(بغية الملتمس في تاريخ علماء الأندلس)** لأحمد الضبي(ت:٥٩٨هـ/١٢٠١م)، والكتاب يحتوي تراجم لولاة الأندلس وأمارائها، مع ذكر أسماء أمهاتهم، إضافة إلى تراجم لمشاهير الرجال في الأندلس، وتراجم لنساء أندلسيات، وقد أفادت الباحثة من بعض المعلومات حول الإسهامات الثقافية للمرأة الأندلسية.

٩. كتاب: **(معجم البلدان)** لياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، وكتابه عبارة عن معجم في الجغرافية رتّبه على حروف المعجم، وأفادت منه الدارسة في تحديد المواقع والأماكن.

١٠. كتاب: **(الُحلّة السيراء)** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار(ت:٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، وهو كتاب تناول تراجم للأمراء والأعيان الذين تركوا شعراً أو نثراً، وفيه الكثير من شعر الوزارء والُكتّاب والعلماء من الفتح العربي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، أفادت الدارسة منه في الجوانب الاجتماعية والأدبية.

١١. كتاب: **(التكملة لكتاب الصلة)** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار(ت:٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، ولكتابه هذا أهمية كبيرة بالنسبة للدارسة، ولا سيّما القسم الخاص بأعلام النساء في الأندلس، وتضمن الكتاب معلومات تتعلق بالمرأة الأندلسية من جوانب عدة، واشتمل الكتاب على ترجمة لست وخمسين امرأة، تحدَّث فيها عن الأدوار التي أسهمت فيها المرأة في مختلف المجالات، ولابن الأبار مؤلفات عدة أفادت منها الدارسة.

١٢. كتاب: **(الْمغرب في حُلى المغرب)** لبني سعيد، فقد اشترك عدد من أفراد هذه الأسرة في تأليف الكتاب، وآخرهم علي بن موسى بن سعيد

(ت:٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، أفاد هذا الكتاب الدارسة بما احتواه من معلومات متنوعة حول الجوانب الأدبية والفكرية المتعلقة بالمرأة في المجتمع الأندلسي، إضافةً لِما له من أهمية في ذكر النواحي الاجتماعية ومكانة المرأة في المجتمع الأندلسي، والزواج المختلط، ومساهمات نساء القصر بالأعمال الخيرية.

١٣. كتاب: **(البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)** لأحمد بن محمد بن عذاري المراكشي(ت:٧١٢هـ/١٣١٢م)، وهو من المصادر التاريخية المهمة، ويُعدُّ تاريخاً عّاماً للمغرب والأندلس من الفتح الإسلامي للأندلس حتى منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد اتّبعَ أسلوب ترتيب الأحداث على أساس السنين، وتكمن أهمية هذا الكتاب بما أورده من معلومات حول تدخل النساء في الجانب السياسي، وأظهر دور بعضهن في تدبير المؤامرات، كما أفاد الدارسة في الناحية الاجتماعية.

١٤. كتاب: **(نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)** لمؤلّفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشهيربالمقري نسبة إلى مقره(ت:١٠٤١هـ/١٦٣١ م)، وكتابه ذو قيمةُ، إذ يُعدُّ مصدراً أساسياً لكل باحث في تاريخ المغرب والأندلس، فهو عبارة عن موسوعة ضخمة عن الأندلس، وقد أفرد في صفحاته تراجم لنساء أديبات عالمات، وأفادت الدارسة من الكتاب في فصول البحث جميعها الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

١٥. **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة.**

١٦. **رسالة ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب.**

١٧. **رسالة الجرسيفي في الحسبة.**

وهذه ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، قام على دارستها وتحقيقها ليفي بروفنسال، وكانت هذه الرسائل مهمة للبحث، فقد زَّودته بمعلومات حول دور المرأة الاجتماعي من حيث مشاركتها في الاحتفالات والمآتم والولائم، وخروجها للتنزه في الأعياد، وبعض المهن التي مارستها المرأة الأندلسية، إضافة إلى الحقوق التيُ منحت

لها من حيث الصِداق، وحضانة الأولاد، ورفض أو قبول الطلاق والزواج لما لها من دور في معرفة الحقوق والنظافة.

١٨. كتاب:**(دولة الإسلام في الأندلس)** لمحمد عبد الله عنان، واحتوى هذا الكتاب على معلومات أفادت الدارسة في فصولها السياسية والاجتماعية والفكرية.

الفصل الأول

عوامل صلاح النساء المسلمات في الأندلس

المبحث الأول: العامل الديني

أولاً: تعريف الصَّلاح:

الصَّلاح لُغة:

الصّلاحُ ضِد الفساد[1]، والطَّلاح[2]، نقُول صَلَح يَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً، وجمعُهُ صُلَحَاء وصُلُوحُ[3]، وأَصلح الشيء بعد فَسَادِه أقَامه[4]، وأصلَحت الدابة أي أَحسنت اليها[5].

الصّلاح اصطِلاحاً:

الصّلاح جَامع لِكل خير، ولَه مَراتِب غير مُتناهية، ومَرتبة الكَمال فيهِ مَرتبة عُليا لِذا طَلَبها الأَنبِياء عليهم السلام[6]، كقول سليمان عليه السلام:﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾[7]، وقول يوسف عليه السلام:﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[8].

عَرف العُلماء الصّلاح بتَعريفات عِدَّة فقيل هو: " قيام الانسان بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد"[9]، وقيل: "هو استقامة الحال، وهو ما يفعله العبد لنفسه، ويكون بفضل الله لطفاً وتوفيقاً"[10]، وقيل أيضاً: "الصلاحُ هو سلوك طريق الهدى والاستقامة"[11]، وقال الألوسي: "الصّلاح هو الإتيان بما ينبغي والاحتراز عمّا لا ينبغي"[12].

من خلال النظر في هذه التعريفات، نجد أنها متقاربة، ويمكن الخروجُ بتعريف شامل للصّلاح وهو: "الاستِقامة على دِين الله، والسير على مَنهَجه لِسلوك طَريق الهُدى".

---

[1] الفارابي، الصحاح(ج١/٣٨٣).

[2] ابن عباد، المحيط(ص١٩٢).

[3] ابن منظور، لسان العرب(ج٢/٥١٦).

[4] الزبيدي، تاج العروس(ج٦/٥٤٨).

[5] ابن عباد، المحيط(ص١٩٢).

[6] الألوسي، روح المعاني(ج٢٠/١٣٩).

[7] [النمل:١٩].

[8] [يوسف:١٠١].

[9] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص٧٨٤).

[10] العسكري، معجم الفروق اللغوية(ص٣١٧).

[11] الناصري، التيسير في أحاديث التفسير(ج٣/١٤١).

[12] روح المعاني(ج٧/ ٢١٤).

ثانياً: دعوة القرآن الكريم النِساء المُسلمات إلى الصّلاح:

دعا القرآن الكريم النساء المسلمات إلى الصلاح والاستقامة على منهج الله عزّ وجلّ القويم، وأخلاق الدين الفاضلة، كحُسن الإسلام، وقوة الإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، والعفاف، وذكر الله؛ للفوز بجنات النّعيم، فقال تعالى:﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[١].

وبيّن سبحانه وتعالى صِفات النساء الصالحات، لتتخلق بها المرأة المسلمة في موضع آخر من كتابه العزيز، حيث قال تعالى: ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**﴾[٢].

كما دعا سُبحانه وتعالى النساء إلى أنْ يكنّ صالحات في سلوكهن ومظهرهنّ، فلا يُعرِضن أنفسهن للفتنة ولا يعرضن الرجال للافتتان بهن، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [٣].

كما دعاهنّ الله إلى حُسن التصرف عند التعامل مع الرجال، فلا يَخضَعن بالقول فيَطمَع في الاعتداء عليهن أَصحاب القُلوب المَريضة، فقال سبحانه: ﴿**يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ**

---

[١] [الأحزاب:٣٥] .

[٢] [التحريم:٥].

[٣] [النور: ٣١].

النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[١]، ودعاهنّ إلى الالتزام الكامل بأوامر الله تعالى ورسوله، وتجنب ما يغضبهما، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[٢].

ودعاهنّ سُبحانه وتعالى إلى مُوالاة المؤمنين وإلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣]، ودعاهن إلى الاقتناع بأنّ القوامة في البيت للرجل، وإلى ضرورة حفظ نفسها وعرضها وبيتها وشرفها، وبيّن لهنّ أنّ مَنْ تفعل ذلك تكون من الصالحات، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[٤].

ولكي يُرغِب الله سبحانه وتعالى المرأة المُسلمة بالصّلاح والاستقامة؛ وعدَها بالجنّة مِثلما وعد المؤمنين، فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥].

لقيت المرأة من التشريع الإسلامي عناية فائقة، كفيلة بأنْ تصون عِفتها، وتجعلها عزيزة الجانب، سامية المكانة، وبالتالي الفوز بالجنّة لِطاعتها ما أمرها الله ورسوله، وإنّ القيود التي فُرِضَتْ عليها في ملبسها، وزينتها لم تكن إلا لسد ذريعة الفساد الذي ينتج عن التبرج والزينة، وسنتبين من خلال الدِراسة أن المرأة الأنلسية التزمت وتمسكت بما جاء به التشريع الإسلامي من أحكام وقوانين حافظت على المرأة.

---

[١] [الأحزاب:٣٣].

[٢] [الأحزاب:٣٦].

[٣] [التوبة:٧١].

[٤] [النساء:٣٤].

[٥] [التوبة:٧٢].

ثالثاً: الأحاديث النبوية الداعية إلى صلاح النساء:

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء إلى الصّلاح والاستقامة، وخصّ النساء في كثيرٍ س لوعظهن، "**جَاءَتِ امْرَأَةٌ إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ**"[١].

وها هو صلى الله عليه وسلم يُرغّب النساء بالصدقة، والاستغفار، وحُسن معاملة زوجها فيقول: " **يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرِ**"[٢]، ويقول صلى الله عليه وسلم: " **وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ**"[٣].

وها هو يدعو ابنته فاطمة، وزوجها علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهي دعوة موجهه إلى غيرها من المسلمات والمسلمين، يدعوهما إلى كثرة الذكر والتسبيح، فيقول عليه الصلاة والسلام: "**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**"[٤]، لاشكّ أَنَّ ذكر الله وتسبيحه يزيد الإيمان، ويدفع إلى الصّلاح والاستقامة، ومن المؤكد أنّ هذا الحديث قَدْ وصل إلى مسلمات الأندلس، ودفعهنّ إلى الذكر والتسبيح، وأسهم في صلاحهنّ.

كما رَهب النبي صلى الله عليه وسلم النساء اللاتي يلبسن الثياب الخفيفة والشفافة التي لا تستر، وبيّنَ أنهنّ كاسيات، لكنّهنّ في الحقيقة عاريات ومائلات عن العفة والاستقامة إلى الفساد والزنا، مميلات لغيرهن من النساء، يدعوهن إلى الانحراف عن شرع الله، ويدفعن إلى الفاحشة من خلال لباسهنّ، وحرمهُنَ من دخول الجنة[٥]، فقال: "**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رؤوسهن كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ**"[٦]، وهذا دليل على وجوب ستر المرأة لجسدها، ولبس اللباس الساتر.

---

[١] [البخاري، صحيح البخاري(ج٩/١٠١)، رقم الحديث:٧٣١٠].

[٢] [المصدر السابق(ج٢/١٢٠)، رقم الحديث:١٤٦٢].

[٣] [المصدر السابق(ج٧/٢٦)، رقم الحديث:٥١٨٨].

[٤] [المصدر نفسه(ج٧/٦٥)، رقم الحديث: ٥٣٦١].

[٥] البغوي، شرح السنة(ج١٠/٢٧٢).

[٦] [مسلم، صحيح مسلم(ج٣/١٦٨٠)، رقم الحديث: ٢١٢٨].

وأَرشد النبي النساء إلى إطالة ثيابهن، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: "**فَكَيْفَ يَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِينَهُ شِبْرًا، قُلْتُ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ؟ قَالَ: فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْه**"[1]، وهذا دليل على وجوب ستر المرأة لقدميها وسائر بدنها.

كما بَشَّر الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة الصالحة التي تحافظ على أداء الصلوات الخمس المفروضات، وتصوم رمضان، وتحصن فرجها عن الحرام، وتُطيع زوجها فيما ليس فيه معصية بدخول الجنة من أي باب شاءت، فقال صلى الله عليه وسلم: "**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خُمُسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**"[2]، كما عدّ النبي صلى الله عليه وسلم الصّلاح أفضل صفة في المرأة المسلمة، فقال: "**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**"[3]، وقال: "**تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**"[4]، وبيّن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خَيْرِ النِّسَاءِ قَالَ: "**الَّتِي تُطِيعُ إِذَا أَمَرَ، وَتَسُرُّ إِذَا نَظَرَ، وَتَحْفَظُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ**"[5]، ومن المُؤكد أنّ هذه الأحاديث قد وصلت إلى نساء الأندلس اللاتي انتشر بينهن العلم، فدفعهن إلى الصّلاح والاستقامة.

رابعاً: أقوال الصحابة الداعية إلى صلاح النساء:

نَقلت المصادر الإسلامية كثيراً من أقوال الصحابة الكرام الداعية إلى الصّلاح، ولا شكّ أنّ هذه الأقوال والوصايا قَد وصلت إلى نساء الأندلس ودفعتهن إلى الصّلاح والاستقامة، ومن هذه الأقوال، أنّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– سُئل: " ما حق الولد على أبيه؟ فقال أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن"[6]، ويحمل قوله دعوة المرأة إلى الصّلاح باعتباره أهم مؤهلات المرأة لاختيارها زوجة، وكتب عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى أبي عبيدة بن الجراح أنْ يمنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات[7]، وقول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "الخيرات ثلاث: إيمان بالله، وفقه في الدين، والزوجة الصالحة"[8]، وقول ابن عباس: "

---

[1] [الترمذي، سنن الترمذي(ج٣/٢٧٥)، رقم الحديث: ١٧٣١].

[2] ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(ج٩/٤٧١).

[3] [مسلم: صحيح مسلم(ج٢/١٠٩٠)، رقم الحديث: ١٤٦٧].

[4] [البخاري، صحيح البخاري(ج٧/٧)، رقم الحديث: ٥٠٩٠].

[5] [النسائي: السنن الكبرى(ج٣/٨٧)، رقم الحديث: ٨٩١٢]. وهو صحيح. ابن حزم، المحلى بالآثار(١٠/ ١٦٤).

[6] الشنتوت، تربية الأطفال(ص٢٠).

[7] ابن حيان، البحر المحيط(ج٨/ ٣٥).

[8] الشحود، الخلاصة(ص٣٥٠).

أمر الله النساء المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يُغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة"[١]، وقال: "الصالحات المُحسنات لأزواجهنّ، لأنهنّ إذا أحسنّ لأزواجهنّ فقد صلح حالهنّ معهم"[٢]، أيضاً قال: " ليس للمسلمة أنْ تتجرد بين نساء أهل الذمة، ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أنْ تكون أمة"[٣]، وقولُ عمار لعائشة –رضي الله عنها– عندما خرجت إلى معركة الجمل: "إنّ الله أمرك أنْ تَقَرِي في منزلك، فقالت: يا أبا اليقظان ما زلت قوالاً بالحق"[٤]، وقول أبي الدرداء لامرأة بها طلاقة لسان: "لو كُنت خرساء لكان خيراً لك"[٥]، وكان جعدة بن هبيرة[٦] إذا زوّج إحدى بناته خلا بها فنهاها عن سِيء الأخلاق وأمرها بأحسنها[٧].

خامساً: أقوال العلماء الداعية إلى صلاح النساء:

كثيرة هي أقوال العلماء والأئمة المحققين التي تدعو النساء إلى الصّلاح، ولا شكّ أنّها أسهمت في صلاح مسلمات الأندلس، اللائي كنّ يقرأنّ كتب العلماء، ويسألنّ في أمورهنّ الخاصة.

دعا علماء الأندلس المرأة المسلمة لستر وجهها خوفاً من الوقوع في الفتنة، فقال ابن خويز منداد[٨]: "أنّ المرأة إذا كانت جميلة وخِيْفَ من رؤية وجهها وكفيها الفتنة فعليها سترها، وإنْ كانت عجوزاً جاز أنْ تكشف وجهها"[٩]، ووصف ابن حزم المرأة الصالحة قائلاً: "هي التي إذا ضبطت انضبطت، وإذا قطعت عنها الذرائع أمسكت"[١٠]، وقال عبد الملك بن حبيب[١١]: "ولا

---

[١] الطبري، جامع البيان(ج٢٠/٣٢٤).
[٢] ابن حيان، البحر المحيط(ج٢٣/ ٣٢٤).
[٣] الرازي، مفاتيح الغيب(ج٢٣/٣٦٦).
[٤] القرطبي، تفسير القرطبي(ج١٤/١٧٩).
[٥] ابن حبيب، أدب النساء(ص١٣٩).
[٦] جعدة بن هبيرة: ابن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب ولاه علي بن أبي طالب على خرسان، الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج١/٣١٤).
[٧] أبي شيبة، المصنف(ج٣/٥٥٩).
[٨] ابن خويز منداد لم أجد له ترجمة في المصادر.
[٩] ابن حيان، البحر المحيط(ج٨/٣٤).
[١٠] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ص٢٧٠).
[١١] عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان :عالم الأندلس وفقيهها في عصره، أصله من طليطلة، من بني سُليم، أو من مواليهم، ولد في إلبيرة، وسكن قرطبة، وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة، كان عالماً بالتاريخ والأدب، رأساً في فقه المالكية، له تصانيف كثيرة، قيل: تزيد على ألف، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس(ج١/٣١٢).

يجوز للنساء اتباع الجنائز ولو كن غير نوائح، وينبغي للإمام أنْ يمنع من ذلك كله النساء، فإنّه بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في جنازةٍ فرأى فيها نساءً، فقال لهن: أتحملنه في مَنْ يحمل؟ قلن: لا!، قال: فتدخلنه في مَنْ يدخل؟، قلن: لا!، قال: فارجعن موزوراتٍ غير مأجوراتٍ!"[١]، وقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – يدل على أنِ اتباعهن الجنائز وِزْر لا أجر لهن، إذ لا مصلحة لهن ولا للميت في اتباعهن لها، بل فيه مفسدة للحي والميت[٢].

وقال ابن عبد الرؤوف المُحتسب: "ويمنع اختلاط النساء مع الرجال عند الصلاة، وفي الأعياد، وفي المحافل، ويفرق بينهم"[٣]، فاختلاط النساء مع الرجال في أي مكان، وأي زمان فيه مفسدة لهما وللمجتمع[٤]، وقال محمد بن سحنون[٥]: "وأكره للمعلم أنْ يعلم الجواري، ولا يختلطن مع الغلمان؛ لأنّ في ذلك فساداً لهن"[٦].

---

[١] ابن حبيب، أدب النساء(ص٢٣٨).

[٢] ابن القيم، تهذيب السنن(ج٤/٤٣٩).

[٣] ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب(ص٧٤).

[٤] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٥٣).

[٥] محمد بن سحنون تفقه على يد والده، وكان إماماً في الفقه، والرد على أهل الأهواء وجلس مجلس أبيه بعد موته، وكان غزير التأليف، ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج٢/٢٤١).

[٦] سحنون، آداب المعلمين(ص١١٦).

المبحث الثاني: الاقتداء بسير الصالحين والصالحات.

أولاً: الاقتداء بسيرة وصلاح الرسول صلى الله عليه وسلم:

من المؤكّد أنّ المرأة الأندلسية المسلمة تأثرت بالنبي صلى الله عليه وسلم، واقتدت به، وكيف لا تفعل، والله تعالى يخاطب المؤمنين والمؤمنات بالاقتداء به، فيقول: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[(١)]، وكيف لا تفعل، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[٣]، وقوله سُبحانه وتعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[(٤)].

فقد كانت المرأة الأندلسية خلوقةً مُحبة لِقيم الأخلاق الفاضلة تأثراً بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي وصفه ربه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[(٥)]، واقتداء به إذ " **سُئلَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، فقالت: كان خلقه القرآن**"[(٦)]، وكانت عابدة اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روت عائشة –رضي الله عنها–: " **أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟**"[(٧)]، وكأم الحسن أُخت القاضي المنذر بن سعيد البلوطي، فاضلة متعبدة في مسجد لها، لصق بيتها[(٨)].

---

(١) [الأحزاب: ٢١].

(٢) [المائدة:٩٢].

(٣) [الأحزاب:٧١].

(٤) [آل عمران: ١٣٢].

(٥) [القلم: ٤].

(٦) ابن حنبل، مسند الإمام(ج١٤٨/٤١).

(٧) [البخاري: صحيح البخاري(ج١٣٥/٦)، رقم الحديث: ٤٨٣٧].

(٨) انظر: ابن الأبار، التكملة(ج٢٤٥/٤).

وكانت المرأة الأندلسية زاهدة، كالزاهدة أم الْحسن بنت أبي لِوَاء سُلَيْمَان بْن أصبغ بْن عَبْد اللَّه بن وانسوس بن يَرْبُوع المكناسي، مولى سُلَيْمَان بْن عَبْد الْملك امْرَأَة صَالِحَة زاهدة[1]، وذلك اقتداء بزهد الرسول صلى الله عليه وسلم، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "**ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البُرِّ ثلاثَ ليالٍ تباعًا حتى قُبض**[2]"، وكانت متواضعة اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان متواضعاً، إذ يُروى أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**: "**هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَت تأكل القديد**"[3]، كمريم بنت أبي يعقوب الفصولي، كانت متواضعة تعلم النساء الأندلسيات الأدب[4].

وامتثالاً لتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم القائل: " **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**"[5]، وكانت كريمةً اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم، فالكرم كان من أهم صفات النبي، فكان يحرص على أداء الزكاة والصدقات دائماً، وحتى لو كان ما يتصدق به آخر ما لديه في منزله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: " كَانَ رَسُولُ الله أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"[6]، وكالسيدة مُرجان زوجة الخليفة عبد الرحمن الناصر[7]، التي اشتهرت بكُثرة الصدقات وأعمال البِر والإحسان، فقد قامت ببناء مسجد في قُرطبة بالربض الغربي، وأوقفت له مالًا للإنفاق على مصالحه، وأحواضه، وسَدَنته[8].

---

[1] المصدر السابق(ج٤/٢٤٤).

[2] [البخاري، صحيح البخاري(ج٧/٥٧)، رقم الحديث: ٥٤١٦].

[3] [ابن ماجة: سنن ابن ماجة(ج٤/٤٣٠)، حديث رقم: ٣٣١٢].

[4] انظر: الحميدي، جذوة المقتبس(ص٤١٢).

[5] [مسلم، صحيح مسلم(ج١/٩٣)، رقم الحديث: ١٤٧].

[6] [البخاري، صحيح البخاري(ج٤/١١٣)، رقم الحديث: ٣٢٢٠].

[7] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٦).

[8] انظر:ابن حيان، المقتبس(ج٥/ ١٣-١٤). وانظر: المقري، أزهار الرياض(ج٢/٢٩٥).

ومن المؤكد أنّ إيمان المرأة الأندلسية المُسلمة عندما قَرأت سِيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قد زاد، كما زادت محَبتُها للرسول صلى الله عليه وسلم واتخذته قدوةً صالحة لها، وعملت بأخلاقه.

ثانياً: الاقتداء بِسير الخُلفاء الراشدين:

تحَلى الخُلفاء الراشدون بأخلاق وصفات حميدة، تُصور ما غرسه الإسلام في نفوسهم من سلوك نبيل يجب أنْ يتمتع به المسلم، فهم مَشْهُودٌ لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالرَّشَادِ[١].

ومن المؤكد أنّ سِير الخُلفاء الراشدين قد وصلت إلى أهل الأندلس، وتأثّر بها رِجالهم ونِساؤهم، وتركت فيهم أثراً، فحسَّنت أخلاقهم، وزادت إيمانهم، وزكّت نفوسهم، وأصلحت سلوكهم، إذ كانوا يرون أنّهم مأجُورون باتباعهم لهم، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ من بعدي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"[٢].

ولابُدّ أنْ تكون النساء اللائي أقبلن على طلب العِلم قَد علِمن بإيمان أبي بكر الصديق، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " **لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِم**"[٣]، فزاد إيمانُهنّ، ولابُدّ أنَّهن قد علِمن بإقباله الشديد على العبادة والعمل الصالح، فأقبلن عليه، إذ يُروى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه: " **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَال: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**"[٤].

---

[١] الحنفي، بريقة محمودية(ج٤/١٠٨).

[٢] ابن حبان، الثقات(ج٢ /١٥١).

[٣] ابن حنبل، فضائل الصحابة(ج١/٤١٨).

[٤] [مسلم، صحيح مسلم(ج٢/٧١٢)، رقم الحديث: ١٠٢٨].

وقد أقبلت نساء الأندلس على الزهد عندما عَلِمْنّ بزهد وتقشف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في الحياة الدنيا، كالزاهدة أم الْحسن بنت أبي لِوَاء سُلَيْمَان بْن أصبغ بْن عَبْد اللَّه بن وانسوس بن يَرْبُوع المكناسي[١]، قال سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه فيه–: "**وَاللَّهِ مَا كَانَ عُمَرُ بِأَقْدَمِنَا هِجْرَةً، وَقَدْ عَرَفْتُ بِأَيِّ شَيْءٍ فَضَلَنَا، كَانَ أَزْهَدَنَا فِي الدُّنْيَا**"[٢].

وتسابقت نساء الأندلس بفعل الخيرات لسماعِهن بِتسابق عمر– رضي الله عنه – مع أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– في الصدقة كنساء عبد الرحمن الثاني اللائي تنافسن على أعمال البِر والتقوى، فكل واحدة منهن عملت من حِسابها الخاص على بناء جامع أو سبيل ماء يحمل اسمها أو مقبرة تحمل اسمها في قرطبة[٣].

ومن المُؤكد أنّ نساء الأندلس سَمِعن عن شِدة حَياء الخليفة الثالث عُثمان بن عَفان، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**أَشَدُّ أُمَّتِي حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ**"[٤]، كمريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، التي تميزت بعِفتها، وكانت تُعلم النِساء الأدب، وتَحتشِم لدينها[٥].

وقد سَمِعت نساء الأندلس عن فصاحة وبلاغة وتفقه رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، حيث كان منارةً للعلم، ومن علماء الصحابة[٦]، قال معاوية عند وفاة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "**ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب**"[٧]، فاقتدت به نساء الأندلس كعائشة بنت أحمد القرطبية، التي نافست أشد الرجال شُهرة في عصرِها بذكائِها، وبلاغتِها، وقد وهبت نفسها للدراسة والعلم[٨]، والفقيهة فاطمة بنت يحيى المغامي التي تفقهت بالدين[٩].

مما سبق يتبيّن أنّ الخلفاء الراشدين خير قدوة للمرأة الأندلسية في دِينها ودُنياها.

---

[١] المصدر السابق(ج٤/٢٤٤).
[٢] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٤٤/ ٢٧٨)، ابن الأثير، أسد الغابة(ج٤/١٣٧).
[٣] بروفنسال، حضارة العرب(ص٥٧).
[٤] الأصبهاني، حلية الأولياء(ص٥٦).
[٥] انظر: ابن بشكوال، الصلة(ج٣/٦٥٦).
[٦] ابن عساكر، تاريخ دمشق(ج٧٣/ ١٨١).
[٧] ابن عبد البر، الاستيعاب(ج٣/ ١١٠٨).
[٨] المقري، نفخ الطيب(ج٤/٢٩٠).
[٩] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٧).

ثالثاً: الاقتداء بِصَلاح أُمهات المؤمنين:

وقد صلت سِير أُمهات المُؤمنين إلى نساء الأندلس وتأثرن بها، فاندفعن نحو الصّلاح والاستقامة اقتداءً بهن، فلا شكّ أنهنّ أقبلن على تشجيع أزواجهن على الحق، ونصرنهم بما يملكن عندما قرأن عن موقف أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– التي ناصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية بعثته فقال فيها: " **لَقَدْ آمَنَتْ بِي حِينَ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَآوَتْنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتُمُوهُ مِنِّي**"[(١)].

ولا شكّ أنهنّ سيُقبلنّ على العِلم عندما يقرأن عن عِلم أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– التي كانت تُعلم الصحابة مما علّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال لها عروة بن الزبير: " **يَا أُمَّتَاهُ، لا أَعْجَبُ مِنْ فِقْهِكِ، أَقُولُ: زَوْجَةُ نَبِيِّ اللَّهِ، وَابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَلا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ: ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ أَوْ مَا هُو! قَالَ: فَضَرَبَتْ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَقَالَتْ: أَيْ عُرَيَّةُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسْقُمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ، أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَتَنْعَتُ لَهُ الأَنْعَاتَ، وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَهُ**"[(٢)]، وقول أبي موسى الأشعري: " **ما أشكَل علينا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثٌ قط، فسألنا عائشةَ إلا وجَدنا عندها منه عِلمًا**"[(٣)]، فنافست المرأة الأندلسية الرجل في طلب العلم، فقد طرقت أبواب الأدب والتَعْليم، والدِراسات الدِينية، والعُروض والكتابة[(٤)]، كأم الحسن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، التي كان لها رحلة، حيث حجّت وسمعت الفقه والحديث في مكة وتوفيت ودفنت فيها[(٥)].

وأقبلت نساء الأندلس على تعلُم الكتابة، عندما علِمنَ بطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين حفصة بنت الخطاب –رضي الله عنها– بتعلم الكتابة على يد الشفاء فقد قال

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١/٢٣٨).
(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان(ج٧/٤٠٧).
(٣) ابن الجوزي، المنتظم(ج٥/٣٠٣).
(٤) عباس، دور المرأة الأندلسية(ص١١).
(٥) المصدر السابق (ج٤/٢٤٤).

للشفاء: " **أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ**"[1]، فاشتهرت بالكتابة فاطمة بنت زكريا، التي كانت لها مقدرة في الكتابة بأسلوب رائع ومعبر، فكانت تكتب الكتب الطوال بطريقة جزلة[2].

ولا شكّ أنهنّ سارعنّ إلى التقوى والورع، عندما سمِعن بتقوى وورع أم المؤمنين زينب بنت جحش –رضي الله عنها–، كأخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي، خيرة فاضلة، تقية ورعة[3].

أيضاً لبست أمهات المؤمنين، والصَّحابيّات –رضوان الله عليهنّ جميعًا– الحجاب[4]، عندما أنزل الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[5]، فتأَسّت المرأة الأندلسية بأمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات بلبس الحجاب وإخفاء زينتها[6].

يتضح مما سبق أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان أُسوة حسنةً لنساء الأندلس في حُسن الخُلق، والعبادة والزهد، والتقوى، كما كان الخلفاء الراشدون –رضي الله عنهم– قدوةً حسنةً في الأعمال الصالحة، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، كما أنّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم كُنّ قدوة صالحة في العلم والتقوى والورع ولبس الحجاب وفي أعمال الخير، والبر، والإحسان.

---

[1] ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير (ج٢/٨٢).

[2] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٦).

[3]ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٣).

[4] انظر: أبو داوود، سنن ابو داوود(ج٦/١٩٨).

[5] [الأحزاب: ٥٩] .

[6] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ص٧٠).

المبحث الثالث: التأثُر بالنظام التعليمي التربوي السائِد في الأندلس

أولاً: السماح للنساء بالتعليم وأثره على الصلاح:

حَرص الإسلام على تعليم المرأة لتكون عنصر صلاح وإصلاح في المجتمع الإسلامي، فشملت النهضة الثقافية والعلمية في الأندلس معظم سكانها بما فيهم النساء، ولا سيّما أنّ سكان الأندلس امتازوا بحبهم للتعليم، كما وصفهم المقري: "**كالغريزة لهم، حتّى في نسائهم وصبيانهم**"[١].

وقد أتاحت الحرية في الحياة العلمية المجال أمام الجميع رجالاً ونساءً؛ للمساهمة في تطوير وبناء القاعدة العلمية التي قامت على أساسها الحضارة الإسلامية[٢]، وكان كل إنسان في الأندلس تقريباً يحسن القراءة والكتابة يوم خلت أوروبا ممن يلم بالقراءة والكتابة ما خلا الطبقة العليا من القسيسين[٣].

فبلغت المرأة في الأندلس قدراً من التعليم، لتوفرِ جوٍ من الحرية التي نالت قسطاً منها، فكان لهذا أثر كبير في تلقيها الكثير من العلوم والفنون في شتى المجالات، مستغلة هذه الحرية في منافسة الرجال خاصة في ميادين الشعر والأدب[٤]، وبلغ تعليم المرأة حداً واسعاً من الانتشار يُمكن أنْ نستنتجه مما ذكره ابن فياض في تاريخه أخبار قرطبة، حيث قال: "**كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها؟**"[٥].

ولم يقتصر التعليم في الأندلس على فئة معينة من النساء؛ بل شمل جميع شرائح المجتمع النسوي من حرائر وجواري، حتّى الأفريقيات ذوات البشرة السوداء، اللائي عِشن في الأندلس

---

(١) المقري، نفخ الطيب(ج٤/١٦٦).

(٢) ابن صاعد، طبقات الأمم(ص٦٧).

(٣) العقيق، المستشرقون(ج١/٨٩)

(٤) عوض الله، المرأة الأندلسية(ص٢٤٤).

(٥) المراكشي، المعجب(ص٢٦٧).

وتلقين التعليم[١]، إذ رأى الأندلسيون ضرورة تعليم بناتهم مُنذ الصغر بما يلزمهن من القرآن، والحديث، وأصول الفقه، ومجالات الأدب والشعر[٢]، حيث رأوا أنّ من حُسن التربية تفقه المرأة في دينها وأخذها شيئاً من الأدب[٣]، واهتم الأندلسيون كما ذكرنا آنفاً، بتعليم المرأة لتنبيه عقلها وإنارته؛ بل إفادة نفسها ومجتمعها[٤]، فقد أوصى الفقيه القيرواني علي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي[٥]، بضرورة تعليمهن القرآن والعلم، وذلك لتزداد معرفتهن بالدين والعبادات[٦].

وكان نظام التعليم عند المسلمين في الأندلس يستمد روحه من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فقد كان القرآن هو صُلب التعليم الأوَلي، ويضيفون إليه تعليم الحديث واللغة العربية، ودراسة الأدب والشعر مع العناية بالخط والكتابة[٧].

ومن هنا نستنتج أنّ المنهج الدراسي التعليمي الذي تلقته المرأة الأندلسية من دراسةٍ للقرآن والسنة في صِغرها، زَرع الاهتمام بهذا المصدر الصافي ليكون سلوكاً وعملاً، إلى جانب كونه علماً ومعرفة، وأثّر عليها في حياتها وأسهم في إصلاحها.

---

[١] ريبيرا، التربية الإسلامية(ص١٣١).

[٢] عيسى، تاريخ التعليم(ص٢٦١).

[٣] البشري، الحياة العلمية(ص٢٥٩).

[٤] لعناني، الأسرة الأندلسية(ص٧٥).

[٥] ابن القابسي؛ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به، وكان للناس فيه اعتقاد كثير، وصنف في الحديث كتاب (الملخص) جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس، رضي الله عنه، في كتاب (الموطأ)،ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(ج٣/٣٢٠).

[٦] القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين(ص٩٥).

[٧] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر(ج٢/٣٤٦)

ثانياً: التأثر بالمُعلمات الأندلسيات الصالحات :

لعبت النساء دوراً مهماً في تعليم أبناء الأمراء والخاصة، ولاسيّما في المراحل الأولى من حياتهم، وذلك بحكم مسؤولياتهن داخل القصور، والقيام بحضانة ورعاية أطفال الأمراء وكِبار رجال الدولة[١]، وما يؤيد ذلك ما ذكره ابن حزم: " ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تبقل وجهي، وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط"[٢]، فمن المُؤكد أنّ هؤلاء المربيات اللائي تولين تربية وتعليم أبناء الأمراء والخاصة، قد ساهمن في تعليم بناتهم القرآن والتدريب على الخط، ومما يدل على ذلك، ما ذُكر عن البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم بأنّها نشأت على الزهد والعبادة والرغبة في الفضل والخير، وكانت ذات خط جميل[٣]، فمن المُؤكد أنّها تأثرت بالمعلمات الصالحات التي تعلمت على أيديهن.

فكان عادة الأُسر الأندلسية الغنية أنْ يعهدوا ببناتهم إلى مُؤدبات مشهودٌ لهن بالصّلاح والتقوى، ومعلمات فاضلات يتعهدنهن بالتعليم والتثقيف والتهذيب[٤]، وكان المنزل المركز الأساسي لتعليم البنات[٥]، فكان لابن حزم المعلم، ابنة تقوم بالتدريس والتعليم في دارها[٦]، أيضاً اتخذت بعض النساء مساجد بجوار منازلهن للتعلم فيها، كما أنّ أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي[٧]، والتي لم يذكر اسمها، كانت تسكن بفحص البلوط بقرطبة، ومنزلها ملاصق للمسجد، وكانت النساء يقصُدنها للذِكرِ والتفقه بالدين، ودراسة سِير العابدين[٨]، أيضاً من أمثال المُعلمات

---

[١] عباس، دور المرأة الأموية(ص١٢٨).

[٢] رسائل ابن حزم(ج١/١٦٦).

[٣] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٣).

[٤] العكش، التربية والتعليم (ص١٨٩).

[٥] عيسى، تاريخ التعليم(ص٢٦١).

[٦] ابن الأبار، التكملة(ج١/٢٣١).

[٧] منذر بن سعيد، قَاضِي الجمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ، يُنسَبُ إلى قبيلَةٍ يُقَال لَهَا: كُزْنَةَ، وَهُوَ مِنْ مَوْضِعٍ قريبٍ مِنْ قُرْطُبَةَ، يُقَال لَهُ: فحص البَلُّوْطِ كَانَ فَقِيْهاً مُحَقِّقاً، وَخطيباً بَلِيْغاً مُفَوَّهاً تَصانِيْفِهِ: كِتَابُ(الإِنْبَاهِ عَنِ الأَحْكَامِ مِنْ كِتَابِ اللهِ)، وَكِتَابُ(الإِبانَةِ عَنْ حَقَائِقِ أُصولِ الدِّيَانَةِ)، توفي عام(٣٥٥هـ/٩٦٥م)،الذهبي،سير اعلام النبلاء(ج١٢/٢٣٨).

[٨] ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة(ج٤/٢٤٥).

التي أشارت إليهنّ المصادر، فخر المعلمة[١]، وكذلك مريم بنت أبي يعقوب، وأصلها من مدينة شلب[٢]، لكنها رحلت إلى أشبيليه، وعملت كمعلمة للنساء تعلمهن الأدب، وتحتشم لدينها[٣].

وهذا دليل واضح على ثقافة المرأة الأندلسية، وبلوغها مستوىً عالٍ من التعليم خلال عصرا الإمارة والخلافة، وتأثُرها بالحركة العلمية في ذلك الوقت، ومدى تأثُر النساء بالمعلمة الصالحة، والاقتداء بها، ونهل العلم منها.

ثالثاً: التأثر بالعُلماء الأندلسيين الصالحين:

اعتادت الفتيات على تلقي تعليمهن داخل بيوتهن[٤]، فبرز في الأندلس خلال هذه الفترة نساء مهتمات بالحديث وروايته، بالفقه، لتأثرهن بآبائهن[٥] أو أزواجهن[٦]، حيث أخذن العلم عنهم، فمن الممكن أنْ يكون الأب المعلم الأول للفتاة، خاصة في المرحلة الأولى من التعليم، حيث عُني الأب في تنشئة ابنته على الصلاح والخير، وغرس مكارم الأخلاق واعتنى بتعليمها[٧]، ومن الأمثلة على ذلك عبدة بنت بشر بن حبيب، التي أخذت عن أبيها الأشعار والأخبار[٨]، وأسماء بنت أبي داوود بن سليمان مولى الخليفة هشام المؤيد، التي حدثت عن أبيها وشاركت بعض شيوخه[٩].

أيضاً ساهم الزوج في تعليم زوجته، فهذه ابنة فايز القرطبي[١٠]، أخذت في بداية عمرها علوم التفسير واللغة العربية والشعر عن والدها فايز، ثم تزوجت من أبي عبد الله بن عتاب الذي

---

[١] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس(ج١/٣٩٥).

[٢] مدينة شلب: تقع غرب الأندلس وهي قاعدة ولاية أشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجدّ، وليس بعد أشبيلية مثلها، الحموي، معجم البلدان(ج٣/ ٣٥٧).

[٣] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٦).

[٤] عيسى، تاريخ التعليم(ص٢٦١).

[٥] ابن الأبار، التكملة(ج١/١٨٢).

[٦] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٧] العنزي، التجليات الحضارية(ص٥٧).

[٨] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة(ج٥/٤١٩).

[٩] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٥٤).

[١٠] فائز الْقُرْطُبِيّ كَانَ عَالماً بالتفسير والعربية واللغة أديباً شَاعِرًا ،ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة(ج٤/٦٧).

ساهم في تعليمها الفقه والرقائق[١]، ولكن المصادر أغفلت ذكر اسم هذه العالمة، بالرغم من سعة علمها، حيث نسبت إلى أبيها، وهذا ظلم بحقها.

ومن صوالح النساء شُعاع القرطبية، جارية قاسم بن أصبغ، من صوالح النساء التي سمعت من مولاها[٢]، ومن المُؤكد أنّها رَوت عنه، وأُم الحسن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ التي سمعت من بقي بن مخلد[٣] قاضي قرطبة، وهو من أشهر علماء الحديث في الأندلس[٤]، وخديجة بنت جعفر نصير السماء التميمي، التي سمعت من زوجها عبد الله بن أسد الفقيه، وحدثت عن زوجها بموطأ القعنبي، وقيدت سماعها عام (٣٩٤هـ/١٠٠٤م)[٥].

ولقد شاركت النساء الرجال الإجازة، ومن بين النساء التي نالت الإجازة، فاطمة بنت علي بن شريعة، أُخت المحدث محمد بن علي في أشبيلية، مُنحت هي وأخوها إجازة من محمد بن فطيس [٦]وهو فقيه ومحدث في ألبيرة[٧].

بالتالي كان لرجال الدين والعلماء أثر في المجتمع، عن طريق بث المثل الاجتماعية والخلقية والدينية، وتصديهم للمنكر، ومقاومة الانحرافات في المجتمع[٨]، ومن المُؤكد أنّ هؤلاء العلماء ورجال الدين أثروا على نساء الأندلس بعلمهم وأخلاقهم وكانوا قدوة لهن في الحياة العامة.

---

[١] ابن الأبار،التكملة(ج٤/٢٥١).

[٢] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة(ج٥/٤١٩).

[٣] بقى بن مخلد أبو عبد الرحمن من حفاظ المحدثين، وأئمة الدين، والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة؛ وكتب المصنفات الكبار، والمنثور الكثير، وبالغ في الجمع والرواية، ورجع إلى الأندلس فملأها علماً جماً، وألف كتباً حساناً تدل على احتفاله واستكثاره ومن مصنفات أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد: كتابه في تفسير القرآن، ومنها في الحديث مصنفة الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، الحميدي، جذوة المقتبس(ص١٧٧).

[٤] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٤).

[٥] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٦] محمد بن فطيس بن واصل الغافقى من أهل إلبيرة يكنى أبا عبد الله، نبيلاً ضابطاً لكتبه ثقة فى روايته، صدوقاً فى حديثه، توفي فى شوال سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، ابن الفرضي، تاريخ العلماء في الأندلس(ج٢/٤٢).

[٧] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٣).

[٨] العبادي، دراسات(ص٢٦٢).

رابعاً: التأثر بالشِعر الأندلسي الداعي إلى الصلاح:

كان الشِعر مرآة الحياة الأندلسية، من جمال طبيعتها، وحُسن نسائها، فحظي الشعر باهتمام كبير من أُمراء وأبناء الأندلس باختلاف طبقاتهم وتنوع أعمالهم[١]، فكانت البيئة الأندلسية التي عاش فيها الكثير من الزهاد والفقهاء، بما شملت عليه من ترف ونعيم، مهيأة لوعظ الناس بزوال الدنيا ونعيمها، لذا كان من الطبيعي أنْ تجود قرائح الزهاد ببعض المقطوعات الشعرية التي يريدون بها الموعظة في الغالب[٢]، وترك زخرف الدنيا ومباهجها التي مصيرها إلى الفناء، والتزود بالأعمال الصالحة[٣]، فها هو ابن عبد ربه يدعو الناس إلى المبادرة بالأعمال الصالحة والتوبة قبل الموت بقوله[٤]:

بادِرْ إِلى التَّوبَةِ الخَلصاءِ مُجْتَـهِداً   وَالمَوْتُ وَيْحَكَ لم يَمْدُدْ إليكَ يـدا

وَارْقُبْ مِنَ اللَّهِ وَعْداً لَيـــسَ يُخْلِفُهُ   لا بُدَّ للَّهِ مِـــنْ إنْجازِ ما وَعـدا

وكان في عهد الحَكَم الربضي أشعار في الزُهد يُنظمها الأتقياء، يتغنون فيها بالليل، ويحُضُون على قِيام الليل في المساجد[٥].

وقد كتب عبد الملك بن حبيب أبياتاً إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٦] في ليلة عاشوراء، وفَضل هذا اليوم وأهميته ويعظه بضرورة اغتنامه وعدم التفريط في صيامه[٧]:

لاَ تَنْسَ لاَ يُنسِكَ الرَّحمنُ عَاشُورا   واذكُرهُ لا زِلتَ في الأخيارِ مذكُورَا

قَال الرسـولُ صــلاةُ اللهِ تشـمُلُه   قَــولاً وجدنَــا عليه الحقَّ والنُّورَا

---

(١) عوض الله، دور المرأة(ص٢٧٩).

(٢) السعدي، الزهد(ص٢٥).

(٣) المرجع السابق(ص٩١).

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد(ج٣/١٣٣).

(٥) المراكشي، المعجب(ص٢٤).

(٦) عبد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام الرِّضَا بن عبد الرَّحْمَن الدَّاخِل، وَهُوَ عبد الرَّحْمَن الْأَوْسَط، وَالرَّابِع من خلفاء بني أُميَّة بالأندلس، وَكَانَ فصيحاً مفوهاً شَاعِرًا مَعَ سَعَة الْعلم والحلم توفي عام(٢٣٨ هـ،/٨٥٢م)، ابن الأبار، الحلة السيراء(ص١١٣).

(٧) ابن حيان، المقتبس(ص١٨٤).

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الأُسلوب المعتمد على تقديم النصيحة والموعظة الحسنة، وهذا الأسلوب قديم في الشعر العربي، وقد ظهر ذلك في بعض أشعار أهل المشرق كأبي العتاهية[١]، وأبي نواس[٢]، وغيرهم من الشعراء.

ومما سبق يتضح لنا أن أهل الأندلس كانوا من عشاق الشعر، فهو يخاطب القلب مباشرة، ويتغلغل في أعماق النفس البشرية، فلجأ الشعراء والأتقياء للشعر؛ لوعظ الناس ودعوتهم إلى ضرورة التوبة والتزود بالأعمال الصالحة قبل الرحيل عن الحياة الفانية.

ومن المؤكد أنّ المرأة الأندلسية تأثرت بالشعر الذي يدعوا إلى الصّلاح والاستقامة، وأثّر في نفسها وفي سلوكها، فتأثرت بالحركة الأدبية التي اجتاحت الأندلس خلال العصر الأموي، ودليل ذلك ما ورد في المصادر لعديد من النساء الشاعرات اللاتي برزن خلال هذه الحقبة.

---

[١] أبو العتاهية اسمه إسماعيل بن القاسم، وكنيته أبو إسحاق، وهو مولى لعنزة، ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ، وذكر الموت والحشر والنار والجنة ،ابن المعتز ،طبقات الشعراء(ص٢٢٨).

[٢] أبو نواس عالماً فقيهاً، عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظ. ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وقد تأدب بالبصرة، وكان أحفظ لأشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الإسلاميين والمحدثين، ابن المعتز ،طبقات الشعراء(ص٢٠١).

المبحث الرابع: حقوق المرأة وأثرها على صلاحها

أولاً: صِلة الأرحَام وأَثرُها على صَلاح النِساء

صِلَةِ الرَّحِم ضِد قَطِيعة الرَحم، وهي كِنَايَةٌ عَنِ الإحْسان إلى الأقْرَبينَ، مِنْ ذَوِي النَّسَب والأصْهار، والتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، والرِّفْقِ بِهِمْ، والرِّعايةِ لأحْوالِهم[١] .

فالإسلام دِين الصِلة، ودِين البِر والرحمة، فهو يأمر بِصِلة الأَرحام وينهى عن القطيعة، مما يجعل جماعة المسلمين مُترابطة مُتآلفة، مُتراحمة مُخالفة للأنظمة الوضْعية التي لا تراعي ذلك الحق، ولا توليه اهتمامها[٢]، قال الله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **الرَّحمُ معلَّقةٌ بالعرش تقولُ: مَن وصلني وصله اللهُ، ومَن قطعني قَطعهُ الله**"[٤]، وقد أوصى القرطبي بصلة الرحِم فقال: "يجب مواصلتها -الرحم- بالتواد والتناصح، والعدل والانصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم وزيارتهم وترك مضارهم"[٥]، ومن المُؤكد أنّ وصيته قد وصلت إلى الأندلسيين وعملوا بها.

فصِلة الرحِم صِفة طبيعية في البشر إلّا في الأقل، ومن صِفتها التعصب على ذوي القُربى وأهل الأرحام، أنْ ينالهم ضَيم أو تُصيبهم هلكة، فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك [٦].

ولصلة الأرحام فضائل كثيرة منها؛ زيادة في عُمر الإنسان، وزِيادة في سِعة رِزقه، ويُؤخر في أجله[٧]، لقوله صلى الله عليه وسلم: " **مَن أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره،**

---

[١] ابن الأثير، النهاية(ج٥/١٩١).

[٢] الحمد، قطيعة الرحم(ص٢٩).

[٣] [محمد:٢٢].

[٤] [مسلم، صحيح مسلم(ج٤/١٩٨١)، رقم الحديث:٢٥٥٥]

[٥] القرطبي، تفسير القرطبي(ج٦/٢٤٧).

[٦] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر(ج٢/١٦٠).

[٧] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج٣/٢٢٨).

فليَصل رحِمه"[١]، وهي من أعظم الأسباب لِدخول الجنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: " **لاَ يَدْخُل الجَنَّةَ قَاطِعٌ**"[٢].

لَعبت صِلة الأرحام دوراً مهماً في صَلاح المرأة الأندلسية، إذ إن من يحرصون على صِلة أرحامهم يكونوا من الصالحين، ولا شكّ أنّهم يتركون أثراً من خلال الزيارات والهدايا والصدقات على أرحامهم، فيُسهمون بذلك بإصلاحهنّ، وعادةً ما يؤثر الأب في بناته، والأخ في أخواته، وكل مُحرم في مَحارمه، خُصوصاً عندما يكون باراً برحمه واصلاً لهم.

فكان الأمير الأموي حريصاً على صِلة رحمه، من خلال البِر بأرحامه وتفقد أحوالهم[٣]، ومن هؤلاء الأمراء من عظّم عمه، كالحَكَم الربضي الذي عظّم عمه سعيد الْخَيْر، وَالتْزم بمبرته[٤]، أيضاً الأمير عبدالرحمن بن الحَكَم، كان يحنو على القرابة، لم يساوه أحد في حنانه أبداً من أهل بيته، وكان قد اختص فوقهم أخاه أبا عثمان سعيد بن الحكم[٥].

وكان أهل الأندلس من باب صِلة الرحِم يتوجهون بعد صلاة عِيد الفِطر رجالاً ونساءً لزيارة الأقارب والمُعايدة عليهم، وتفقد أحوال أقاربهم[٦]، وكانوا يركزون في هذه الزيارات على الأرحام من النساء أمهات، وبنات، وأخوات، وعمات، وخالات، فتسهم الزيارة في تحقيق الصّلاح لهؤلاء النساء، إذ يسمعن الكلمة الطيبة والنصيحة النافعة، إضافة إلى أنّ من يصلهنّ من أهل يصبح قدوة لهنّ، فيسلكن درب الصالحين ويقلدنهم في عملهم وعباداتهم وأخلاقهم.

وكانت المرأة الأندلسية من باب صِلة الرحم، تشترط على زوجها في الصِداق ألا يمنعها زيارة ذوي مَحارِمها وأقاربها، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف[٧]، وإنْ منعها من زيارتهم يُكفر كفارة

---

[١] [مسلم، صحيح مسلم(ج٤/١٩٨٢)، رقم الحديث:٢٥٥٧]

[٢] [البخاري، صحيح البخاري(ج٨/٥)، رقم الحديث: ٥٩٨٤].

[٣] الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس(ج١/٥١).

[٤] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس(ص٤٨).

[٥] ابن حيان، المقتبس(ج١/٢٢٤).

[٦] لعناني، الأسرة الأندلسية(ص١٤٥).

[٧] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة(ج٣/٢٣٠).

يمين؛ لحلفه على منع زوجته من دخول بيت أمها وأهلها لِمَا في ذلك من قطع ما أمر الله بوصِله من صِلة الرحم، حيث يقول تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَام**﴾[١].

لاشكّ أنّ لِصِلة الرحِم أثر بليغ، فهي تُوجب المحبة والمودة بين الأُسر، كما أنّها تحد من الفتن والضغائن التي تقوم بإهمال الصلة والتعاون بين الناس، فصِلة الرحِم فيها مكسبة للحمد، وحُسن الوفاء، وطِيب المنبت، وشُيوع المحبّة بين الناس، ويصبح الأقارب لُحمة واحدة، وبالتالي يصفو عيشهم وتكثر مسراتهم.

ثانياً: إعطَاء النِساء حَقَّهُنّ في المِيراث وأثره على الصّلاح:

أعطى الإسلام المرأة الحق في أنْ ترِث أقرِباءها، ولا يوجد دِين أو قانون على وجه الأرض اهتم بإنصاف النِساء في المِيراث كالإسلام الذي جعل للنساء سُورة حملت اسمُهنّ، وشرحت تفاصيل شريعة الله في الميراث التي أنصفت النساء.

ومن المُؤكد أنّ التزام أهل الأندلس بشريعة الله في الميراث قَد أسهم في إصلاح النساء وذلك من أوجه عدة:

١) حُصول المرأة على حقِها من مالِ أقرِبائها يزيدها حُباً لدين الله وقناعة بعدالته، واندفاعاً للالتزام به، وبالتالي يدفعها نحو الصّلاح، ولو أنّ امرأة تعين في بلدٍ وتنتمي إلى مِلةٍ تَحرِم المرأة من الميراث، فمن المؤكد أنّ هذه المرأة لن تشعر بالحُب لهذه الملة، ولن تندفع للتمسك بها، والالتزام بتعاليمها.

٢) حُصول المرأة الأندلسية على حقِها من الميراث يكفيها ويُحصِنها ويُغنيها عن سُلوك طُرق مُنحرفة للحصول عليه، ويُعينها على التصدُق والمُساهمة في أعمال الخير، فقد حبس الأمير عبد الرحمن بن الحكم على ابنتيه –الذي لم يذكر اسميهما من أم عبد الله– جميع أملاكه بقرية فلانة من إقليم كذا، وحَبس لزوجاته الأربعة، وكانت أربعة أحباس، حَبس أم المُطرف شفاء وولدها، وحَبس أم المغيرة اهتزاز، وحَبس أم المُنذر مؤمرة وولدها، وحبَس أم عبد الله طروب وولدها[٢]،

---

[١] [النساء:١].

[٢] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٤٩١)

فمن هذه الأحباس التي وُهبت لهنّ استطاعت نساء أُمراء بني أُمية في الأندلس بناء المساجد وانشاء المقابر.

٣) يُعينها على إعانة زوجِها وإصلاح وتربية أبنائها، ومَنْ تفعل ذلك تكون من الصّالحات، فكانت المرأة الأندلسية مالكة لعقارات وأراضٍ ورثتها عن أبيها، وقد تمتع زوجُها بهذا الإرث[١].

٤) يُعينُها مال الميراث على طلب العِلم، فلا شكّ أنّ طلب العِلم يتطلب مالاً يُنفق على الكُتب وأدوات القِراءة والكِتابة، ويُمنح إلى المُعلمين والمُعلمات، كعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية، فقد ورِثت ثروة أعانتها على العلم[٢]، ولا شكّ أنّ العِلم من أهم أسباب الصّلاح.

٥) يَدفَع المرأة إلى علاقة حميمة مع أهلها وأُسرتها ووالديها وأشِقائها، فسنجِدُها بَارةً بوالديها أحياءً؛ لأنّها تعرف أنهما سيلتزمان بشرع الله في إعطائها حقها من الميراث، وستدعو لهما وتبرّهما بعد وفاتهما؛ لأنّهما أحسنا لها ولم يحرِماها من حق الله الذي جعله لها في مالهما، وهكذا مع بقية أهلها، فكان الأب الأندلسي يُوصِ لبناته ليرثن أملاكه بعد وفاته[٣]، فمِن المؤكد أنّ تِلك البنات كنّ باراتٍ بوالدهن، فلولا ذلك لم يوصِ لهنّ بالميراث، ومَنْ تفعل ذلك تكون صالحة، وقد ورثت المرأة الأندلسية أمها بعد موتها[٤]، وأختها[٥]، وأيضاً أخاها[٦]، وحَرص الأُمراء على توريث أخواتهم وزوجاتهم وبناتهم، ومن بينهم الأمير عبد الرحمن الداخل، حيث أوصى بمال ترثه كُل من أختيه أم العباس وأم الأصبغ، وكانتا عند وفاته بالشام[٧].

وقد حُفظ ميراث البنت الأندلسية التي توفي والدها وهي صغيرة، حيث كانت تجهز به عند زواجها، ويقال لها هذا حقك من إرث أبيك[٨]، أيضاً ذكر ابن رشد في نازلة، منهم من أوصى لبنت ابنه من ثلث ماله بمثل نصيب أحد بناته[٩].

---

(١) الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٣٠٠).

(٢) ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

(٣) الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/١٣٩).

(٤) المصدر السابق(ج١/٢٦٢).

(٥) المصدر السابق(ج١/٣١٢).

(٦) المصدر نفسه(ج١/١٨٣).

(٧) الخشني، قضاة قرطبة(ص٦٤).

(٨) الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٢٨٧).

(٩) ابن رشد، البيان والتحصيل(ج١٣/٣٣٤).

وكانت الزوجة الأندلسية المسلمة ترث زوجها بعد مماته، وتأخذ صداقها المؤجل[1]، كما ترث من جميع ما يتركه المتوفى من أموال ومنافع، وقد وسع لها حقها في التملك، فالزوجة ترث من تركة زوجها المتوفى وهو يرثها، باستثناء المطلقة طلاقاً بائناً، فليس لها نصيباً لانقطاع الزوجية بينهما[2].

أيضاً من حق الفتاة الأندلسية المخطوبة، أنْ ترث خاطبها، إذا كانت هذه الخطبة قد تمت برضاء وقبول الطرفين، فإنْ مات الخاطب قبل الدخول بها، ترثه ويرثها هو أيضاً[3].

يتبين لنا مما سبق ما تميزت به الشريعة الإسلامية من المُحافظة على حقوق المرأة، وجعلها ترث من تركة ذويها أيّاً كانوا، فهي ترث من تركة والدها بوجود الذكور أو عدمهم، أوكانت أُماً أو بنتاً أو زوجةً أو أُختاً، وهذا ما التزم به أهل الأندلس من خلفاء وأمراء وعامة الناس .

ثالثاً: اهتمام الأمراء بالأرامل والأيتام وأثره على صلاح النساء:

حرص الإسلام على تأكيد حقوق الأرامل، ورعاية الأيتام منذ طفولتهم المبكرة والإحسان إليهم؛ نظراً لِمَا لهذه المرحلة من أهمية بالغة في احتضانهم وإيوائهم، لكي ينسوا مرارة اليتم، وليعوضوا ما فاتهم من عواطف الأبوة الحانية.

فاهتم أُمراء الأندلس برعاية الأيتام من الذكور والإناث، ولا شكّ أنّ هذا الاهتمام قد انتقل إلى بقية أفراد المجتمع فأصبح ظاهرة، وكيف لا يهتمون بالأيتام وقد حضّ الإسلام على ذلك، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ**﴾[5]، وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هكذا، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى**"[6]، ومن المُؤكد أنّ الاهتمام بالأيتام يُسهم في صلاحهم، ويُخرج رجالاً صالحين ونساء صالحات.

---

[1] ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص١٩٨).

[2] الراوي، حقوق المرأة(ص٢٣).

[3] الونشريسي، المعيار المعرب(ج٢٠٢/١).

[4] [الفجر:١٧–١٨].

[5] [الماعون:١–٢].

[6] [البخاري، صحيح البخاري(ج٩/٨)، رقم الحديث: ٦٠٠٥]

فاهتم أُمراء بني أُمية بالأيتام، من بينهم الأمير الحَكَم الُمستنصر بالله، حيث أقام داراً للصدقة غرب المسجد الجامع؛ لتفريق صدقاته على الفقراء والأيتام والأرامل[١]، أيضًا أقام في ساحة المسجد الجامع، مكاتب لتعليم الأيتام والمساكين من الذكور والإناث القرآن الكريم، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرين مكتباً، منها حول المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض مدينة قرطبة، وفي ذلك يقول ابن شخيص[٢][٣]:

وساحَةُ المَسجِدِ الأعلَى مُكَلَّلَةٌ مَــكاتِباً لليَتامَى من نَوَاحيها

وْمُكِنَتْ سُــوَرُ القُرآنِ مِنْ كَلِمِ نادَتْكَ يَا خَبرَ تَالِيها ووَاعِيها

وشيّد الخلفاء دُوراً للأيتام؛ لرعايتهم وتعليمهم وتربيتهم، وكان الأعيان والتجار لا يألون جهداً في اقتفاء آثار الخلفاء في العمل بهدي القرآن في مثل هذه الخيرات[٤].

أَولى الأمير الأندلسي مهمة النظر في شؤون الأيتام إلى قاضي القضاة، فتولى القاضي الأندلسي مسؤولية الاهتمام بالأيتام، وكان يقوم بمهام النظر في شئونهم[٥]، وأموالهم والتوكيل بجمعها وحرزها، وتدوين الأموال التي بأيدي وكلائهم وأيدي غيرهم في دواوين القضاة[٦]، والقاضي يعيِّن للأيتام الأوصياء عليهم لاستصلاح أموالهم، ولا يتم بيع شيء من ممتلكات الأيتام إلا بإذن القاضي، حتّى وإن كان ذلك ضد رغبة الخليفة[٧]، وقد ذكر لنا المقري قصة أيتام أخو نجدة فقال: " أنّ الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظيّة من نسائه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة الأيتام، وكانوا في حجر القاضي منذر بن سعيد البلوطي، فأرسل الخليفة من قوّمها له بعدد ما طابت نفسه، وأرسل ناساً أمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنّه لا يجوز إلاّ بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلاّ عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر بن سعيد في بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا

---

[١] المقري، نفخ الطيب(ج١/٥٥٥).

[٢] محمد بن مطرف بن شخيص، أبو عبد الله، كان من أهل الأدب المشهورين، ومن أعيان الشعر المقدمين، متصرفاً في القول، سالكاً في أساليب الجد والهزل، قال على لسان رجل يعرف بأبي الغوث أشعاراً مشهورة في أنواع من الهزل أغناه بها بعد فقره رفعة بعد خمول، مات قبل الأربع مائة، الحميدي، جذوة المقتبس(ص٩١).

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٤٠).

[٤] خطاب، قادة فتح الأندلس(ص١٨١).

[٥] الخشني، قضاة قرطبة(ص٢١٩).

[٦] ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص٢٩).

[٧] الخلف، نظم حكم الأمويين(ج٢/٧١٦).

يصح إلاّ لوجوه: منها الحاجة، ومنها الغبطة، فأمّا الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأمّا الوهي فليس فيها، وأمّا الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع، وإلا فلا، فنقل جوابه إلى الخليفة، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعاً أن يتوخّى رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سورتها، فأمر وصيّ الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها، ففعل ذلك وباع الأنقاض، فكانت لها قيمة أكثر ممّا قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به، فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنّه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي منذر، وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة فقال له: نعم، فقال: وما دعاك إلى ذلك قال: أخذت فيها بقول الله تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[1]، مقوّموك لم يقدروها إلاّ بكذا، وبذلك تعلق وهمك، فقد نضّ في أنقاضها أكثر من ذلك، وبقيت القاعة والحمّام فضلاً، ونظر الله تعالى للأيتام، فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك، وقال: نحن أولى من إنقاد إلى الحق، فجزاك الله تعالى عنّا وعن أمانتك خيراً"[2].

وهنا تبين احترام الناصر لحكم القاضي، وتأييده ومساندته للقاضي في إنفاذ حكمه، وعدم الاعتراض عليه بالرغم أنّ الحكم لا يوافق رغبته.

أيضاً من الخُلفاء الأمويين الذين اهتموا بالأيتام الخليفة الحَكَم، حيث عاتب الحَكَم قاضي الجماعة المنذر بن سعيد البلوطي: " بَلغنِي أَنَّك لَا تجتهد للأيتام، وَأَنَّك تقدم عَلَيْهِم أوصياء سوء، يَأْكُلُون أَمْوَالهم، فرد عليه القاضي بأنه لا يجد سواهم فالذي يرجى منهم الصلاح لا يقبلوا الوصاية على الأيتام، ثم طلب من الخليفة أن يحيله على أهل الصلاح كالْفَقِيه اللؤْلُؤِي، وَأبي إِبْرَاهِيم، وأمثالهما لأقدمهم، فَإِن أَبَوا، له أن يجبرهم بكل وسيلة وهو يضمن له ألا يسمع بعد ذلك إلا كل خير "[3].

ونستنتج من ذلك أنّه من المهام التي يقوم بها الفقيه المشاور، الوصاية على الأيتام، ولكن دون أنْ يكون ملزماً بالاستجابة للقاضي إنْ طلب منه القيام بهذه المهمة.

---

[1] [سورة الكهف:٧٩].

[2] المقري، نفخ الطيب(ج٢/١٦).

[3] ابن خاقان، مطمح الأنفس(ص٢٥٧)،النباهي، تاريخ قضاة الأندلس(ص٧٣).

وهناك من الخُلفاء من كفل حفيده اليتيم؛ كالأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وُلد عبد الرحمن قُبيل مَقتل أبيه الأمير محمد بن عبد الله على يد أخيه المطرف بأسابيع قلائل في سنة(٢٧٧هـ/٨٩٠م)، فنشأ الطفل اليتيم في كفالة جده مرموقاً بعين العطف والرعاية[١].

وهناك من اهتم بالأيتام، وتكفّل برعايتهم من أهل الأندلس غير الخلفاء، من بين هؤلاء امرأة أوصت بثلث أموالها لليتامى والأرامل[٢]، كما ألمحت إحدى النوازل أنّ رجلاً أوصى لصبية يتيمة أنْ يدفع لها بعد وفاته ربع حانوته، وينفق عليها منه إلى أنْ تتزوج[٣]، أيضاً من أحب الأعمال إلى المرأة الأندلسية الصالحة المُسنة مُنقطعة الرجاء من الرجال أنْ تسعى في تزويج يتيمة وتحمل نفقات زواجها[٤].

أيضاً لعبت الأحباس دوراً مهماً في الرعاية الاجتماعية للفقراء والأرامل واليتامى، والتخفيف من معاناتهم، وكذلك في تيسير سبل العيش والحياة لأفراد الأسرة، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام[٥]، فهناك من أوقف وقفاً على أنْ يُشترى بغلته ثياب تفرق على الأيتام[٦].

رابعاً: إقامة الأحكام الشرعية في الأندلس:

شَرّع الإسلام وسائل كثيرة للحد من الجريمة وعلاج الانحراف، لم تصل إليها كل الشرائع، فلم يقف عند حد التربية الأولية؛ بل بدأ العلاج من وقت مبكر، باختيار الزوجة الصالحة، والأسرة الصالحة، لقوله صلى الله عليه وسلم: " **فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**"[٧].

وبإقامة الحدود الشرعية تصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك، فكان المسؤول عن إقامة الحدود وَالنَّظَر فِي جَمِيع الْأَشْيَاء في الأندلس هم

---

[١] عنان، دولة الإسلام(ج١/٣٧٣).

[٢] ابن رشد، البيان والتحصيل(ج١٣/٣٠٠).

[٣] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٤١٩).

[٤] ابن حزم، رسائل ابن حزم(١/٧١).

[٥] أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية من المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي(ص٢٦).

[٦] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٣١٣).

[٧] [مسلم، صحيح مسلم(ج٢/١٠٨٦)، رقم الحديث:١٤٦٦]

القضاة [١]، وينفذها صاحب الشرطة [٢]، وقد أزال القضاء الأندلسي كل الفوارق التي بين الرجال والنساء، فكانت تطبق على المرأة الأحكام كالرجال[٣]، ومن القضاة الصارمين في إقامة الحدود، محمد بن عبد الله بن يحيى الليثي أبو عبد الله، ولي القضاء أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد في عدة كور منها البيرة وبجاية وطليطلة، وكان صارماً في إقامة الحدود والكشف والنظر على عمالها[٤].

والأغلب عند الأمراء الأمويين في الأندلس، إقامة حدود الدين وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة في ذلك، وإنكاره إنْ تهاون فيه أصحاب السلطان، ولعلّ ظاهرة التدين هذه كانت أهم طابع في سلوك أهل قرطبة [٥].

وإقامة حد شرب الخمر على شاربه، هو المذهب المعتبر في الأندلس، وفيه ردع وزجر لِمَنْ يقع في هذا المنكر، وهو سياج منيع يحفظ الأخلاق ويعلي من شأنها[٦]، ولم يذكر أنّ المرأة الأندلسية المسلمة في العصر الأموي عاقرت النبيذ أو تبذلت في مجالس الرجال، كما أثر ذلك عن المرأة العراقية في زهو الدولة العباسية، ذلك لأنّ الروح العربية والعصبية العربية كانتا غالبتين على كل مظاهر الحياة في ذلك العهد[٧].

ومن النساء من طُبق عليها السجن لتتأدب، لشكواها بغير حق مثل هُب القرشية[٨]، ليندفع بذلك أهل الباطل والذود عن ذلك من فعلهم[٩]، فلا تُسجن النساء مع الرجال في سجن واحد، ويكون سجّان النساء شيخاً عجوزاً متزوجاً عفيفاً، ولا يطُول سِجنُهن، ومن حَكم القاضي عليها

[١] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس(ص٦)،
[٢] المقري، نفخ الطيب(ج١/٢١٨).
[٣] لعناني، الأسرة الأندلسية(ص٧٠).
[٤] ابن خاقان، مطمح الأنفس(ص٢٦٠).
[٥] المقري، نفخ الطيب(ج١/ ٢٢٠).
[٦] العوفي، الحسبة في الأندلس(ص١٨٩).
[٧] الباجوري، المرأة العربية(ج٣/١٢٩).
[٨] هب القرشية بحثت في المصادر لم أجد لها ترجمة، وإنما ذُكرت قصتها في نوازل ابن سهل.
[٩] انظر: ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص٥٧٥).

بالسجن في حُكم من الأحكام، تُسجن عند امرأة قابلةٍ خيّرة قد عَرف القاضي فضلها، ويجعل لها أُجرة من بيت مال المسلمين إلى أنْ يُطلق سراح السجينة[١].

أيضاً أمر سحنون بالمرأة التي يقال لها: حكيمة، وكانت تجمع بين الرجال والنساء، واستفاض عليها الخبر، فأمر بها سحنون فنحيت من دارها، وطُيِّن باب دارها بالطين والطوب، وأمر أن تُجعل بين قومٍ صالحين، فنقلت إلى ذلك الموضع[٢].

وكانت المرأة المسلمة المتزوجة إذا زنت واعترفت بذلك رُجِمت، وإنْ لم تعترف يُلاعنها زوجها، مثل ما قاله قاسم بن طالب: " أنّه رأى زوجته سعدونة بنت سعيد تزني فقام إذ رآها يريد ملاعنتها، وذكر أنّه قد استبرأها قبل ذلك، واعتزلها منذ أربعة أشهر فالذي يجب أنْ تدعي المرأة، فإنْ أقرت بما قال زوجها رُجمت، وإنْ أنكرت ذلك لاعنها[٣].

والفتاة المسلمة غير المحصنة إنْ زنت يقام عليها الحد، فتُجلد ثمانين جلدة، ويكون عليها ثوبان لسترها[٤].

خامساً: تعدُدْ الزوجات وأثره على صلاح النساء:

تظهر الحكمة التشريعية في إباحة تعدد الزوجات في مراعاة التشريع الإسلامي قدرات الناس الجسمانية والمالية، فأباح لهم التعدد، كما تظهر الحكمة التشريعية في إباحة الإسلام تعدد الزوجات في حل مشكلة من أكبر المشاكل الاجتماعية، وهي كثرة عدد النساء مقابل عدد الرجال، وحاجة المرأة إلى كفالة الرجل وقيامه عليها، يضاف إلى هذا أنّ المرأة قد تكون مريضة فلا تعف زوجها، أو عقيماً لا تنجب.

لم تتوفر لي تفاصيل كافية لرسم الصورة الكافية عن العلاقة بين الحرائر والجواري، فحاولت نسج صورة لعلاقتهن انطلاقاً من علاقة الجارية مُرجان أم الحَكَم المُستنصر وفاطمة أم المنذر القرشية زوج الناصر، فقد تنافستا على الناصر، أين سيقضي ليلته وعندما اشتعلت

---

[١] ابن عبدون، آداب الحسبة والمحتسب (ص١٩).

[٢] ابن زكريا، أحكام السوق(ص٣٧).

[٣] ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص٢٦٩).

[٤] ابن رشد، البيان والتحصيل(ج١٦/٣٤٩).

المنافسة اشترت مرجان ليلة مع الناصر بعشرة آلاف دينار[١]، إلا أنني وجدت هذه الحالة غير كافية لرسم تفاصيل علاقة الحرائر بالجواري، فعلاقة الجواري بالحرائر إما علاقة عداوة ومنافسة للاستئثار بالزوج والسيد نابعة من غيرة النساء، وبإمكاننا تخيل المرأة الحرة عندما يدخل علبها زوجها بجارية جميلة تجيد فنون الأدب والغناء، وتود الاستئثار بزوجها كيف لا تكون هناك علاقة تنافسية، فالمرأة الحرة تعرف أنّ الجواري جمعن من أجل اللذة[٢]، ما لا يجتمع في شيء آخر من جمال وعلم وأسلوب امتلاك القلوب التي توقع أي رجل في شباكهن، وما تقفنه من طرق المغازلة والشعر والحب والشوق[٣]، وأُرجح إذا خُير الرجل الأندلسي بين الحرائر الجميلات والمثقفات والجواري لرجحت كفة الجواري؛ لامتلاكهن أسلوب جذب الرجال، فهؤلاء الرجال لم يختاروا زوجاتهم -تبعاً للأعراف العربية- إلا أنّه كان لهم الحرية التامة في اختيار جواريهم، فيقلبها بنظره ويده كيف يشاء ويختارها وفق مزاجه.

وأعتقد أنّ المنافسة أمر طبيعي بين الحرائر والجواري، ومن المُؤكد أنّ المنافسة هي السائدة بينهن، فالرجل هو السيد والزوج وكلٌ يسعى لامتلاكه، فالأندلسية الحرة التي لم تتزوج بعد تنتظر الزوج الذي يملأ حياتها، أما المتزوجة فهمها الاستئثار بزوجها واستعادته من أي مكان[٤]؛ لأنّ الجواري يشكلن خطراً على وحدة أسرهن وبيوتهن، ومستقبل أبنائهن إنْ كنّ أمهات خلفاء أو أمراء[٥]، ويبدو أنّ عدد الجواري وكثرتهن أتاحت لكل أندلسي قادر على شرائهن أنْ يختار جارية أحلامه من بين الألوان والأجناس المتعددة التي ملأت الأندلس، وبالرغم أنّ شراء الجارية لم يكن سهلاً إلا أنّ هذا لم يمنع الأندلسيين من شرائهن وتكديسهن في قصورهم، فقد كانت الجواري مظهراً حضارياً يدل على النعمة والأبهة، فأَكثرَ بني أمية من شراء الجواري، وأيضاً الحاجب المنصور بن أبي عامر[٦]، حيث أكثر من الجواري وبالغ في استبدالهن، فإن أعجبته جارية لا

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٦).

[٢] شبانة، أثر الجواري(ص٩٠).

[٣] المرجع السابق(ص٩١).

[٤] شبانة، أثر الجواري(ص٩١).

[٥] المرجع السابق(ص٤٤).

[٦] الْحَاجِب الْمَنْصور أَبُو عَامر، هُوَ مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عَامر بن أبي عَامر بن الْوَلِيد ابْن يزِيد بن عبد الْملك المعافرى أَمِير الأندلس فِي دولة الْمُؤَيد بِاللَّه هِشَام بن الحكم الْمُسْتَنْصر بِاللَّه، ولد سنة

يصبر عنها ويشتريها، وعندما تصير في ملكه ينفر منها ويبيعها بأرخص الأثمان، وأنفق على استبدال الجواري عشرات ألوف الدنانير[١].

في أوائل الحُكم الأموي للأندلس لم تكن المرأة الحرة بحاجة للدفاع عن وجودها وسيادتها، فالتسري موجود، لكن غلبة الجواري لم تظهر إلا بعد فترة من الحكم العربي للأندلس، وعندما بدأت الجواري في الظهور، وأَخَذَ الجمال الأوروبي ينافس الجمال العربي، ظهرت أزمة المرأة الحرة العربية عند الأندلسيين، فقد وجدت الجواري بكثرة، وجلبن من مختلف المناطق المحيطة حتى من بغداد.

وهناك من التزم لزوجته خصوصاً إذا كانت من الطبقة الثرية بعدم الزواج عليها، ولا يتسرى، ولا يتخذ أم ولد عليها بدون موافقتها، فإنْ فعل ذلك فالداخلة عليها بنكاح طالق، والسرية وأم الولد حرتان لوجه الله تعالى، وكان يحدث في بعض الأحيان أنْ تمرض الزوجة مرضاً شديداً يطول أمده يعجزها عن القيام بواجباتها الزوجية، فيخشى الزوج على نفسه من الفتنة، ويسعى للزواج عليها ليحصن نفسه، وكان ذلك مبرراً يجيز له ذلك، ويسقط ما التزم به في العقد للعذر المذكور[٢]،وهذا يمنع وقوع الفساد الأخلاقي في المجتمع الإسلامي.

حيث وَصف ابن حزم نساء عصره بأنهنّ: " **متفرغات البال من كل شيء إلا أنهنّ متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن لسواه**"[٣]، فقوله دليل على أنّ الرجل هو مركز حياة المرأة الأندلسية حرة كانت أو جارية، ومن المرجح أنّ حياة هؤلاء النساء دفعتهن إلى المنافسة لامتلاك الرجال، لكن الرجل لم يكن هم كل نساء الأندلس، فقد كان لبعض النساء من جعلن العلوم همّهن وهدف حياتهن مثل عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية، لم يكن في الأندلس في زمانها من يعدلها فهماً وعلماً، وأدباً، وشعراً، وفصاحة، وعفة وجزالة وفصاحة، وكانت حسنة الخط تكتب

(٣٢٧هـ/٩٣٨م)، وَقدم قرطبة شَابًّا فَطلب بهَا الْعلم وَالْأَدب، وَسمع الحَدِيث وغزواته فِي كل صائفة مُتَّصلَة أَزِيد من خمسين غزوة، ابن الأبار، الحلة السيراء(ص٢٩٨-٣٠٠).

[١] المصدر السابق(ص٩١).

[٢] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/١٨).

[٣] ابن حزم، رسائل ابن جزم(ج١/١٦٥).

المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب، وتعتني بالعلم[١]، ولها خزانة علم كبيرة حسنة، ولها غنى وثروة تعينها على المروءة، وماتت عذراء لم تنكح قط[٢].

وبالرغم أنّ شراء الجواري كلف مبالغ كبيرة، إلا أنّ أسواقهن ازدهرت لأنّ الشباب الأندلسي أقبل عليهن لرخص أثمانهن مقارنة بزواجهم من الحرائر، فقد أرهقت الحرائر خطابهن بمهورهن ونفقات الزواج منهن، إلا أنّ هذه الحال تغيرت عندما قام الأباء بالترغيب ببناتهم بأن توقفوا عن طلب المهور، وزادوا على هذا بأنْ جهزوا بناتهم بالثياب والحلي [٣].

وفي الأمثال ما يشير إلى أنّ المرأة الأندلسية لم تكن تقبل أنْ يكون لها ضُرة وتؤثر الموت على ذلك كما نفهم من المثل التالي[٤]:

مَشيَه لِلحُفرهَ ولا مَشيَه لبيَت أُخرَا

وكان للزوجة أو وليها أنْ يشترط عدم تزوج الزوج عليها بامرأة أخرى كما ورد في كتب الوثائق الأندلسية، ولعل مثلهم القائل[٥]:

خروفُ بين شَاَتين.

ويصور حال المتزوج امرأتين، وهو معنى ورد في شعر أعرابي تزوج امرأتين ثم ندم فقال[٦]:

تَزَوَّجْتُ اثنــتينِ لِفَرْطِ جَهــلِي	**بِمَا يَشْقَــى به زَوجُ اثْنَتينِ**
فقلتُ أصـــيرُ بينهما خروفًـــا	**أُنَعَّمُ بـين أَكــرَمِ نَعْجــتَيْنِ**
فصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْســي	**تُدَاوَلُ بـينَ أَخــبَثِ ذِئْبَتَيْنِ**

أيضا ذُكر في نوازل ابن رشد أنّ رجلاً تزوج امرأة وشرط لها إنْ تزوج عليها أو تسرى فأمرها بيدها[١].

---

[١] المقري، نفخ الطيب(ج٤/ ٢٩٠).

[٢] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٣] المراكشي، المعجب(ج١/٣٧).

[٤] الزجالي، أمثال العوام(ج٢/ص٢٤٤).

[٥] المصدر السابق(ص٢٤٤).

[٦] المصدر السابق(ص٢٤٤).

ومن المُؤكد أنّ الأصل عند الأندلسيين هو الزواج من الحرائر، وشراء الجواري لا يزيد على كونه متعة أساسية لدى القادرين على شرائها، وأرجح أنّ امتلاك الجارية لا يغني عن الزواج بحرة، فالقادر على شراء جارية أو أكثر هم من الأغنياء والخاصة الذين يحظون بمرتبة اجتماعية، ويعملون على تعزيزها بالزواج من إحدى الحرائر.

سادساً: سماح الإسلام بامتِلاك الجوارِي وأثَرُه على صلاح النساء:

عُرف الرق منذ القدم في التاريخ العربي وغيره، ولم يكن الرقيق في العصر الجاهلي وصدر الإسلام يشترى إلا للخدمة في البيوت وبعض الأعمال، وكانت قيمة الجارية ترتفع أو تنخفض بالنسبة لِما تحسنه، ولم يكن العربي يتسرى سوى بذات الجمال، ولم يكن يعطيها قيمة الزوجة[٢]، والإسلام حدد تعدد الزوجات، فيحلُ للرجل أنْ يتزوج إلى أربع نساء، أما ملك اليمين ليس له عدد معين، يستطيع أنْ يملك ما يشاء منهن[٣]، لذا كثرت السراري والإماء في الدور والقصور ومجالس المنادمة.

إنّ إباحة الزواج بأربعة نساء قلّل حالات انحراف النساء والأرامل والمطلقات، إذ سرعان ما تجد المرأة زوجاً في مجتمع يُبيح تعدد الزوجات، ولا شكّ أنّ هذا التشريع انعكس على المرأة الأندلسية فأسهم في إصلاحها، كما أنّ جواز التّسري بالجواري أسهم في صلاحهن، فلولا ذلك لفسدت الجواري، وأسهمن في إفساد ونشر الفواحش في المجتمع، كما أنّ من تأوى إلى أمير غني أو سيّد أو عام صالح، لابُدّ أنْ تتأثر به وتصلح في دينها وخلقها.

دخلت الجواري الأندلس كسبايا حرب، وبضاعة يتاجر بها الأندلسيون وغيرهم من التجار المشارقة والأوروبيين في الأندلس، وبدأ تدفق الجواري على الأندلس منذ أيام الفتح الأولى مروراً بالفتوحات الأندلسية لزيادة رقعة الدولة الإسلامية، وتأديب المعتدين على الثغور وانتهاءً بجهاد المسلمين لاسترداد مدنهم التي سقطت في يد الإسبان أيام الفتح الأولى[٤].

ولم يكن وجودهنّ في البيوت مقتصراً على الخلفاء والأمراء والسادة، بل تعداه إلى عامة الشعب، وقد ساعد ذلك كثرة السبايا والجواري في الأندلس، الناتج عن كثرة الغزوات التي كان يقوم بها العرب وينتصرون فيها على النصارى [٥].

---

[١] ابن رشد، البيان والتحصيل(ج٤ /٢٨٦).

[٢] العقيلي، الرؤية الذاتية(ص٤٤)، فايد، المرأة وأثرها(ص٧٥).

[٣] أمين، ضحى الإسلام(ج١/٨١).

[٤] شبانة، الجواري(ص١٩).

[٥] العقيلي، الرؤية الذاتية(ص٤٥).

عَرفت الأندلس ظاهرة التّسَري بالإماء والجواري، مثل باقي الأقطار الإسلامية، وإنْ كان وضع المرأة الجارية تعيش حياة الضنك والعبيد، لكنها تمكنت من الزواج من رجال أحرار، فحظيت بمكانة رفيعة وكانت أكثر نشاطًا وتفوقًا عن غيرها، خاصة الحرائر، وذلك لما تمتعت به من حرية [١].

كما سَبى عبد الرحمن الناصر من الجواري ثلاثمائة ونيف جارية أثر غزوته على أرض جليقة سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م)، فما بالك بغزواته كلّها؟، أيضاً المنصور بن أبي عامر ملأ الأندلس بالسبايا من بنات الروم، حتّى أنّه نودي على ابنة عظيم عظماء الروم بقرطبة فلم تساوِ أكثر من عشرين ديناراً[٢].

لم يكن الترف الدافع الوحيد وراء اتخاذ الجواري؛ بل كان جمالهن واختلاف لون بياض البشرة وشقرة الشعر سبباً في اقتنائهن عند خاصة الأندلسيين وعامتهم، لِذا أخذ كل قادر على اقتناء جارية يميل إلى اتخاذها من الشقراوات، وهذا يفسر شقرة كثير من خلفاء بني أمية في الأندلس[٣]، فقد مالوا إلى اتخاذ أمهات أولادهم من الشقراوات، ومن الجدير بالذكر أنّه لم تكن جميع الجواري اللاتي اتخذهن الأندلسيون من الشقراوات ، فقد اتخذوا الجواري السود للفراش والولد[٤]، كعابدة المدنية، أم ولد حبيب ابن الوليد المرواني، المعروف بدحون، وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة، حالكة اللون، غير أنها تروي عن مالك بن أنس، وغيره من علماء المدينة[٥]، وَهبهَا مُحَمَّد بن يزِيد بن مسلمة بن عبد الْملك ابْن عَمه لدحون فِي رحلته إلى الْحَج فَقدم بهَا الأندلس و وَقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه فَولدت لَهُ ابْنه بشر بن حبيب[٦]، فكان الجمال الأوروبي يختلف كثيراً عن الجمال العربي، فهو جديد على العرب في الأندلس، فأغرم به كثير من العرب، لِذا اتخذوهن زوجات وأمهات أولاد، ونافسن الحرائر على قلوب السادة[٧].

ولم يعتنِ الأندلسيون بجمال الجسد فحسب، فقد فُتنوا بظرافة الجواري وأدبهن وقُدرتهن على امتلاك القلوب، كالشفاء فتنت عبد الرحمن بن الحكم كيف لا وهي أكثر نساء عصرها عقلاً وديناً

---

[١] شاويش، المرأة (ص٧٧).

[٢] المراكشي، المعجب(ص٣٧).

[٣] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/١٣٠).

[٤] السقطي، آداب الحسبة(ص٤٩).

[٥] المقري، نفخ الطيب(ج٣/١٣٩).

[٦] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٠).

[٧] العقيلي، الرؤية الذاتية(ص٤٧).

وفضلاً، ورَعت ابْنه الْأَمِير مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن فِي صغره لوفاة أمه[١]، كما ملكت صُبح زوجها الحَكَم المُستنصر بمجالسها وأدبها ومخزونها من التاريخ والنوادر [٢].

أيضاً كانت نضارتهُن وجمالهن وظرفهن وغنائهن وحلاوة حديثُهن وطُرق استِمالتُهن للسادة وعدم احتجابهن[٣]، وتنوع تركيبهن باختلاف المواطن ما يُغري الرجال بالتّسري والإكثار منهن [٤].

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/ ٢٤٠).

[٢] عنان، دولة الإسلام(ج١/ ٥٢٠).

[٣] العقيلي، الرؤية الذاتية(ص٥٣).

[٤] الدغلي، الحياة الاجتماعية(ص٤٤).

الفصل الثانـي

مظاهر الصّلاح الدِينـي عند النِساء المُسلِمات في الأندلس

المبحث الأول: قُوة الإيمان وسلامة العقيدة عند النساء المسلمات في الأندلس

إنّ العقيدة الصحيحة هي الأساس والمرتكز للدين الإسلامي الحنيف، وهي الأصل الذي يُبنى عليه بقية شرائع الدين، فإذا صلحت صلح ما بعدها، وقد أرسل الله جميع الأنبياء والرسل – عليهم الصّلاة والسّلام – للدعوة لهذا الأصل العظيم، وتخليص العقيدة من الشرك، قال تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾(١).

انطلقت الدعوة الإسلامية من شبه الجزيرة العربية في رحلة طويلة امتدت شرقًا إلى بلاد فارس، وبلاد ما بين النهرين غربًا لتشمل ممالك دولة الروم، ولتدخل إلى شمال إفريقيا وأوروبا عن طريق الأندلس؛ لتنير أمام أمم وشعوب كانت غافلة تعرفهم برسالة الإسلام وتعاليمه، والتمييز بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام، فكان من أهداف الفتوحات الإسلامية نشر العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الفتوحات العظيمة فتح الأندلس، فالفاتحون الأوائل لتلك الدِيار كان هدفهم نشر الدين وشرح العقيدة الإسلامية لتكون واضحة أمام أهل البلاد الأصليين في الأندلس(٢).

مما لا شكّ فيه أنّ لدخول الإسلام المبكر إلى الأندلس، وبجهود من التابعين الذين تتلمذوا على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دوراً عظيماً في نشر العقيدة الصافية، وكذلك تلاميذ الإمام مالك بن أنس –رحمه الله– الذين نهلوا من مدرسته، فقد بذلوا جهوداً عظيمة في طلب العلم ونشره وإدخاله الأندلس، ونشره فيها، ومن المعلوم أنّ الإمام مالك سلفي العقيدة، ويكفي لمعرفة ذلك الوقوف على فتواه وآرائه في العقيدة وأقوال العلماء في ذلك(٣)، يقول ابن الخطيب: " **أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقيدة أحوال سنية، والنحل فيهم معروفة فمذهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة**"(٤).

---

(١) [النحل:٣٦].

(٢) العوفي، الحسبة في الأندلس(ص١٥٤)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي(ص٣٣،٤٣،٤٩).

(٣) العوفي، الحسبة في الأندلس(ص١٥٥).

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة(ج١/٣٦).

ثمانية قُرون هي عُمر دولة الإسلام بالأندلس، حضارة أنارت العالم، بعد أن دَخلَ الإسلام شبه الجزيرة الأيبيرية عام(٩٢هـ/٧١١م)[١]، واستمر حُكم المسلمين بها إلى عام(٨٩٧هـ/١٤٩٢م)[٢]، فقد أزال الفتح الإسلامي للأندلس الأوضاع السيئة التي كانت موجودة آنذاك[٣]، حيث أرسى العرب في هذه البُقعة أُسُس حضارة راقية، تمتلك من عناصر الأصالة ما لم نجده في أي بنيان حضاري آخر في غير الأندلس، وحمل المسلمون معهم مبادِئهم وأخلاقهم ومُثُلهم التي ترفع من قيمة المرأة وتُقدِر لها دَورها في المجتمع، فقد كان للمَرْأَة بالأندلس حضورها الفاعل المؤثر في شتى مناحي الحياة، حيث شاركت في الدعوة ونشر العلم وسائر الأعمال الخيرية، مثلها في ذلك مثل سائر الرجال.

وقد جُبل أَهل الأندلس على بُغض ومقت أهل الزِيغ والفساد والإلحاد في العَقِيدة، وكان اتّباع السُنّة صِفة حميدة فيهم، يمدح من اتّصف بها، فالتمسُّك بالكتاب والسُنّة والاعتصام بهما يعُول عليه كثيرًا عند أهل الأندلس، ويفخرون بذلك، ويرجون بذلك النهج والحل والسعة، والبعد عن العذاب والفوز بالثواب، وهذا النهج يصدر من إمام الرعية وواليها[٤]، فيقول المنصور بن أبي عامر في وصية لولده: "**وإني أرجو إني وإياك في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة**"[٥].

عاشت الأندلس ثمانية قُرون في ظِل الإسلام، وعاشت الأُمة فيها تقلُبات بين الضُعف والقوة، وعقِيدة السلف الصالح، بقيت راسخة قوية، ولم تضعف رغم تلك الشوائب التي علقت بها، كما أن الفتن والحروب والتي سادت الأندلس ما زادتها إلا قوة وثباتًا[٦].

والمُتأمل في أحوال المجتمع الأندلسي العقدِية، يُدرك ظُهور العقيدة الصافية المبنية على الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم منذُ دُخول الإسلام إليها في أواخر القرن الأول الهِجري حتّى خرج منها في أواخر القرن التاسع الهِجري[١].

---

[١] ابن الأثير، الكامل(ج٤/٣٥).

[٢] ابن الأحمر، أعلام المغرب(ص٧٧).

[٣] الحجي، التاريخ الأندلسي(ص١٤٣).

[٤] العوفي، الحسبة في الأندلس(ص١٥٨).

[٥] ابن بسام، الذخيرة(ج٧/٧٦).

[٦] سلمي العوفي، الحسبة في الأندلس(ص٥٠٥).

فقد عُرف عن الأمير عبد الرحمن بن الحَكم الثاني، أنه كان كثير الميل للنساء[٢]، وكان في قَصره ما لا يُحصى من الجواري والقِيان، أغدق على من أحب مُنهن ما لا حدود من المال والهدايا، ولِما كان عنده من التديُن، فقد شجّع جواريه من المُقربات منه على بِناء المساجد والمَقابر من أموالهِن الخاصة مرضاةً لوجه الله، فقد ذُكر أنّهن أُولعن ببناء المساجد والمقابر والقيام بالأعمال الخيرية[٣]، وهذا يدل على أنّ المرأة كانت قوية الإيمان وشديدة الورع والتقوى.

فقد ذَكرت المصادر الأندلسية العديد من الصّالحات الأندلسيات كفاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي، أخت الفقيه يوسف بن يحيى، وهي من النساء الأندلسيات اللائي تحدث عنهن التاريخ في مجموعة من لمحاته التاريخية، نظرًا لأهميتها البالغة في خدمة الدعوة الإسلامية، فكانت من النابغات المتألقات خيرة فاضلة، عالمة فقيهة ورعة[٤]، ولولا قوة إيمانها لما تعلمت وتفقهت في الدين الإسلامي.

ومن صَوالِح النِساء أسماء بنت غالب مولى النَّاصِر عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد، تزَوجهَا الْمَنْصُور بن أَبِي عَامر فِي أول أمره، وبعد الْوَزير عبد الرَّحْمَن بن مُبشر وَطَلَقهَا على عهد الحكم، وَلم يفارقها الْمَنْصُور حَيَاته، وَكَانَت عفيفة أريبة أديبة، ذات جمال بارع، وأدب صالح[٥]، ولما خالف غالب أبوها، وظفر بِهِ الْمَنْصُور فِي قصَّة طَوِيلَة امتحنها بِأن أمر بِعرْض رَأس أَبِيهَا عَلَيْهَا، إذ أنفذه إلى قرطبة فَقَالَت الْحَمد لله الَّذِي أراحك وَحكم لمولاك أما لَوْلَا طَاعَة الإِمَام الْمولى وَحقّ الزَّوْج المطاع لقضيت للحزن عَلَيْك أوطارًا وَإِنِّي بالحزن لَك لأولى مني بالحزن عَلَيْك عَليّ بِمَاء الْورْد وَالطّيب فَهَذَا آخر الْعَهْد ببر الْأَب فغسلت وَجهه، ورجلت شعره، وَنَثَرت عَلَيْهِ مسكًا كثيرًا[٦].

---

[١] سلمي العوفي، الحسبة في الأندلس(ص٥٠٧).

[٢] المقري، نفخ الطيب(ج١/٣٤٩).

[٣] مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس(ص١٤٢).

[٤] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٣).

[٥] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة(ج٥/٤٠٩).

[٦] انظر: ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٨).

وكذلك الصالحة عائشة بنت أحمد القرطبية، التي نسخت القرآن الكريم، فعلت ذلك تقربًا إلى الله لارتباط ذلك العمل ارتباطًا وثيقًا بالنص القرآني المقدس، وتدوينه ولكونه الوسيلة التي حفظت القرآن الكريم[١].

تضرّعت نِساء الأندلس بطلب حاجاتِهن، وتفريج كربهن بدُعاء الله سبحانه وتعالى، ليحصلن على ما يردنَ فها هي امرأة جاءت إلى بقي بن مخلد، فقالت:" إن ابنى قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشي، فإنه ليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار، فقال: نعم، انصرفِ حتّى أنظر في أمره إن شاء الله، قال: وأطرق الشيخ وحرك شفتيه، قال: فبعد مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها فأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنساناً يستخدمنا كل يوم، يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينا نحن نجئ من العمل مع صاحبه الذي كان يحفظنا، فانفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت المرأة ودعا الشيخ، فنهض إلي الذي كان يحفظني وصاح علي وقال: كسرت القيد! فقلت: لا، إلا أنه سقط من رجلي، قال: فتحير وأخبر صاحبه، وأحضر الحداد وقيدوني، فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أمري، فدعوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت نعم! فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة وقالوا: أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك، فزودوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين"[٢]، وهذا دليل على قوة إيمان المرأة بالله سبحانه وتعالى بأنه لا يفرج الكروب ولا يستجيب الدعاء إلا هو وحده لا شريك له فتضرعت له بالدعاء ليفك أسر ابنها.

نستنتج مما سبق أنّ نساء الأندلس المسلمات تميّزن بِقوة الإيمان وسَلامة العقيدة فمنهم الورعة، والزاهدة، والعابدة والصادقة، كما ورد في كُتب التاريخ من الإشارات التي نستدل من خلالها على مشاركة المرأة بالأعمال الدينية، بدليل ما ذكر عن المساجد والمقابر التي تحمل أسماء نساء أندلسيات مسلمات.

---

[١] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٢] انظر: الحميدي، جذوة المقتبس(ص١٧٩).

المبحث الثاني: العِبادة عِند النِساء المُسلِمات في الأندلس

ارتبط ذِكر عدد لا بأس به من النِساء الأندلسُيات بالصّلاح والزُهد والأعمال الخيرية، وقد ساهمن في مواكب فعل الخيرات، فقد تحدثت المصادر عن جوانب مختلفة من ذلك كإقبال بعضهن على العِبادة وقِيام الليل، وغلبة مظاهر التّقوى والزُهد عليهن، وامتناع بعضهن عن الزواج قصد التفرغ للعبادة، وهذه الصُورة تتكرر في الزمان والمكان، فالصّلاح لم يكن مقتصرًا على ذوات النِزوع الصُوفي، بل عمَّ نساء الخلفاء والجواري والمعلمات وغيرهن.

للعبادة شَأنٌ عَظيم في الإسلام سواء كانت قولية أو فعلية، وتشمل جوانب متعددة في حياة المسلم[١]، وقد اهتم أهل الأندلس بشأن العبادة وأدائها احتسابًا للأجر والمثوبة من الله تعالى، وإنّ من أبهى وأعظم خصائص الإسلام ومزاياه ارتباط عبادته وشعائره بالتربية والتثقيف والإصلاح والتوجيه، والدفع إلى الخير، والمنع من الضلال، فكانت محلات العبادة مدارس ثقافيّة وعلميّة، كما كانت مراكز توجيه وإصلاح للفرد المسلم وللجماعة المسلمة.

ولاَ شكّ أن للعِبادة والطاعة والإكثار منها أثر عظيم على المرأة، وعلى المُجتمع، فالمرأة إذا تقربت إلى الله بأداء المفروضات، وزادت عليها النوافل فإنها تضَمِن محبة الله لها، ولذا تسدد وتُعان وتُوفق، وبإقامة العبادات المختلفة يصبح الفرد قدوة حسنة في المجتمع، وهذا أثر طيب في نشر الإسلام، ومن هذه العِبادات الصلاة التي لها شأن عظيم في الإسلام إذ هي ركنه الثاني، وقد اعتنى بها أهل الأندلس، فبنوا المساجد وتنافسوا فيها من قبل الأمراء والنساء والعامة، واهتموا بمساجدها، وتربية أبنائهم على المحافظة على الصلاة[٢]، فالمساجد لها دور عظيم في الإسلام فهي محل أداء الصلاة، فلذا كانت العناية بها عظيمة، وقد أولاها أهل الأندلس عناية، من ذلك تزيينها، والمحافظة على نظافتها، ويمنع كذلك اختلاط النساء مع الرجال عند الصلاة[٣]، فالصلاة أعمال عظيمة لها أثر طيب على صاحبها وعلى المجتمع وأجر كبير عند الله سبحانه وتعالى.

---

[١] ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص١٥٩).

[٢] العوفي، الحسبة في الأندلس (ص٥٣٧).

[٣] المرجع السابق(ص١٧٢).

وتَميزت الكثيرات من نساء الأندلس بالورع وأداء فرائض الدين الإسلامي، فقد كنّ يؤدين الصلاة في المساجد، حيث أشارت الروايات التاريخية إلى وُجود أماكن لصلاة النساء في المساجد التي بُنيت في الأندلس، كما هو الحال في بقية البلاد الإسلامية، فقد بنى الأمير هشام بن عبد الرحمن في نهاية المسجد الجامع بقرطبة سقائِف لصلاة النساء[١]، كما قام الحَكم المستنصر بهدم الميضأة القديمة التي كانت بفناء الجامع، يستسقى لها الماء من بئر السانية، وبنى موضعها أربع ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها اثنتان كُبرى للرجال وصُغرى للنساء ليتوضآن منها، أجرى في جميعها الماء في قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة إلى أنْ صبت ماءَها في أحواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار[٢]، فوجود الموضأ للنساء يؤكد أن النساء كانت تتوجه إلى المسجد الجامع للصلاة فيه، وما يؤكد كثرة توافد النساء على المساجد لاسيّما جامع قرطبة، الزيادة والتوسع التي أمر بها الأمير عبد الرحمن بن الحكم على هذا الجامع حيث زاد بهوين وأوصلهما بسقفين ووصلهما من أبوابهما بالسقائف التي كانت قبل في داخل المسجد الأقدم الذي كان معدًا لصلاة النساء[٣]، وهذه الزيادة والتوسع يدل دلالة قاطعة على كثرة توافد النساء على المسجد الجامع في قرطبة .

وكانت المرأة الأندلسية قَوّامَة ورِعة تقِيّة، تُقيم صلاة قِيَامِ الليل، كأمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي وتوفيت بكرًا لم تنكح لانشغالها بالعبادة[٤].

وفي صَباح يوم عِيد الفطر أول عِيد للمسلمين بعد شهر رمضان المبارك، يتوجه كل أفراد الأُسرة أطفالا ورجالاً ونساءً إلى المساجد لصلاة العيد[٥]، وما إنْ ينقضِي يوم العِيد حتى يبتدئ بعض النساء الأندلسيات بصيام الأيام الستة من شهر شوال[٦]، عملاً بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**"[٧]، وبعد ذلك يأتي العيد الثاني من الأعياد الإسلامية وهو عيد الأضحى المبارك، الذي يلتقي مع عِيد الفطر بعدة

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٣٠).
[٢] المقري، نفخ الطيب(ج١/٥٥٥).
[٣] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٣٠).
[٤] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٥).
[٥] ابن سعيد، الغصون اليانعة(ص٣٨)؛ابن الخطيب، الإحاطة(ج٣/٥٠٢).
[٦] الطرطوشي، الحوادث والبدع(ص٦٩).
[٧] [مسلم، صحيح مسلم(ج٢/٨٢٢)، رقم الحديث :٢٠٤]

مظاهر كالتزيين، والتوجه إلى صلاة العِيد، والتّسبيح في المساجد، والقيام بالزيارات المختلفة[1]، أيضاً يسمح للمرأة الأندلسية إذا حضرت جنازة أحد أقربائها، أنْ تُشارك في الصلاة على الجنازة، وإنْ أرادت الخروج إلى الجنازة تخرج فقط في جنازة أقاربها، الأبوين والزوج والولد والأخوة[2].

ومن المُتعبدات الدّاعيات في الأندلس أم الحسن أخت القاضي المنذر بن سعيد البلوطي، فاضلة متعبدة في مسجد لها، لصق بيتها، وكانت مقيمة بفحص البلوط، يقصدها عجائز ناحيتها وصوالح نسائهم للذكر والتّفقه في الدين، ودراسة سير العابدين، فكان لها ببلدها شأن كبير[3]، ومن النِساء العَابدات اشتهرت بنت الْأَمِير عبد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مُعَاوِيَة كَانَت من خير نِسَائِهِم من أهل الزّهْد وَالْعِبَادَة والتبتل توفيت فِي رَجَب سنة خمس وثلاثمائة لأوّل ولَايَة النَّاصِر فَلم يتَخَلَّف أحد عَن جنازتها[4].

وكانت المرأة الأندلسية صوامة تصوم شهر رمضان المبارك وصيام التطوع ، كأمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي[5]، أيضاً تقوم النساء بالمشاركة في الختمة التي تقام في اليوم السابع والعشرين للقرآن الكريم[6]، حيث اعتبر السابع والعشرون من رمضان ليلة مُعظّمة لِدى الأندلسيين، ففيها يختم القرآن، وتسمى عندهم بالختمة[7][8]، وما إن ينقضي يوم العيد حتى تبدأ المرأة الأندلسية بصيام الأيام الستة من شهر شوال، عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[9].

وكذلك من الأيام التّي كانت تصومها المرأة الأندلسية، اليوم العاشر من شهر محرم، والذي يُسمى بيوم عاشوراء وهو اليوم الذي نجى فيه الله موسى عليه السلام من فرعون، فلمّا علِم الرسول صلى الله عليه وسلم سبب صيام اليهود له حثنا على صيامه[10] .

---

[1] لعناني، الأسرة الأندلسية(ص١٤٥).

[2] الطرطوشي، الحوادث والبدع(ص١٧٧).

[3] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٥).

[4] المصدر السابق(ج٤/٢٤٣).

[5] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٥).

[6] المقري، نفح الطيب(ج٣/٢٦٢).

[7] المصدر السابق (ج١/٥٤٩).

[8] لعناني، الأسرة الأندلسية(ص١٤٧).

[9] الرجع السابق(ص١٤٥).

[10] المرجع السايق(ص١٤٩).

وكان كتابُ الله عز وجل هو مِحور الارتكاز، وقطب الرحى في حلقات العِلم التي كان يجتمع فيها الصحابة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي القرآن الكريم ما يرجع إلى الدعوة إلى الله عز وجل ومعرفته وعِبادته وفيه الأحكام الشرعية من أمر ونهي وإباحة، وفيه الترغيب والجزاء والعِقاب وغير ذلك.

لقد توالى اهتمام النِساء بالعِناية بكتاب الله عز وجل، واتخذت هذه العناية صورًا وأشكالًا شتى تدُل في مُجملها على تعلق النِساء بكتاب الله عز وجل والرغبة في حفظه وتحفيظه، وبذل الغالي والنّفيس من أجل ذلك، فقد نال عِلم القرآن الكريم مع بقية العُلوم الدِينية الأخرى المرتبة الأولى في اهتمام أهل الأندلس بتعليم المبتدئين الصِغار من الذُكور والإناث، وقد تأثرت المرأة الأندلسية بتلك العُلوم الدينية واهتمّت بها، حيث برز دورها في البداية من خلال مشاركتها في تلاوة القرآن الكريم، فاشتهرت في البداية بعض النساء الدّاخلات إلى الأندلس بتلاوة القرآن الكريم وحفظه، ومن بينهن جارية الشيباني، ولم تذكر اسمها كتب التاريخ، كانت تحفظ القرآن الكريم وتقرأه بصوت جميل، في يوم خرج قاضي الجماعة محمد بن سحاق بن السليم يوماً لحاجة، فأصابه مطر، فاضطر إلى أنْ دخل بدابته في دهليز الشيباني، فقال له: " **أصلح الله القاضي عندي جارية، لم يسمع بأطيب منها صوتاً، فإنْ أذنت أسمعتك عُشراً من كتاب الله عز وجل، فقال له افعل، فأمر الجارية فقرأت، فاستحسن القاضي صوتها، وعجب منه**"[١]، وحتّى النساء الكبيرات في العمر كن يحفظن القرآن الكريم لقول ابن حزم: " **وإنّي لأعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله عز وجل ناسكة مقبلة على الخير**"[٢].

وكان يُقرأ القرآن على قبر الميت، كما يُقرأ في منزله، وكان يُستأجر لذلك قرّاء للرجال وقارئات للنساء، وأحياناً يَقرأ عميان الرجال للنساء إذا لم يوجد امرأة تقرأ القرآن[٣].

كان الحج ظَاهرةً من مَظاهر تمسك أهل قُرطبة بأهداب الدين، إذ كان يُراوغ أمل كل قُرطبي، بالرغم من المشقة وطُول السفر حيث تصل الرحلة إلى ثلاث سنوات[٤]، والأخطار التي كان يتعرض لها الحاج في رحلته الطويلة إلى الحجاز، فطريق البر يوجد به قُطّاع الطرق، وإن أراد ركوب البحر فخوف أيضاً من ركوبه أنّ الغالب عليه الغرور، والخوف من الروم والتغرير بما

---

[١] الحميدي، جذوة المقتبس(ص٢٧).

[٢] ابن حزم، رسائل ابن حزم (ج١/١٦٥).

[٣] السقطي، آداب الحسبة(ص٦٨).

[٤] ابن سهل، ديوان الاحكام الكبرى(ص٢١٧).

يتقى على المراكب[١]، وهذا يدل على طول صبرهم، وحُبهم لأداء الفرائض، فعلى المسلم أنْ يصبر على الطاعة ويُحافظ عليها.

والحج بالإضافة إلى أنّه كان الركن الخامس من أركان الإسلام، كان يُعد كذلك نوعاً من الجهاد، وكذلك فُرصة لطلب العلم في بلاد المشرق[٢]، فكان من حق المرأة الأندلسية، أنْ تذهب إلى الحج، وخاصة إذا تقدمت بها السن، وانقطع عنها الرّجاء، وفي تلك الحالة، لا يلزمها مُحرم[٣]، ولم تكن المرأة بعيدة عن مثل هذه الرحلات، فقد أدت الكثير من نساء الأندلس فريضة الحج، فمن النساء الحرائر الصّالحات اللاتي قُمن بالحج نساء بني وانسوس حج مِنْهُنَّ سِتّ نسْوَة وَهن أُمُّ الحَسَن بنتُ أبي لِواءٍ سُليمان بن أصبَغَ بن عبد الله بن وانسوس قُرطُبيّةٌ، ولها رحلتان إلى الحج ففي الرحلة الأولى للحج سَمِعت هنالك الحديثَ والفقهَ وعادت إلى الأندلس، ثم حَجَّت ثانيةً، وتوفِّيت بمكّةَ، ودُفِنت هنالك[٤]، أيضاً حجت كليبة زوج أصبغ بن عبد الله بن وانسوس وابنتيهاَ أمة الرَّحْمَن وَأمة الرَّحِيم، ورقية ابْنة مُحَمَّد بن أصبغ، وَعَائِشَة ابْنة عمر بن مُحَمَّد بن أصبغ[٥]، أيضاً رحلت صواب زوجة إِبْرَاهِيم بْن إِسْمَاعِيل من أَهْلَ قرطبة إلى المشرق لأداء فريضة الحج وَعَادت إلى قرطبة، وأصبحت في الاجتهاد أحسن ما كانت عليه سابقاً[٦]، وعائشة الأندلسية زوج عبد الله بن عمر الأندلسي، رحلت حاجة إلى مكة، وأدت الفريضة[٧]، ومن الجواري اللائي ذهبن إلى الحج راضية مولاة الإمام عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، وتدعى بنجم ممن أعتقها الحكم عن أبيه، وتزوجها لبيب الفتى وحجا معاً سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م)[٨]، وهناك من عرضت على زوجها الحج مقابل إعطائه مهر صداقها، فقالت لزوجها: " **ائذن لي أحج معك وأنا أعطيك مهري الذي لي عليك**"[٩].

---

[١] الونشريسي، المعيار المعرب(ج٢/٣٨).

[٢] فكري، تاريخ قرطبة(ص٢٥٣).

[٣] شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي(ص١٩٥).

[٤] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة(ج٥/٤١١).

[٥] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة(ج٤/٢٤٤)

[٦] المصدر السابق(ج١/١١٥).

[٧] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة(ج٤/٢٤٨).

[٨] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٥).

[٩] ابن رشد، البيان والتحصيل(ج٤/٤٢).

نلاحظ أنّ رحلة هؤلاء النِسوة إلى المشرق لأداء فريضة الحج يدل على سلامة العقيدة وقُوة الإيمان لديهن، أيضاً كان لها أثر في ثقافتهن الدينية حيث استقت العلوم الدينية من منابعها الأصلية، وتؤخذ إلى الأندلس لتساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في التطور الثقافي للمرأة الأندلسية.

وكانت الزاهدات من النساء أشد اندفاعاً في الزهد وانقطاعاً إلى العبادة واقتناعاً عن طيبات الحياة من زهاد الرجال، فلا تراهنّ إلا صائمات قائمات، باكيات والهات، ومتنسكات متبتلات، كما كثر في الأندلس الصالحات اللواتي نهجن طريق الزهد عن فرط علم ورسوخ عقيدة لا عن حماقة وجهالة كما تجد في كثير ممن عرفن بالنسك والتصوّف من أشتات البلاد[1]،   كالزاهدة أم الْحسن بنت أبي لِوَاء سُلَيْمَان بْن أصبغ بْن عَبْد اللَّه بن وانسوس بن يَرْبُوع المكناسي مولى سُلَيْمَان بْن عَبْد الْملك امْرَأَة صَالِحَة زاهدة فاضلة عَاقِلَة[2]، وأم الْوَلِيد بنت النَّضر بن مسلمة بن وليد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عَليّ بن عِيَاض الْكلابِي، كَانَ أَبوهَا قَاضِي الْجَمَاعَة للأمير عبد الله بن مُحَمَّد ثمَّ وزيرا لَهُ فَكَانَت امْرَأَة زاهدة صَالِحَة[3]، والبهاءُ بنتُ الأمير عبد الرّحمن بن الحَكَم بن هشام، كانت خيِّرةً زاهدةً[4]، وأمة الرحمن بنت أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي الزاهدة[5]، و بركَة مُعتقة ابْن القسام الْفَقِيه كَاتب القَاضِي أسلم بن عبد الْعَزِيز كَانَت امْرَأَة صَالِحَة خيرة وَهِي أم أبي مُحَمَّد عبد الله بن أَحْمد الصَّابُونِي[6]، وعَتيق الأقوبية زوج الوزراء الْإِخْوَة الأقوبيين، كَانَت امْرَأَة صَالِحَة(٧)، وشُعاع جاريةُ قاسم بن أصبَغَ، كانت صالحةً[8].

ويتضح مما سبق أنّ نساء الأندلس اهتموا بالعِبادة وأدائها احتساباً للأجر والمثوبة من الله تعالى، وهذا يدل على طُول صَبرهن في أداء مناسِكِهن ابتغاء للوصول إلى رضى الله تعالى عنهن، وعلى المسلم أنْ يصبر على الطاعة ويحافظ عليها.

---

[1] الباجوري، المرأة في جاهليتها واسلامها(ج٣/٩٦).

[2] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٤).

[3] المصدر السابق(ج٤/٢٤٤).

[4]انظر: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة(ج٥/٤١٣).

[5] انظر: ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٥).

[6] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٨).

[7] المصدر السابق(ج٤/٢٥١).

[8] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة(ج٥/٤١٩).

المبحث الثالث: تقوى والتزام النساء المُسلِمات بأحكام الشرع في الأندلس

التقوى هو فِعل ما هو جميل وحَسن وِفقاً لأوامر الله إرضاء له عزّ وجّل، وفي المقابل ترك ما هو قبيح وسيء وِفقاً لِما نَهى الله تعالى عنه[١].

كانت المرأة الحرة في المجتمع الأندلسي لاسيّما في الأُسر الغنية، تعيش وراء حِجاب، وقد أطلق ابن حزم عليهن: "**ربات الخدور المحجوبات من أصل البيوتات**"[٢]، منع الدين الإسلامي اختلاط الرجال مع النساء في جميع المناسبات ومعظم الأماكن، فطبق ذلك المحتسب الأندلسي[٣]، لهذا كان الحِجاب مفروضًا على النساء في الأندلس، ويستدل على ذلك ما جاء في كُتب الحِسبة الكثير من الإشارات التي تمنع المخالطة بين الطرفين، حتّى في المشي أيام العيد على طريق واحد، وفي البيع والشراء، وأيضاً في السجن، حيث لا تسجن النساء مع الرجال في سجن واحد[٤].

لذا كان يغلب على الحرائر من الأندلسيات التزامهن بالحِجاب كأهل المشرق، وربما كان حِجاب حرائر الأندلس أشد وأعنف[٥].

ونلاحظ وجود نوع من المحافظة على حِجاب المرأة حتى بالنسبة للمِهن التي زاولتها النساء، فهي تختلف اختلافاً كلياً عن المِهن التي زاولها الرجال، حيث كانت لخدمة النساء أنفُسِهن، من هذه المِهن الطبيبة، والحجّامة، والماشِطة، وعاملة الغزل والنسيج وغيرها من المِهن[٦].

حتّى أنّ النساء الأندلسيات كُن يخرجن إلى المسجد الجامع في قُرطبة وإلى معاهد العلم، فيجلسن في حلقات الدروس منتقبات محتشمات[٧]، لَا يَظْهَرُ مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَّا عَيْنُهَا الْوَاحِدَةُ وَتَشُدُّهُ، ثُمَّ تَعْطِفَهُ عَلَى الْأَنْفِ، وَإِنْ ظَهَرَتْ عَيْنَاهَا، فهو يَسْتُرُ الصَّدْرَ وَمُعْظَمَ الْوَجْهِ[٨]، حتى أن النساء

---

[١] الكحلوت، الأخلاق الإسلامية(ص١٣٦).

[٢] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/١١٧).

[٣] ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة(ص٤٧).

[٤] المصدر السابق (ص١٩، ٣٢، ٤٦، ٤٧).

[٥] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/٧٠).

[٦] المصدر السابق(ج١/٧٢، ١٤٢).

[٧] الباجوري، المرأة في جاهليتها وإسلامها(ج١/١٢٩).

[٨] ابن حيان، البحر المحيط (ج٨/٥٠٤)

الأندلسيات كُنّ يَتهادَين النقاب، فقد زارت ابنة القاضي محمد بن سلمة أحد البيوت الأندلسية فأهدتها صاحبة المنزل مقنعاً للوجه[١].

فالنساء الحرائر كن محجبات، ماكثات في البيوت، يقضين فيها أكثر أوقاتهن، ولا يخرجن منها إلا للزيارات العائلية، أو المناسبات كالأعراس، أو الذهاب إلى الحمام أو المسجد، أو بصحبة زوجها أو أحد محارمها إلى أماكن التنزه وفي بعض المناسبات[٢]، وإن قرأ أعمى القرآن في المأتم تسمعه المرأة من وراء حجاب[٣]، أما الجواري فكن يخرجن كاشفات رؤوسهن، وقد ذكر ذلك عبد الملك بن حبيب قائلاً: "**وما رأيت بالمدينة أَمة تخرج وإن كانت رائعة إلا وهي مكشوفة الرأس في ضفائرها أو في شعر محمم لا تلقي على رأسها شيئًا، وربما رأيت الجارية تلقي الجلباب على صدرها من فوق ثوبها الذي تلبس، وتكشف الأمة رأسها لتعرف الأَمة من الحُرة، ولا بأس أنْ تُصلي الأمة كذلك مكشوفة الرأس والمعصم والساق، ولا بأس أنْ يبدو ذلك منها في غير صلاة، والسراري في هذا وغير السراري بمنزلة واحدة ما عدا أُمهات الأولاد فإنّ سبيلهن سبيل الحرائر في لباسهن وصلاتهن**"[٤].

ومن اهتمام نساء الأندلس بالدين والالتزام بالشرع الإسلامي، عدم ترددها في سؤال أهل الفقه فيما يخصها من الأمور الدينية، من ذلك أنْه سئل أصبغ بن محمد[٥] عن صبية تبلغ ثلاثة عشر عامًا، وأنبتت ونهدت ولم تحض، هل يلزمها الصيام أم لا؟ فقال: لا يلزمها الصيام، إن شاء الله تعالى[٦].

ومما وُجد في الكُتب الفقهية العديد من الأسئلة الفقهية التي تخُص المرأة الأندلسية في أداء فريضة الحج، فقد سُئل ابن رشد "عن المرأة المحرمة تغطي وجهها، فقال: إنْ كانت تغطيه من

---

[١] انظر: الخشني، قضاة قرطبة(ص١٩٥).

[٢] محي الجين، الحياة الاجتماعية(ص١٠٥).

[٣] السقطي، آداب الحسبة(ص٦٨).

[٤] أدب النساء(ص٢٢٩).

[٥] أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، هو والد قاسم بن أصبغ من أهل قرطبة سمع الحديث وكان خيراً كثير الجهاد والرباط الى أن توفي في خلافة الحكم المستنصر سنة(٣٠١هـ/٩١٣م)،ابن الأبار، التكملة(ج١/١٦٩).

[٦] ابن رشد، مسائل ابن رشد(ج٢/٨٢٣).

حر أو من شيء فلا، وإن كانت رأت رجالًا فغطت وجهها تريد بذلك الستر فلا أرى بذلك بأسًا، وأرجو أن يكون خفيفًا"[١].

ومنهن من كانت تحتشم لدينها كمريم بنت أبي يعقوب الفصولي، فعلمت النساء الأندلسيات الأدب[٢].

---

[١] انظر: ابن رشد، البيان والتحصيل(ج٤/١٣).

[٢] الحميدي، جذوة المقتبس(ص٤١٢).

المبحث الرابع: صَدقَات وأَوقَاف النِساء المُسلِمات في الأندلس

إنّ وجوه البِر عديدة لا حصر لها، ومتجددة ومتطورة بتطور المجتمعات البشرية، ولقد فتح الإسلام منابع عديدة لنفع الآخرين، منها ذو طابع تطوعي بحت مثل الوقف، فالوقف نوع من أنواع الصدقات التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، فهو من التقرب المشروع الذي حثّ الشارع الكريم عليه، وندب إليه، وهو طريق من طُرق الخير.

فالوقف في أصل وضعه الشرعي (صدقة جارية) استنادًا إلى الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**"[١].

فالأحباس هي اللفظ الاصطلاحي عند المالكية، في الأندلس في العصر الإسلامي، أما في المشرق فيطلق عليه "الأوقاف"[٢].

والحبس في اللغة هو الوقف، فيقال حَبَسْتُ أَحْبِسُ حَبْساً وأَحْبَسْتُ أُحْبِسُ إِحْباساً أَي وَقَفْتُ، وَمَعْنَى تَحْبِيسِهِ أَن لَا يُورَثَ وَلَا يُبَاعَ وَلَا يُوهَبَ وَلَكِنْ يُتْرَكُ أَصله وَيُجْعَلَ ثَمَرُهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ[٣]، وجمعه أحباس أو حبائس[٤].

ولقد عرّف ابن عبد البر القرطبي الأحباس شرعاً بقوله: "**والحبس أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ربعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عزّ وجّل، ويكون الأصل موقوفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبداً ما بقي شيء منه**"[٥].

تنوعت أوقاف النساء المسلمات في الأندلس ما بين المساجد، والمقابر في مختلف المدن الأندلسية، وفداء للأسرى.

---

[١] [مسلم، صحيح مسلم(ج٣/١٢٥٥)، رقم الحديث:١٤].

[٢] أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس(ص١٦٠).

[٣] ابن منظور، لسان العرب(ج٦/٤٥).

[٤] مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط(ص١٥٢).

[٥] ابن عبد البر، الكافي(ج٢/١٠١٢).

أولاً: أوقاف المساجد:

فالمساجد لها دور عظيم في الإسلام فهي محل أداء الصلاة، فالمسجد في الإسلام ليس مكانًا للعبادة فقط، بل إن له إلى جانب ذلك دور بالغ الأهمية في التنشئة الثقافية والفكرية والعلمية والتقدم المعرفي، إضافةً إلى كونه مصدر إشعاع تربوي واجتماعي، لذا كانت العناية بها عظيمة، وقد أولاها أهل الأندلس عناية، من ذلك بناؤها وتزيينها، والمحافظة على نظافتها، ويُمنع فيها اختلاط النساء مع الرجال عند الصلاة [1] .

وقد ساهمت المرأة الأندلسية في بناء بعض المساجد لإيمانها بالدور الديني والعلمي والتعليمي والخيري للمسجد فمِنَ المسجد تشع الثقافة الإسلامية الأصيلة، ويُعزِّز التقدم المعرفي، وينبعث الوعي الديني، ويُعرَف الحلال والحرام وفيه تُعرَف فضائل الإسلام وآدابه وأحكامه، ويجد المسلم القدوة الحسنة، ويحاكي الصالحين الأبرار، ويتعلَّم ضبط النفس، والصبر على الشدائد، والتحلي بالأمانة والعفَّة، وتحمُّل المسؤولية، والحرص على الانضباط الاجتماعي، والاهتمام بالنظافة، وتعود النظام، وفيه يعرف الفرد وظيفته في المجتمع، ودوره في الحياة، وعلاقته بالأسرة والجيران والأصحاب، وبناؤه من ثمار حضارة الإسلام، لذا كان المسجد موضعَ الاهتمام من المرأة الأندلسية[2].

حيث أَعطى الدين الإسلامي للمرأة المسلمة حُرية كاملة للتصرف في أملاكها، وجعل لها ذِمة مالية مُنفصلة بعيدة تماماً عن مال الزوج، فإنْ شاءت وهبت، وإن شاءت تصدقت من مالها الخاص بدون الرجوع إلى الزوج أو مشاورته[3].

فاهتمت المرأة الأندلسية ببناء المساجد، وانفاق المبالغ الطائلة من مالها الخاص وقفاً في سبيل الله، لإقامة الصلوات فيها على أرض مستقطعة من أملاكها[4].

---

[1] العوفي، الحسبة في الأندلس(ص١٧٢).

[2] المرجع السابق(ص١٢٨).

[3] شافع، المرأة (ص١٦٩).

[4] خزعل، بنو أمية(ص١٥٢)

فاشتهرت السيدة مُرجان أم الحكم المستنصر بِاللَّه، إحدى نساء الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله[١]، بكُثرة الصدقات وأعمال البِر والإحسان[٢]، فقد قامت ببناء مسجد في قُرطبة بالربض الغربي، وكان من أوسع مساجد قُرطبة، وأَحسنها عِمارة، بحيث أوقفت له مالًا للإنفاق على مصالحه، وأحواضه، وسَدَنته[٣]، وأوقفت مالاً للإنفاق على خدمة الجامع الكبير وأحواضه في قُرطبة، واعتنت بمسجد أُم مُعاوية بقُرطبة وغيرها من المساجد بطرف قُرطبة الغربي[٤]، وإذا ما عرفنا أنّ الجامع الكبير هو أوسع مساجد قُرطبة وأحسنها عمارة فبإمكاننا تخيل النفقات الهائلة التي صرفتها مرجان على هذا المسجد ناهيك عن نفقات المساجد الأخرى التي تولت العناية بها، وقُدرَتِها على تَسديد النفقات ما هو إلا دليل على أنها صالحة قوية في إيمانها، خيرة فاضلة، ملكت ثروة هائلة.

ولم تكن الجارية مُرجان الوحيدة التي تكفلت بنفقات مادية وتحملت مسؤوليات مالية، وقد أشار ابن الأبار إلى نماذج من إسهامات نساء البلاط الأُمَوِي وإقدامهن على بناء المساجد، فقد نقل عن الرازي (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) قوله: "**وفي أيام الأمير عبد الرحمن ابن الحكم ابتنيت المساجد الجامعة بكور الأندلس واستوسعت فيها إقامة الجمع ورفع الأدعية، وتناغى كبار حظاياه، وتنافس جواريه، ومقصورات نسائه في ابتناء المساجد الرفيعة بقرطبة، وكان فيهن يومئذ خير كثير، تبارين به في الأعمال الصالحة، توسعن بالإنفاق في أبواب الزلفة واكتملت بأرض قرطبة وقصبتها من رفعهن مساجد مشيدة البناء، واجبة الأوقات، آهلة القطين، طالت عمارتها بذكر الله تعالى حقبة، منسوبة إليهن، متعرفة بأسمائهن**"[٥].

فالجارية فجر من جواري عبد الرحمن بن الحكم، وَهِي أم ابْنه بشر أبي الْوَلِيد الأديب الشَّاعِر، أَيْضا لَهَا مَسْجِد رفيع على أُمَّهَات الْمَسَاجِد بقرطبة[٦]، و ساهمت الجارية اعتزاز أم ولده المغيرة ببناء مسجد يقع في قرطبة ويُنسب إليها مسجد (اعتزاز)[٧].

---

[١] ابن الأبار، التكملة (ج٤/٢٤٦).

[٢] شبانة، الجواري وأثرهن(ص٩٩)

[٣] ابن حيان، جذوة المقتبس(ج٥/ ١٣-١٤)، وانظر: المقري، أزهار الرياض(ج٢/٢٩٥).

[٤] الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من كتاب المقتبس لابن حيان(ص٣٤٦).

[٥] انظر: ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٢).

[٦] المصدر السابق(ج٤/٢٤٢).

[٧] المصدر السابق(ج١/٢٥٣).

كما أشار ابن حيان أيضًا إلى مسجد عُجُب ذات السلطان الواسع أيام الحكم بن هشام، وأصبح لبعض هؤلاء النسوة مكانة في نفوس عامة الناس مثل البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم التي توفيت سنة (٣٠٥هـ/٩١٨م)، ولم يتخلف أحد عن جنازتها وإليها يُنسب مسجد البهاء من مساجد ربض الرصافة[١].

أيضاً شيدت طَرُوب أشهر جواري الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وأم ابنه عبد الله والغالبة عليه لها مسجدًا بصدر الربض الغربي عُرف باسم مسجد (طَرُوب)[٢]، كما اشتهر أيضًا مسجد (الشفاء) المنسوب لشفاء جارية الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي أعتقها وتزوجها وكانت من أجمل النساء عقلًا ودينًا وفضلًا ونسبًا، وإليها ينسب المسجد الذي وسط الربض الغربي من قرطبة، وكفت ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن في صغره لوفاة أمه[٣]، وأمدّنا ابن بشكوال في كتابه (الصلة) بمعلومات عن إسهام حظية الأمير محمد بن عبد الرحمن الجارية غزلان، أم بنيه عثمان والقاسم والمطرف[٤] ببناء مسجد كان يقع في قلب قرطبة وعرف بمسجد (غزلان)[٥]، وأما الجارية متعة جَارِيَة عَليّ بن نَافِع الْمَعْرُوف بزرياب كَانَت رائعة الْجمال، أدّبها، وَعلّمهَا أحسن أغانيه، وأهداها للأمير عبد الرحمن بن الحكم فحظيت لَدَيْهِ[٦]، وبنت مسجداً وسمته باسمها مسجد(متعة)[٧].

كما كانت فخر ابنة بشر أبي الوليد الأديب الشاعر من جواري الأمير عبد الرحمن بن الحكم أيضًا وشيدت مسجدها بقرطبة[٨].

وبَنت السيدة الكُبرى (صبح) زوجة الخليفة الحَكَم المُستنصر مسجداً سمي بمسجد(أم هشام)، ويقع بالقرب من مقبرة قريش في قرطبة[٩]، ولم يقتصر بناء المساجد على جواري الأُمراء فقد بنت شعاع جارية قاسم بن أصبغ البياني مسجداً بربض الرصافة في قُرطبة[١].

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٣).

[٢] المصدر السابق(ج٤/٢٤٢).

[٣] المصدر السابق(ج٤/٢٤٠).

[٤] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/٩١).

[٥] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٧).

[٦] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٢).

[٧] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/١٧٤).

[٨] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٢).

[٩] المقري، نفح الطيب(ج٢/٢٢).

أيضاً شاركت نساء العامة في بناء المساجد وإيقاف الأَوقاف على خِدمة المساجد، كامرأة حَبَست نِصف دارها ونِصف كرمها على مسجد مُعين[٢]، ومنهن من أوصت بجزء من دارها لمسجد[٣].

ونستنتج مما سبق أنّ نساء الأندلس كن مُؤمنات مُسلمات مُتدينات قامت كلٌ مِنهن ببناء مسجد على نفقتِها الخاصة، وسمته باسمها مثل طروب، ومجد، ومُتعة، والشفاء، وفخر،.. وبالتالي خلدنّ أسمائهنّ في الحضارة الإسلامية.

ثانياً: أَوقَاف المَقابر:

حَرص الأمويون في الأندلس على إقامة المقابر وقفًا على أراضِيهم المُستقطعة، وأجروا عليها الأموال لترميمها، وبِناء الأسوار عليها، وبيان حُدودِها، وإقامة البساتين فيها، ولا شك أن أحجام المقابر العامة، كانت تختلف اتساعاً وحجماً، ومدى حظها من الزخارف، وهذا يرتبط بمدى حظ أصحابها من الثروة، والتي تُمَكِن البعض منهم من بناء مقابر تقترب من الروضات وتُقام المقابر عادةً خارج المدينة أو خارج أسوارها بجوار أحد أبوابها[٤].

وكانت الأندلسيات يَرين أن بناء المقابر عملاً دينياً يُقصد به وجه الله، وله ثوابه في الآخرة، مثله مثل بناء مسجد، لذلك وجدنا بعض الأميرات والسراري والإماء يساهمن في بناء المقابر[٥]، ومن خلال المصادر ورد عدد من أوقاف المقابر المشهورة بالأندلس تحمل أسماء النساء الأندلسيات[٦]، كمقبرة (أُم سلمة) في أول زُقَاق الزراعين[٧] التي تُنسب إلى أُم سلمة بنت الحَكَم الربضي، زوجة الأمير محمد بن عبدالرحمن، وهي من المقابر الأموية الخاصة التي وُقِفت لدفن الموتى من أهل قُرطبة[٨]، وتوسعت هذه المقبرة في عهد الخليفة الحَكَم المُستنصر الذي أمر

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٨).
[٢] انظر: الونشريسي، المعيار المعرب (ج١/١٤٧).
[٣] انظر: المصدر السابق(ج١/٣١٩).
[٤] بنشريفة، مظاهر الحياة الاجتماعية(ص٢١)
[٥] أبو زيد، المقابر الإسلامية في قرطبة(ص٨).
[٦] بنشريفة، مظاهر الحياة الاجتماعية(ص٢١).
[٧] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس(ج١/١١٨).
[٨] خزعل، بنو أمية(ص١٧٠).

بشراء الدور القريبة منها لتزاحم القبور فيها وضيق المكان، وأقام لها الأسوار ورمم بنيانها، ووضع حدودها ضمن المقابر بالربض من الجهة المقابلة لباب اليهود[١].

ومن المقابر الأموية الأخرى مقبرة (مُتعة)، أم أبي عثمان سعيد بن الحكم التي شيدت مقبرة لموتى المسلمين، ولها أوقاف كثيرة في سبيل الخير والبر وهي من كرائم النساء.

وكذلك مقبرة السيدة(مُرجان)، حيث كانت تربة محصنة بأسوار وأبواب منيعة، لحمايتها من التجاوزات، فقد وقفت لدفن الموتى من أهل قرطبة[٢]، أيضاً (مُؤمرة) التي كانت حظية من حظايا الأمير عبد الرحمن بن الحكم فأعتقها وتزوجها، وتنسب إليها المقبرة التي تقع بطرف الربض الغربي من قرطبة والتّي سميت باسمها مقبرة(مُؤمرة)[٣].

ولم يقتصر أمر تشييع الجنائز على صُلحاء الرجال والعُلماء، بل كانت جنازة بعض النساء اللاتي عُرف عنهن الصّلاح يتزاحم عليها المُشيعون من الرجال والنساء والصِبيان، فقد وصف ابن بشكوال جنازة فاطمة أُخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي التي توفيت سنة(٣١٩ هـ/٩٣١م)، بأنه " **لم يرَ على نعش امرأة قط ما رأي على نعشها**"[٤]، وبطبيعة الحال تدل جنازتها على أنّها كانت امرأة صالحة ومن السابقات إلى الخيرات .

أيضاً شارك الأمراء في جنازة بعض خواص النساء، فقد مشى الأمير الحكم بن هشام في جنازة زوجة الفقيه طالوت بن عبد الجبار راجلاً إلى مقبرة الربض، ثم انصرف إلى منزله مشاركة منه في حزن الفقيه على زوجته ، وحينما توفيت أم الخليفة هشام المؤيد السيدة صبح سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، شارك في جنازتها المنصور بن أبي عامر، ومشي فيها حانياً مبالغةً في الحزن، وصلى عليها ووزع خمسمائة دينار على قبرها[٥].

---

[١]خزعل، بنو أمية(ص١٧١).

[٢] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس(ص٧٩).

[٣] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس(ج١/٢٩).

[٤] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٣).

[٥] بنشريفة، مظاهر الحياة الاجتماعية(ص٢٨)

ويصف ابن بسام طُقوس جنازة امرأة من الطبقة الدنيا، وعدّها من عجائب الزمن لقيام أهلها بِنَعيها ودعوة علية القوم إلى جنازتها، فيقول: " **ومن غرائب هذا الدهر الغفل في اعتبار تحول العالم، أنْ هلكت أُم عجوز لبني كوثر، فاهتبل بنوها في السعي لها، وإنذار طبقات الناس لشهود جنازتها بأنفسهم والمشي على أعاظم القرية بنعيها، فسارعت طبقاتهم لشهود جنازتها، فجيء بسريرها، وابن جهور الوزير يقدم حضارها ماشياً على قدميه، قد ائتسى به كل ذي منزلة رفيعة، ووقف على جدثها إلى أنْ ووريت وانفض جمعها، ثم ضرب على قبرها قبة عالية تمهيداً للمبيت عليها طول أسبوعها ومدة زيارة قبرها، حسبما كانت الجبابرة تفعله في الأعصر الخالية على قبور الملوك الأغرة، فقضي العجب بمشاهدة هذه النادرة في امرأة من نساء العامة**"[١].

وكان من البدع عند أهل الأندلس بعد غسل المرأة المُتوفاة وتكفينها، يأتون بالمرأة المُتوفاة إلى النساء فيُلقي المُعَزُون بِالمال فَوقها[٢]، وعند وفاة الفتاة التي لم تتزوج يُوَدِعُونّها عند خُروجِها من البيت بالزغَاريد وتُشَيع إلى المقبرة[٣]، ويوقدون في البيت الذي توفيت فيه مصباحاً سبعة أيام كل ليلة[٤].

ولابُدّ أنْ أُشير إلى أنّ هذه البدع التي صارت من الأعراف والتقاليد الأندلسية أنّها ليست من الدين الإسلامي في شيء بل محرمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: " **مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فيهُ فَهُوَ رَدٌّ**"[٥]، أي مردود على صاحبه، وهذه الأعمال لا نعلم أنه فعلها النبي ﷺ أو أحد من أصحابه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، والخير كله في اتباع ما جاء به رسول الله ﷺ مع حسن القصد.

ثالثاً: فكَاك الأسرى:

لعبت الأوقاف دوراً مُهماً في عملية فداء الأسرى ببلاد الأندلس، حيث كثرت الأسارى

---

[١] الذخير في محاسن أهل الجزيرة(ج٢/٥٩٦).

[٢] ابن الحاج، المدخل(ج٣/٢٨٥).

[٣] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٣٤٤).

[٤] المصدر السابق(ج١/٤٢٠).

[٥] [البخاري، صحيح البخاري(ج٣/١٨٤)، رقم الحديث: ٢٦٩٧] .

باعتبار الأندلس دار جهاد وحرب، وقد حرص الأندلسيون على فداء الأسرى، بناء على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم: " **فُكُّوا العَانِيَ –أي الأسير– وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَعُودُوا المَرِيضَ**"[١]، وحظي الأسير المسلم خلال دولة الإسلام في الأندلس بما لم يحظ به في العصور القديمة وفي عصر الكنيسة المظلمة، فأصحاب الخير والإحسان ولاسيما النساء كانوا يوصون بجانب من أملاكهم لفكاك المسلمين في بلاد النصارى[٢]، ومنهن من عرضت دارها للبيع من أجل فكاك ابنها الأسير من أيدي الصليبيين[٣]، وأوصت امرأة من أموالها وصية من أجل فكاك الأسرى، فدفع زوجها الوصية[٤]، وأوصت امرأة بوقف مقياس من الذهب ليكون ثمنه لفداء الأسارى[٥]، أيضاً الزهراء جارية عبد الرحمن التي أحبها حباً شديداً، تركت عند وفاتها ثروة كبيرة، أوصت بانفاقها في دفع فدية من بقي من المسلمين في الأسر عند الصليبيين[٦]، فلم يوجد ببلاد الأندلس أسير يفدى في ذلك الوقت[٧].

---

[١] [البخاري، صحيح البخاري(ج٤/٦٨)، رقم الحديث: ٣٠٤٦] .

[٢] ربوح ، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي(ص١٤٩).

[٣] الحميدي، جذوة المقتبس(ص١٧٩).

[٤] الونشريسي ، المعيار المعرب(ج١/٣٥٥).

[٥] المصدر السابق(ج١/٢٧٨).

[٦] هونكه، شمس العرب(ص٤٥٨).

[٧] الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج٧/٢٨٨).

المبحث الخامس: الأعمال الصالحة لنساء الأندلس.

كان للمرأة الأندلسية حضوراً قوياً في كثير من دروب الحياة في عصري الإمارة والخلافة بالأندلس، ولم تكن منزوية على نفسها في المجتمع ولعبت دوراً رئيساً فيه، فشاركت في الأعمال الخيرية، وفرض عددٌ من نساء الأندلس وجودهن فرضاً على مواكب فعل الخيرات، لذا يعد الدور الذي قامت به في مجال العمل الخيري أحد الجوانب المشرقة في تاريخ الحياة العربية الإسلامية في الأندلس، فبرزت في العمل الخيري أسماء كثيرة من النساء اللواتي أثبتن وجودهن كما سيأتي لاحقاً .

تحثُ توجيهات القرآن الكريم على الصدقة، خاصة الصدقات الجارية، لقوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾(٢)، ولقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**"(٣)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ما من يومٍ يُصبِحُ العِبادُ فيه إلا مَلِكَانِ يَنْزِلَانِ، فيقول أحدُهُما: اللهُمّ، أَعْطِ مُنفِقاً خَلَفا، ويقُولُ الآخر: اللهم، أَعطِ مُمْسكاً تَلَفا**"(٤).

فسارعت نساء الأندلس الصّالحات إلى الصدقة، فمنهن من تصدقت على أمها وأبيها بصدقة(٥)، ومنهن إذا مرضت تصدقت لتخفيف مرضها والشفاء منه، فقد أورد لنا الونشريسي في كتابه (المعيار المعرب) يقول فيه: " مرضت امرأة واشتد مرضها، فقيل لها تجعل شجرك لهذا المسجد بحضرة ورثتها، فأشارت برأسها أي نعم"(٦)، ومنهن من تصدقت عن ابنتها حيث ورد لنا في نوازل ابن رشد "إنّ امرأة دعتنا فشهدتنا على رقيق لها أنهم صدقة على ابنتها"(٧)، وكان للمرأة

---

(١) [التوبة: ١٠٣-١٠٤].

(٢) [البقرة: ٢٧٦].

(٣) [مسلم، صحيح مسلم(ج٣/١٢٥٥)، رقم الحديث:١٤] .

(٤) [المصدر السابق(ج٢/٧٠٠)، رقم الحديث:٥٧].

(٥) ابن سهل، الأحكام الكبرى(ص١٠١).

(٦) الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/١١٨).

(٧) ابن رشد، البيان والتحصيل(ج٩/٤٦١).

دوراً في المجتمع، حيث وجدناها قد أعانت أحد أقربائها فأشركته في مالها وتصدقت عليه بشقص[١] لها في مشجر[٢].

لقد لعبت الأوقاف دوراً مهماً في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى، والتخفيف من معاناتهم، وكذلك في تيسر سبل العيش والحياة الكريمة لأفراد الأسرة، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام[٣].

فأسهمت المرأة الأندلسية بنصيب وافر من الاهتمام بالمرضى ومساعدة الفقراء والأيتام، فنجد السيدة عُجَب ذات السُلطان الواسع أيام الحَكَم بن هشام الربضي تقوم ببناء مُنية عرفت بمنية عُجب بعدوة النهر المُحبسة، وجُعلت للمرضى[٤]، واشتهر نساء عبد الرحمن الثاني بالتنافس على أعمال البِر والتقوى، فكل واحدة منهن عملت من حِسابها الخاص على بناء جامع أو سبيل ماء يحمل اسمها في قرطبة[٥]، فيقول ابن حيان عن الجارية مُرجان زوجة عبد الرحمن الناصر: " **فازت مرجان بالفضل، وصالح الآثار في سبيل البر التي لم يلحق شأوها فيه أحد من نساء الناصر لدين الله بصدقات أفشتها، وزلفات قدمتها، ومساجد ابتنتها، وأحباس في سبيل الله وقفتها**"[٦]، كما عملت الشفاء حظية الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام على خدمة المرضى والضعفاء، ولها أوقاف في سبيل البر كثيرة، وقد رعت الشفاء ابن زوجها عندما تيتّم فكانت مربية فاضلة مُحبة للخير[٧]، ولا ننسى السيدة صُبح البشكنسية أُم هشام المؤيد صاحبة الخِصال الحميدة، والأعمال الخيِّرة[٨]، فعند موتها رثاها ابن دراج القسطلي قائلاً[٩]:

فتلكَ مآثِرُها في التُّقى ... وَبَذْلِ اللُّهى مالَها من خَفاء

جزاكِ بأعمالِكِ الزَّاـيا ... ت خيرُ المُجازينَ خَيرَ الجزاءِ

---

[١] قطعة من الأرض، انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج٧/٤٨).

[٢] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/١٧٤).

[٣] أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية(ص٢٦).

[٤] عياض، ترتيب المدارك(ج٦/٨٩).

[٥] بروفنسال، حضارة العرب(ص٥٧).

[٦] انظر: ابن حيان، جذوة المقتبس(ج٥/١٣).

[٧] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٠).

[٨] شبانة ، الجواري وأثرهن(ص١٢١).

[٩] ابن دراج، الديوان(ص١٢١).

كما اشتهرت المرأة الأندلسية بمُساعدة الفقراء، فنجد خَوْلَة بنت عَليّ بن طَالب بن عبد الله بن تَمِيم الفهرية من أهل باجة كانت ذات بَيَان وعارضة تلقى العمَّال في حوائجها[١]، وذُكِرَ في نازلة لابن سهل أن عائشة بنت فلان حبست قطعة أرض على زوجها وولده وعلى عقبه وعقب عقبه ثم على مرضى قُرطبة[٢]، وكانت بعض زوجات أُمراء قُرطبة يتصدقن على المساكين، فقد سُئل ابن الحاج أنّ إحدى زوجات أُمراء قُرطبة حَلفت في شيء بصدقة ثلث مالها في المساكين[٣]، ومن النساء من تصدقت بإعانات للمساكين، وذلك بأنّها أوصت بمرضها بإخراج ثلث مالها للمساكين[٤].

وقد عمل بعضهُن على عتق الرقبة كما فعلت مزاحمة بنت مزاحم بن محمد الثقفي الجزيري عندما أعتقت نَاصح والد عباس بن ناصح[٥].

وساق لنا ابن حزم خبرًا آخر مفاده أنّ عملية الخِطبَة كانت تقوم بها نساء مُسِنات على سبيل الخير والوصل بين الفتى والفتاة يقول: "وإني لأعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله عز وجل ناسكة مقبلة على الخير، وقد ظفرت بكتاب لفتى إلى جارية كان يكلف بها، وكانت في غير ملكها، فعرفته الأمر فرام الإنكار، فلم يتهيأ له ذلك، فقال له: مالك ومن ذا عصم فلا تبال بهذا، فو الله لا أطلعت على سركما أحدًا أبدًا، ولو أمكنني أنْ أبتاعها لك من مالي ولو أحاط به كله لجعلتها لك في مكان تصل إليها فيه ولا يشعر بذلك أحد[٦].

كما كان في قُرطبة دار موقُوفة على صالِحات النساء اللاتي لم يتزوجن[٧]، فمن المُؤكد أنّ هؤلاء النساء كن يجتمعن على الأعمال الصالحة والتقوى والأخلاق الحميدة .

ساهمت المرأة الأندلسية فضلًا عن تلقيها العِلم، في اقتناء الكُتب العلمية، فقد ظهرت نساء كانت لهن مكتبات خاصة، وهذا بحد ذاته يدل على اهتمام المرأة بالحركة العِلمية، والرغبة في

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٨).

[٢] ابن سهل، الأحكام الكبرى(ص٥٧٨).

[٣] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/١٧٣).

[٤] ابن رشد، مسائل ابن رشد(ج٢/٩١٨).

[٥] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب(ج١/ ٣٢٤).

[٦] رسائل ابن حزم(ج١/١٦٥).

[٧] ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص٥٩٧).

التزود بالعِلم، والاطلاع على المؤلفات العِلمية، لهذا فقد شغفت النساء المثقفات باقتناء الكُتب العِلمية[١].

حيث كانت الكُتب منهلًا صافيًا لطلاب العِلم، وكان بعض العُلماء يَحبِسون كُتبهم عند أشخاص يثقون فيهم؛ لضمان الحِفاظ عليها وعدم تبديدها، وحتى يستفيد منها طلبة العِلم بعد وفاة حابسها، وقد شاركت النساء بهذه الأحباس، ومنهم خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي، زوج عبد الله بن أسد الفقيه، حدثت عن زوجها عبد الله بموطأ القعنبي، قرأت عليه بلفظنا في أصله وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٤م)، وقد حَبست كُتبًا كثيرة على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه التي لم يُذكر لنا اسمها[٢].

كما تنوعت الأعمال الخيرية للنساء في الأندلس ومنها التقرب إلى الله بالمشاركة في نسخ المصحف الشريف، ونافسن الكثير من الرجال من مشاهير الخطاطين ونساخ القرآن الكريم، وبذلك أسهمت المرأة الأندلسية في خدمة كبيرة للقرآن الكريم، وذلك بضلوعها في نسخه وزخرفة صفحاته، ووقفه على المساجد، وطلاب العلم، كالْبَهَاء بنت الْأَمِير عبد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام كَانَت تكْتب الْمَصَاحِف وتحبسها وَكَانَ لَهَا رَغْبَة فِي الْفضل وَالْخَيْر[٣].

وهذا يدل على تميز المرأة الأندلسية وإتقانها لفن الكتابة وحسن خطها، ومدى إيمانها وحبها لكسب الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى.

وكان للنساء العامة أيضًا مشاركة فعّالة في العمل الخيري، منهن بركَة مُعتقة ابْن القسام الْفَقِيه كَاتب القَاضِي أسلم بن عبد الْعَزِيز كَانَت امْرَأَة صَالِحَة خيرة وَهِي أم أبي مُحَمَّد عبد الله بن أَحْمد الصَّابُونِي الْفَقِيه[٤]، ومن الخيِّرات الفاضلات فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي، سكنت قرطبة[٥]، خيرة فاضلة عالمة فقيهة من النساء الصالحات توفيت رحمها الله سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، ولم يُرَ على نعش امرأة من المصلين ما رُئِيَ على نعشها[٦].

---

[١] عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة(ص١٢٥).

[٢] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٣] ابن الأبار، التكملة (ج٤/٢٤٣).

[٤] المصدر السابق(ج٤/ ٢٤٨).

[٥] الضبي، بغية الملتمس(ص٥٤٧).

[٦] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٣).

وامتد الأمر ليصل إلى الجواري في الأندلس فنجد هناك جارية تُدعى مَصابيح، جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل، وكانت غاية في الإحسان والنبل[١]، كما كانت جؤذر من الْقَيْنَات المُحسنات بقرطبة ، كما كانت الجارية مُرجان لطيفة المقاصد[٢].

كما ذاعت شهرة بعضِهن في هذا العمل الخيري، فكان منهن النِضَار، محظية الخليفة الحكم المستنصر، شاعرة وخطاطة، وكانت هناك علية بنت عَليّ بن نَافِع(زرياب) طَال عُمرها بعد أُخْتهَا حمدونة وَلم يبْق من أهل بَيتهَا غَيرهَا فافتقر النَّاس إِلَيْهَا وحملوا عَنْهَا[٣].

واشتهرت عائلات كاملة بالعمل الخيري ونشر الدعوة من ذلك نساء بني وانسوس، قال ابن الأبار: "**كان لبني وانسوس نساء متقدمات في الخير، والفضل**"[٤].

وهناك نوع من الأوقاف الأندلسية مسؤولة عنها النساء، كوقف إعارة الحُلي والزينة في الأعراس والأفراح، يستعير الفقراء منه ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم، حتى يكتمل الشعور بالفرح، وتتجبر الخواطر المكسورة، فيقول ابن حزم عن ذلك :" وإنك لترى المرأة الصالحة المسنة المنقطعة الرجاء من الرجال، وأحب أعمالها إليها وأرجاها للقبول عندها سعيها في تزويج يتيمة، وإعارة ثيابها وحليها لعروس مقلة"[٥].

إذن فالمرأة الكبيرة في السن تقوم بإعارة ثيابها للفتاة الفقيرة أو اليتيمة يوم زفافها، وهذا إنْ دلّ فإنه يدل على التكاتف والتعاطف الذي يسود المجتمع الأندلسي.

من خلال ما سبق ذكره وعلى الرغم من قلته، فإنّ ما عثرت عليه الباحثة في كتب النوازل والتراجم يؤكد على أنّ المرأة الأندلسية لها من الأعمال الصالحة الكثيرة، وكان لتلك الأعمال الخيرية دوراً كبيراً في محاولة إصلاح الفساد الأخلاقي في الدولة الأندلسية الذي جاء نتيجة الترف والانغماس في الملذات، ومن ثم كان لعدد منهن دور إيجابي في مقاومة تلك الآفات الاجتماعية عن طريق العمل الخيري.

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٣).

[٢] المصدر السابق(ج٤/٢٤٦).

[٣] المصدر السابق(ج٤/٢٤٢).

[٤] المصدر السابق(ج٤/٢٤٥-٢٤٦).

[٥] رسائل ابن حزم(ج١/١٦٥).

الفصل الثالث

مظاهر الصلاح الأخلاقي عند النساء المسلمات في الأندلس

المبحث الأول: العِفة والحَياء والأَمَانة عِند النِساء المُسلِمات في الأندلس

إنّ الأخلاق الحسنة، والسِيرةِ الحَميدة، والذوق الرفيع ميزان وعي الأمة، ودَليل تقدُمها، فالناظر إلى أمة الإسلام في الأندلس يجد أنّها أمة ذات أَخلاق عالية وآداب رفيعة، فقد أصبحت مَنارة من منارات الإسلام تقتبس منها الأمم، وتستفيد من حَضَارتِها، والفضل يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ثم إلى تطبيقهم الإسلام في واقع حياتهم، وتطبيق ما يدعو من مكارم الأخلاق(١).

العِفة والحَياء:

حَرصت المرأة الأندلسية المسلمة على الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، والتحلي بالأخلاق التي حثّ عليها رسولنا الكريم، ومن هذه الصفات صفة الحَياء، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإسلام الْحَيَاءُ"(٢).

وقد ذكر ابن حزم في كتابه قصصًا تُبين صِفة العِفة عند نساء الأندلس ومنه قوله: "ولقد حدثتني امرأة أثق بها، أنها عَلّقها فتى مِثلها في الحُسن وعلّقته وشاع القول عليهما، فاجتمعا يومًا خاليين فقال: هلُمي نحقق ما يقال فينا، فقالت: لا والله لا كان هذا أبدًا، وأنا أقرأ قول الله تعالى:﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ (٣)، قالت: فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال"(٤).

إنّ دور المرأة الأندلسية المُحافظة والمُتدينة لا يُنكر، فقد كان لها الأثر العظيم على المستوى الأخلاقي، وعلى رأس هذا الصنف النسوي؛ المربية مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري التي تميزت بعِفتها، وحُسن معاملتها للناس، يقول فيها ابن بشكوال: "كانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها"(٥).

---

(١) العوفي، الحسبة في الأندلس(ص٥٤٥).

(٢) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه(ج٢/١٣٩٩)، رقم الحديث:٤١٨١].

(٣) [الزخرف:٦٧].

(٤) رسائل ابن حزم(ص٢٩٧).

(٥) الصلة(ج٢/٦٥٦).

وكتب الشعراء فيها يمدحون أخلاقها، يقول ابن بشكوال: " أنّ ابن المهند بعث إليها بدنانير وكتب إليها[1]:

ما لي بشُكرِ الذي أوليْتِ من قِبَلِ ... لو أنني حُزْتُ نُطْقَ الأُنسِ والخَبَلِ

يا فَرْدَةَ الظّرْفِ في هذا الزّمانِ ويا ... وحيدةَ العصْرِ في الإخلاصِ والعملِ

أشْـبَهْتِ مريماً العذراءَ فـــي وَرَعٍ ... وفُقْــتِ خنساءَ في الأشعارِ والمثَلِ

ومن النساء اللواتي عُرفنَّ بالعِفة والحَياء، أَسمَاء بنت غَالب مولى النَّاصِر عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد تزَوجهَا الْمَنْصُور مُحَمَّد بن أَبِي عَامر فِي أول أمره بعد الْوَزير عبد الرَّحْمَن بن مُبشر الذيَ طَلّقهَا على عهد الحكم، وَلم يفارقها الْمَنْصُور حَيَاته، وَكَانَت عَفيفَة أَريبة أَديبة من صَوالِح النِّسَاء ذَات جمال بارع وأدب صَالح[2].

ومن الشريفات هِنْد بنت عبد الرَّحْمَن النَّاصِر، كَانَ لَهَا فِي الشّرف، وَالْجَلالَة، وَالْأَدب، والحجا، والرجاحة آثَار مخبورة، وأخبار مأثورة، وَتوفيت إِثْر تولي مُحَمَّد بن هِشَام بن عبد الْجَبَّار الْمهْدي الخلافة فِي سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م)[3].

ولقد كانت نِساء الأندلس يَخرُجن إلى المسجد الجامع في قرطبة وإلى معاهد العِلم، فيجلِسن في حَلقات الدُروس مُنتقبات مُحتشِمات[4]، أي أنّ النساء يتبرقعن خارج بيوتهن، ولكنهنّ كنّ مكرمات، وفي منازلهن كنّ مشرفات ومحترمات[5]، وإنْ قرأ أعمى فتسمعه المرأة من وراء حجاب[6]، وهذا دليل واضح على عفة وحياء المرأة الأندلسية المسلمة.

كان من أَخلاق العربي صِيانة شَرف المرأة، لذا كَفل المُجتمع الأندلسي هذا الحق للمرأة، فكانت الفتاة الأندلسية مثالاً في الحفاظ على عذريتها، وكان المجتمع يحرص ويحث الفتاة على

[1] الصلة(ج٢/٢٢٦).
[2] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٨-٢٤٩).
[3] المصدر السابق(ج٤/٢٤٩).
[4] الباجوري، المرأة في جاهليتها وإسلامها(ج١/١٢٩).
[5] خطاب، قادة فتح الأندلس(ص١٨٢).
[6] انظر: السقطي، آداب الحسبة(ص٦٨).

الحفاظ على العذرية، حتّى لو انحرفت في تصرفاتها لقول المثل الأندلسي: "**بُس واقرص وخلَي مُوضع العَروس**"[١] .

والآباء أشد حرصاً على بناتهم في هذا الجانب، ولهذا فقد ذكرت كتب الوثائق والعقود نصوصاً تعالج ظاهرة سقوط عذرية الفتاة لسبب من الأسباب، وشهادة الأهل والجيران، وإشاعة هذا الأمر كي لا تطعن في عرضها[٢].

ومن يَتغزل ببنات الخلفاء يتعرض للعِقاب؛ لأنه يُعدُّ اعتداءً على الشرف، والتشهير والتعريض، كما حصل مع أحمد بن مغيث[٣]، فلم يبق من آل مغيث إلا الشريد الضّال، وذلك بسبب تغزُله بإحدى بنات الخُلفاء[٤].

وهذا يدل على قيام حدود صارمة تجعل نساء الأشراف في منزلة خاصة لا تتطاول إليها حتى عيون الشعراء المتغزلين.

الحياء زينة المرأة وجمالها، والحياء رادع عن كثير من الأخلاق السيئة، فكان من واجب المحتسب وأعوانه أنْ يحافظوا على حياء النساء، فكان المحتسب لا يترك أحداً في المقابر من الباعة، لأنّهم يكشِفون على النساء المحزُونات اللائي يذهبن إلى المقابر، فكنّ لا يدرين ما يفعلن، فيفترشن الأرض، وربما يكن حاسرات الرأس، كاشفات الوجوه من الحزن، ولا يترك الشباب أيام العيد يجلسون فيها على الطرق لاعتراض النساء، كما كان يمنع من يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء[٥] .

وقد شاركت الجارية الرجال في مجالس اللهو والطرب، والكل ينظُر إليها دون أن تشعر بالحياء والخجل على عكس المرأة الحرة ذات الحياء التي كانت تحتجب عن الرجال[٦].

---

[١] انظر: الزجالي، أمثال العوام(ج٢/١٣٢).

[٢] الجزيري، المقصد المحمود(ص٢٣).

[٣] أحمد بن مغيث لم أجد له ترجمة في المصادر الأندلسية.

[٤] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/١٤٧).

[٥] انظر: ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة(ص٢٧).

[٦] جمعة، نساء من الأندلس(ص١٤٠).

الأمانة:

حثّ الدين الحنيف الإنسان على التحلي بالصفات والأخلاق الحميدة، كالأمانة، والصدق، والحلم، والعطف على الآخرين وغيرها من الصفات، التي تجعل من الإنسان شخصًا متميزًا ومحبوبًا عند الآخرين، ومن أهم هذه الصفات صفة الأمانة، والتي تعد حجر الأساس الذي تُبنى عليها حياة الإنسان السليمة، فالإنسان الأمين يكسب ثقة الآخرين به، وقد وردت العديد من الأدلة الشرعية التي تحث على التحلي بصفة الأمانة، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[1]، صفة الأمانة وُجدت في أعظم شخصية في التاريخ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث لقب بالصادق الأمين، ويتجلى ذلك من خلال تعامله مع الآخرين، حيث كان يعمل في التجارة ويؤمنه الناس على أموالهم وحلالهم، فهو خير قدوة يقتدى بها.

تنبّه المحتسب لِخداع تُجار العبيد وسماسرة الجواري، فقام بتعيين امرأة يسمونها(الأمينة) تكون ذات ثقة بين النساء، وذات معرفة بطرق خداع النخاسين ووسائلهم في تغيير الحقائق، ووظيفتها تشهد في استبراء الخدم بمقتضى مراد المُشتَري، فإذا كانت الجارية تمتهن صناعة معينة، تختبر صنعتها للمشتري، فيعطيها أجرها على وجه الشكر والجزاء، مع أنّها تأخذ أُجرة على البيع والشراء إذا كان يوضح لها في العطاء حسب ماليّته[2].

أيضاً كانت المرأة الأندلسية المسلمة بعِلمها، وورعِها، وأمانتها عوناً للقاضي، فلا يسجن القاضي امرأة في السجن في حُكم من الحكومات إلا عند امرأة قابلة فاضلة أمينة عَرفَ القاضي فضلها إلى أنْ تنتهي مدة سجن المرأة[3].

ومن ثم كانت النساء أكثر تعاطفاً مع المحبين وأكثر إسعافاً لهما، فهُنّ يكتمن الأسرار، ويمقُتن من تفشيها منهن، وأشدهُن في الكِتمان العجائز منهن، لأنّ الفتيات ربما أدركتهن الغيرة فبُحن بالسر[4].

---

[1] [الأحزاب:٧٢].

[2] انظر: السقطي، أداب الحسبة والمحتسب(ص٥٦).

[3] انظر: ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة(ص١٩).

[4] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/٧١).

المبحث الثاني: رِعاية النِساء المُسلِمات في الأندَلُس للزوج والأَبنَاء.

رأولاً:رعايَةُ الزَوج:

كانت للمرأة الأندلسية مكانة وقيمة في مَنزلها وأُسرتها، فيذكر في ذلك المقري قائلاً:" **وأما الحريم فهن مغارس الولد، ورياحين الخلد، وراحة القلب الذي أجهدته الأفكار**"[١]، فعند زواج المرأة الأندلسية يكون هَمُها الأول انتزاع حب زوجها، وإعجابه ليزداد تعلُقِه بها، وتصبح حظية عنده، فقد زخرت المصادر الأندلسية بكثير من النساء المحظيات عند أزواجهن، كعُجب حَظية الأمير الحكم بن هشام الربضي[٢]، وطَروب أم عبد الله حظية الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٣]، كذلك الحرة القرشية زوجة الخليفة عبد الرحمن الناصر، فاطمة بنت الأمير المنذر عم أبيه، كانت مكانتها مميزة عنده؛ لأنها ابنة عمه[٤]، كما حظيت زوجته الأخرى مُرجان التي اتخذها سيدة نسائه وكبرى حظاياه[٥]، فقد أحبت الناصر لدين الله حباً شديداً لدرجة أنّها اشترت ليلة زوجته فَاطِمَة بنت الْمُنْذر القرشية بِعشْرَة آلَاف دِينَار وغنتها مرجان بنظم قائلة[٦]:

يَا لَيْلَةَ لَو أَنَّهَا تبَاع لي أو تشترى   شريتها بِكُل مَا أطلبه من المُنى

أيضاً من المحظيات صُبح البشكنسية، وكان سيدها الحكم المستنصر يسميها ب(جعفر)، وكانت مغنية حظية عنده[٧].

ساهمت المرأة الأندلسية بتأمين حاجيات الأُسرة إلى جانب زوجها، لِذا فقد عملت في كثير من المِهن التي كانت في بعض الأحيان تضطرُها إلى الخروج من المنزل، فخرجت للبيع في الأسواق، وكان للنساء سوق خاصة بقرطبة سُمي بباب العطارين، تقصده النساء لشراء أدوات الزينة والعطور[٨]، كما مارست الكثير من المهن داخل بيتها كالعمل بالغزل، فهذا الحاجب

---

[١] نفخ الطيب(ج٦/٤٣٩).

[٢] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس(ص٥٥).

[٣] ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس(ج١/١٥٤).

[٤] ابن الأبار، الحلة السيراء(ص٢١٠).

[٥] المصدر السابق(ج/٢٤٦).

[٦] المصدر السابق(ج/٢٤٧).

[٧] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٥٣).

[٨] المقري، نفخ الطيب(ج٥/٢٧٢).

المنصور بن أبي عامر يتحدث عن نفسه قائلاً:" **إنما أنا ابن امرأة من تميم، طالما تقوتت غزلها أغدوا به إلى السوق**"[١].

وكان بعض الأزواج عوناً لزوجاتهم في عملهن، كمصعب بن عمران، وهو قاضٍ ولي القضاء في عصر عبد الرحمن الداخل، ومات في عصر الأمير هشام، كان يساعد زوجته بعمل الوشائع[٢]، وهي تنسج في منسج لها[٣].

والأب ربُ الأُسرة كان يمارس سلطته بدون حدود، فهو سيد مُطلق مهما كانت مرتبته الاجتماعية، وتعد الزوجة الأندلسية نفسها متفرغة لخدمته، ولا تتحدث إليه إلا باحترام، لاسيما بحضور أطفاله الذين كانوا من جانبهم يؤدون لأبيهم الاحترام الكبير، ولا يبقوا بجانبه إلا إذا دعاهم ويلزمون الصمت أمامه، وإذا زارت أم الزوج الأرملة أو المسنة البيت فتسبق الزوجة وتعتني بالبيت والمطبخ[٤].

وكانت المرأة تكُن كل الاحترام لزوجها وتُلبي ما يَطلب منها، فقد أورد لنا ابن عذاري قصة الجارية التي طلب منها الأمير هشام بن عبد الرحمن عقداً في رقبتها ليعطيه لرجل جاء يشتكي بقتل رجلٍ من قبيلته بالخطأ، فلبّت أمره ولم تعترض على طلبه، "وكانت مع الأمير هشام بن عبد الرحمن جارية له، فلما دنا الكناني، رفع ستراً كان أمامه، فدخلت الجارية خلفه، ثم قال له، بعد أنْ سلّم عليه: يا كناني، لا أحسبك إلا قد دهمك أمر!، فقال له الكناني: قتل رجل من بني كنانة رجلاً خطأً، فحملت الدية على العاقلة، فأخذت بنو كنانة عامة، وحيف عليّ من بينهم خاصة، لما عرف أبو أيوب مكاني منك، فعذت بك من ظلامتي!، فقال له: يا كناني! ليفرج روعك وليسكن جأشك لا جرم قد تحمل هشام عنك وعن قومك جميع الدية!، ثم مد يده إلى خلف الستر؛ فأخرج عقداً كان على الجارية، ثمنه ثلاثة آلاف دينار، فقال له: خذ هذا العقد، فأد من ثمنه عنك وعن قومك، وتوسع في الباقي!، فقال الكناني: يا سيدي! إنه لم آتك مستجدياً ولا ضاق لي مال عن أداء ما حملته، ولكني أتيتك مستجيراً بك لما أصبت بالعدوان والظلم؛ فأحببت أن تظهر على من عز نصرك!، قال له: فما وجه نصرك؟، قال له: أنْ يكتب الأمير – أصلحه الله! – إلى أبي

---

[١] عنان، دولة الإسلام(ج١/٥٧٧).

[٢] الوشائع: المكوك الذي يحوي بعض القطن المندوف، الخشني، قضاة قرطبة(ص٤٢).

[٣] الخشني، قضاة قرطبة(ص٤٢).

[٤] عباس، دور المرأة الأموية(ص٦٠).

أيوب في الإمساك عن أخذي بما لم يجب عليّ، وأن يحملني محمل عامة أهلي!، فقال له هشام: خذ العقد لأهلك ولنفسك، إلى أنْ ييسر الله فيما ذهبت إليه من أمرك!"[١].

ووقفت الزوجة بجانب زوجها في وقت الشدائد، فها هي الجارية عُجب تواسي زوجها الحكم المستنصر عندما توفي قاضيه قائلة: "إني لفي الليلة التي أُعلم فيها بوفاة قاضيه عنده بائتة، فلما كان في جوف الليل فقدته عن مضجعه، فخرجت أطلبه، فإذا هو قائم يصلي في دكان الدار، فقعدت فيما يليه أنتظره، فسجد سجدةً أطالها حتى غلبتني عيناي، ثم انتبهت فإذا هو ساجد على مثل حالته، ثم غلبتني عيناي، فما راعني إلا وهو يحركني لانصداع الفجر، فأقبلت عليه أسأله: مالذي أقلقه عن فراشه.."[٢].

كما وُصفت المرأة الأندلسية بأنها كانت شديدة الوفاء لزوجها حتى بعد وفاته، كبنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال، التي لم يذكر اسمها، وعمها محمد بن يحيى قاضي الجماعة بقرطبة، كانت متزوجة بيحيى بن محمد بن الوزير يحيى بن إسحاق، فعاجلته المنية وهما في أغض عيشهما وأنضر سرورهما، فبلغ من أسفها عليه أنْ باتت معه في دثار واحد ليلة مات، وجعلته آخر العهد به وبوصله، ثم لم يفارقها الأسف بعده إلى حين موتها[٣].

وقد تحدث ابن حزم عن أخيه أبي بكر صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور محمد بن أبي عامر، الذي تزوج بعاتكة بنتُ قند، وكانت التي لا مرمى وراءها في جمالها وكريم خلالها، ولا تأتي الدنيا بمثلها في فضائلها، ولم يتصل زوجها طيلة حياته بامرأة غيرها، وحزنت عليه عند وفاته حزناً شديداً، ورفضت الزواج من غيره[٤].

كما كان في دار محمد بن عبد الوهاب المعروف بابن الركيزة من ولد بدر، الداخل مع الإمام عبد الرحمن بن معاوية، كان له جارية، وعندما جاءته المنية بيعت في تركته، فأبت أنْ ترضى بالرجال بعده، وما جامعها رجل قط، ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة المتخذات للنسل، واللذة، والحال الحسنة، وفاء منها لمن دُثِر ووارته الأرض، علماً بأنّ سيّدها الذي اشتراها

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٦٧)؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة(ص١١١).

[٢] انظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة(ص١١٤).

[٣] ابن حزم، طوق الحمامة(ص١٨٧-١٨٨)

[٤] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/٢٥٩)،

قد ألحّ عليها لضمها إلى فراشه مع سائر جواريه فأبت، فضربها ضرباً مبرحاً، وبقيت على امتناعها إلى أنْ توفيت[1].

رثانياً: رعاية الأبناء وتربيتهم:

اهتمّ الأندلسيون اهتمامًا كبيرًا بتعليم أبنائهم وتأديبهم، وكانوا يحرصون على أنْ يشاركهم في هذه المهمة مشاهير الفقهاء والعلماء والأدباء المسلمين، ولعلّ من المهام الأولى والرئيسة التي تضطلع بها الأسرة بعد تكوينها، هي إنجاب الأولاد والسهر على تربيتهم وإعدادهم لأنْ يكونوا رعايا صالحين، ينفعون أنفسهم والمجتمع في آن واحد.

بعد مرور شهر أو شهرين على الزواج، يصبح هاجس الزوجين خاصة، وعائلاتهما عامة، هو انتظار أول مولود لهما، لذا يلجآن إلى بعض الأساليب للتأكد من أنّ الزوجة حامل، "بأن يوضع تحتها بخور أو عنبر ويمنع أن يخرج من أردافها أو على ثيابها، فإنْ ظهرت الرائحة على فيها فهي حامل، وإنْ لم تظهر فليست بحامل"[2]، وفي حالة التأكد من الحمل، تحاول الأسرة معرفة جنسه، ذكراً كان أم أنثى، بإجراء قياسات حول سرة المرأة الحامل بواسطة خيط[3]، وتكون فرحة الأسرة كبيرة إذا علمت أنّ الحمل ذكرٌ[4].

تبذُل المرأة الأندلسية بالغ جهدها خلال الأشهر الأربعة الأولى للحمل، حفاظًا على حملها من أي أذى يصيبه، خشية سقوطه، فتمتنع عن القيام بالأعمال الشاقة، أو حمل الأثقال، أو اصطدام الأشياء الصلبة ببطنها أو ظهرها، وتمتنع عن الفصد والحجامة، وتتجنب ما أمكن القيء والإسهال، ويجب عليها أنْ تحذر الفزع الشديد، والأصوات القوية، وشم الرائحة الحادة، وفي المقابل تُنْصَح الحامل بتناول بعض المُلينات مثل: السكنجين ومربى الورد وجوارش السفرجل والتفاح[5]، وعندما تحين لحظة وضع المولود، تلجأ أسرة المرأة الحامل إلى القابلات، وهن نسوة يشبهن الطبيبات، متخصصات في عملية التوليد، ويبدو أنهن كن يتقاضين أجوراً مرتفعة مقابل

---

[1] ابن حزم، طوق الحمامة(ص٢٠٨).

[2] السقطي، في آداب الحسبة(ص٥٢).

[3] انظر: المصدر السابق(ص٥٢-٥٣).

[4] عاشور، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية(ص٨٥، ١٢٦، ١٠٣).

[5] انظر:الخطابي، ابن خلصون(ص١٤٩).

عملهن[1]، فتقوم إحداهن بمساعدة الجنين على الخروج من بطن أمه، ثم تلفه في خرقة من حرير، أو في قطعة من لباس رجل صالح تبركاً به[2].

وبعد إخراج المولود من بطن أمه، ينثر على جسمه شيء من الملح، أو يدهن بدهن البلوط، أو تنثر عليه أوراق الحناء[3]، ثم يتم غسله بماء فاتر، وضعت فيه كمية من الملح، فتمسح أذناه وأنفه ودبره، ثم يُمقط، وتسوى أعضاءه بلطف، ويضغط برفق على مثانته ليندفع البول[4].

وفي اليوم السابع من ولادته، تقيم الأسرة عقيقة مولودها، وهي وليمة يتم فيها ذبح شاة على الأقل، ويدعى إليها الأهل والأصدقاء والجيران، وتختار اسمًا له[5].

وتتولى الأم إرضاع المولود مدة عامين كاملين، فإنْ لم تستطع، تؤجر له مرضعة تتولى إرضاعه وغسل خرقه ولفائفه، وتحميمه مدة عامين، مقابل أجرة تتفق عليها الأُسرة مع المربية[6]، ويستحسن في المُرضعة أنْ تكون "صحيحة الجسم، حديثة السن، معتدلة المزاج، مائلة البياض، مشربة بحمرة.. لبنها كالعدسة، لا غليظاً متيناً ولا سائلاً مائعاً، طيب الرائحة، أبيض اللون[7]، كما كانت أغلب الأسر الموسرة تعهد بأبنائها إلى جواري سودانيات لتربيتهم، لإتِصَافِهن بالرحمة والحنان على الأطفال[8]، ولم تتوان بعض الأمهات في وضع تمائم لمواليدها، لإبعاد سوء الطالع عنهم، وحمياتهم من الحسد، وفي ذلك يقول ابن زيدون[9]:

وقدْماً شكَا حملَ التَّمائمِ يافعاً ليحملَ رقِراقَ الفرندِ مهنّدَا

[1] ابن الحاج، المدخل(ج٣/٢٨٣).

[2] المصدر السابق(ج٣/٢٨٥).

[3] الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس(ج١/١٥٠).

[4] المصدر السابق(ج١/٢٣٣).

[5] ابن عذاري، البيان المعرب (ج٣/ ٣١).

[6] الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود(ص٣٣٨-٣٣٩).

[7] انظر: السقطي، في آداب الحسبة(ص٥٣).

[8] المصدر السابق (ص٤٩).

[9] ابن زيدون، الديوان(ص٩٤).

الخِتان طهور الإسلام وشعاره[1]، فعندما يبلغ الصبي السنتين أو الثلاث من عمره، تستقدم أُسرته خاتنًا أو حجّاماً، فيقوم بختنه، أي يَطْحَرُ قُلْفَتَهُ ويستأصلها، فإذا كانت الأُسرة ميسورة أقامت بهذه المناسبة حفلًا بهيجًا، ودعت إليه جملة كبيرة من المدعوين، وبخاصة من الطبقة المحظوظة، من ذلك أنّ الخليفة عبدالرحمن الناصر كان يستغل مناسبة خِتان أبنائه أو أحفاده، ليقيم احتفالات عظيمة، فقد أقام الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) بقصره في قرطبة حفلاً فخماً احتفل فيه لخِتان عدة من أولاده الأصاغر، أعدّ فيه صُنوف الأطعمة الرفيعة، والفواكه الغريبة، والطبوب المثمّنة، وزانه بما أظهر فيه من الآلات السلطانية، والأدوات البديعة، وفاخر الآنية وبديع الزينة[2]، أيضاً احتفل بخِتان لأولاد ابنه عبيد الله، بقصر الزهراء، و دعى إليه أعيان الأندلس، وقدم لهم من الأطعمة ما لذّ وطاب[3]، كما أنفق المنصور بن أبي عامر حوالي خمسمائة ألف دينار، في حفل أقامه بمناسبة إعذار ابنه شنجول، وأعذر معه خمسمائة وسبعة وسبعين صبياً من أبناء العامة[4]، وعدد لا ينحصر من أبناء الضعفاء[5].

أما إذا كانت الأسرة فقيرة، فإنّها تكتفي باستدعاء الحجام إلى بيتها ليختن ابنها وتدفع له أجرة مقابل ذلك، أو أنّها تنتظر أنْ يقوم أحد الأعيان باستدعاء أطفال العامة للاختتان، بمناسبة ختن ابنه أو حفيده[6].

ثالثاً: تربية الأبناء وتأديبهم:

لا شكّ أنّ الأُسرة هي الوسط الذي يتلقى فيه الطفل المبادئ القاعدية للتربية الخُلقية، والدينية، لذا جعلت الأسرة الأندلسية تربية الأبناء أولى أولوياتها، حيث تبدأ عناية الأم بطفلها منذ أن يولد، إذ تجتهد في تناول أغذية جيدة غير فاسدة، حتّى لا ينتقل فسادها إلى رضيعها عن

---

[1] ابن رشد، البيان والتحصيل(ج٢/١٦٣).
[2] ابن حيان، المقتبس(ج٥/٣٢٠-٣٢١).
[3] الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم(ج١/٣٠٦).
[4] الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج١٧/١٧٨).
[5] المقري، نفح الطيب(ج١/ ٥٩٦).
[6] المصدر السابق(ج١/ ٥٩٦).

طريق الحليب، وتستعمل أثناء تحريكها المهد به، ألحانًا وأصواتًا مطربة للنفس، تساهم في إصلاح نفسيته[١]، كما تمنع عنه كل ما يؤذي جسمه أو عقله أو نفسه.

فإذا بلغ الطفل السابعة من عمره، أمر بأداء الصلوات المفروضة، كما يرسل في هذا السن إلى الكُتَّاب ليتعلم القرآن الكريم والمبادئ الأولى للعربية[٢].

أولى الأندلسيون عناية فائقة لتعليم أبنائهم، فإذا بلغ الطفل سبع سنوات، من عمره، أرسله أبواه إلى المدرسة الإبتدائية المسماة الكُتَّاب، على ألا يعنفه معلمه أثناء عملية التعليم، حتى يبلغ عشر سنوات[٣]، ومن المدارس التي كانت تستقبل الأطفال، مدرسة وجدت في قرطبة، خلال القرن (الثالث الهجري/التاسع ميلادي)، كانت مُلكاً لأسرة تعرف ببني حزم، يدرس فيها الأب الصبيان، والابن الفتيان، والبنت الفتيات[٤]، مما يوحي بالفصل بين الأطفال الذكور والإناث في المدرسة.

وأسندت بعض الأُسر مُهمة تعليم أطفالها إلى نُسوة مُعَلِمات[٥]، ويتم تلقين الطفل خلال سنوات التعليم الأولى، التي تدوم حوالي سبع سنين، القرآن الكريم، والشعر والخط[٦]، وهذه منهجية سليمة، حسب ابن خلدون، تُمكِّن الولد من التحكم في اللغة العربية، وتفتح أمامه أبواب العلوم المختلفة[٧].

اهتمت السلطة الحاكمة في الأندلس بالتعليم، وبخاصة الإبتدائي منه، إذ أنشأ الخليفة الحكم المستنصر سبعة وعشرين مُكتّبًا، لتعليم أبناء المساكين، موزعة على قرطبة وأرباضها، وعين لها المؤدبين، وأجرى عليهم المرتبات[٨]، ثم حبس عليهم حوانيت السراجين بقرطبة[٩]، إدراكًا منه لأهمية العلم والتعلم من جهة، ولخطر الجهل والأمية من جهة أخرى.

---

[١] انظر: الخطابي، ابن خلصون(ص١٥٠).
[٢] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر(ج٢/٧٤٠).
[٣] انظر:الخطابي، ابن خلصون(ص١٥١).
[٤] ريبرا، التربية الإسلامية(ص١٣١).
[٥] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/١٦٦).
[٦] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر(ج٢/٧٤٠-٧٤١)، ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١/ ١٦٦).
[٧] المصدر السابق(ج٢/٧٤١).
[٨] ابن عذاري، المغرب(ج٢/٢٤٠).
[٩] المصدر السابق(ج٢/ ٢٤٩).

مما سبق يتبن الدور الذي لعبته الأم في الحفاظ على المجتمع الأندلسي قائماً، بإنجابها للأطفال والاعتناء بهم، ومحاولة تربيتهم التربية الحسنة، وتوجيههم التوجيه الذي كانت تراه سليماً، فنجحت في مهمتها، كما كان للأمهات الدور الأبرز في تنشئة الأطفال، لملازمتهم خلال السنوات السبع الأولى من حياتهم.

المبحث الثالث: اهتمام النساء المسلمات في الأندلس بالنظافة

اهتمّ الدين الإسلامي بالنظافة الإنسانية، كونها تمثل قِيمة مهمة من القِيم الجَميلة ومَظهرًا من مَظَاهِر الحضارة الإسلامية، وسلوكًا حضاريًا يتميز به الإنسان، وفقًا لديننا الحنيف ووفقًا لسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهذه النظافة ليست ترفًا اجتماعيًا في المجتمع المسلم، بل هي سُلوك إسلامي أصيل، وعبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، والنظافة عند المسلم هي شطر الإيمان؛ فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الطهور شطر الإيمان**"[(١)].

ولقد اهتمّ الأندلسيون بنظافتهم سواء أكان ذلك ما يتعلق باللباس أو الفراش أو المنزل، فهم يحبون النظافة حبًّا شديداً، يقول المقري فيهم: "**وأهل الأندلس أشدُّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلّق بهم، وفيهم مَنْ لا يكون عنده إلا ما يقوته يومَهُ، فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العين عنها**"[(٢)].

وكان أهل الأندلس يستهزئون بالشخص الذي يرتدي ثيابًا غير متناسقة، أو ذات ألوان غير متناغمة[(٣)]، لذلك كانوا يرتدون الثياب الرفيعة الملونة، المصنوعة من الصوف أو الكتان أو غيرهما[(٤)]، وجعلوا لكل فصل ألبسة خاصة، إذ كانوا يلبسون الثياب البيض في فصل الصيف، ثم ينتقلون في فصل الخريف إلى ارتداء الثياب الملونة، والمتمثلة خاصة في الجباب والدراريع التي لا بطائن لها، وفي الشتاء ينتقلون إلى الثياب ذوات الحشو والبطائن الكثيفة[(٥)].

أولاً: الاهتمام بنظافة المُحِيط:

تعد النظافة من القِيم السائدة في المُجتمع الأندلسي، حيث حَرِص أفراد المُجتمع على نظافة مُحيطهم وأَجسادهم، وقد أمدتنا المصادر لفترة الدراسة بمعلومات في غاية الأهمية توضح

---

(١) [مسلم، صحيح مسلم(ج١/٢٠٣)، رقم الحديث: ٢٢٣].

(٢) نفح الطيب(ج١/ ٢٢٣).

(٣) الخشني، قضاة قرطبة(ص٨٠).

(٤) ابن حيان، المقتبس(ج٢/(ص٥٢).

(٥) المقري، نفح الطيب(ج٣/١٢٨).

مدى حرص هؤلاء على النظافة، فبالنسبة لنظافة المحيط أفرد (ابن عبدون) في رسالته ضمن الفصل المتعلق بالمباني وإصلاح الطرق والسروب، والمزابل، وإماطة ما فيه ضرر للمسلمين معلومات طيبة عن ذلك> حيث أمر أهل الأرباض بحمايتها من طرح الأزبال والقاذورات فيها[١].

كما أمر ابن عبدون بإصلاح الأماكن التي تتجمع فيها المياه والطين؛ لِما فيها من أذى للناس، وحث كل فرد من أفراد المجتمع على نظافة فناء داره وحمايته، مع حرص على إصلاح القنوات التي تتسرب منها الأوساخ، وهذا لقطع الضرر عن الناس خصوصًا زمن الصيف، لما لهذا الفصل من خصوصية في سرعة انتشار الأوبئة، كما أمر بأنْ لا يطرح شيء من الأزبال داخل المدينة، وألا تنقى الكنف إلا خارج الأبواب في الفدادين أو الجنات، أو الأماكن المعدة خصيصًا لذلك، وأكد على أهل الأرباض أن يلتزموا بتنقية ما اجتمع عندهم من زبل، وأن لا يترك مجتمعًا بين أظهرهم، وأجبر باعة الحشو والدوم، وكل ما له زبل أنْ يحرصوا على نظافة مواضعهم، وأنْ لا يجلسوا أو يبيعوا سلعهم إلا في أماكن نظيفة[٢]، على عكس ذلك كانت شوارع وأزقة أوروبا مليئة بالقاذورات[٣] .

وقد وصف لنا ابن حوقل مدينة قرطبة حيث قال:" فسحة أسواق، ونظافة محالّ، وعمارة مساجد، وكثرة حمّامات، وفنادق"[٤]، وقد اندهش السفراء الذين قدموا إلى مدينة الزهراء من مشاهدة المرافق الصحية والحمامات بالمدينة، إذ لم تكن قصور أوروبا جميعاً ولا مدنها تعرف حينذاك مثل هذا النظام المحكم لتلك المرافق، الذي يهيأ فيها أنابيب تتدفق منها المياه، ومجار تنزح منها الفضلات[٥].

---

[١] رسالة في آداب الحسبة والمحتسب(ص٣٧).

[٢] المصدر السابق(ص٣٧).

[٣] هونكه، شمس العرب(ص٤٩٩).

[٤] انظر: صورة الأرض(ج١/١١١).

[٥] فكري، قرطبة في العصر الإسلامي(ص٢٣٣).

وحرص أفراد المجتمع الأندلسي بمختلف طبقاته على نظافة أجسادهم وملابسهم ، والظهور بمظهر لائق. كما صور لنا(ابن قزمان) في أزجاله مدى حرصه على نظافة جسمه والظهور بمظهر أنيق في لباسه رغم ضيق حاله[١].

ثانياً: الاهتمام بنظافة البدن:

تعد الطهارة والنظافة إحدى خصائص الدين الإسلامي والتي أمر بها الشارع، وفرضها كشرطِ صحةٍ لعبادات تشكل أركان الإسلام، ولهذا حرص المسلمون على النظافة حتّى أصبحت النظافة ميزة خاصة بالمسلمين، ومع انتشار الإسلام في الأرض حَمل المسلمون معهم حضارتهم إلى البلدان المفتوحة، ومن أهم معالم هذه الحضارة الحَمّامَات، فمثلًا في الأندلس الإسلامية كان لا يخلو بيت من حَمّام للاغتسال والوضوء، ولا يخلو شارع من حمام عمومي، وطبعاً لا يخلو مسجد من موضأة، فقد قام الحكم المستنصر بهدم الميضأة القديمة التي كانت بفناء الجامع، يستسقى لها الماء من بئر السانية، وبنى موضعها أربع ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها اثنتان كبرى للرجال وصغرى للنساء ليتوضآن منها[٢].

ولعلّ ما يزيد في تأكيد حِرص أفراد المجتمع الأندلسي على نظافة أجسامهم، أنّ ذلك يرتبط ارتباطًا كليًا بما أنجزوه من حمّامَات في مختلف أنحاء الأندلس، وما حرص رجال الحسبة لما يجب أن تكون عليه صهاريج الحَمّامَات أنْ تكون مغطاة، فإنْ كانت مكشوفة لا تؤمن نجاستها، فهي موضع طهارة[٣]، وما يجب أنْ يتحلى به المستخدمون فيها إلا تأكيدًا على ارتباط عضوي، حيث تنتشر الحَمّامَات في غالبية الدول العربية والإسلامية، وهو تقليد سار عليه المسلمون في المدن، ويرتبط بناء الحَمّامَات بأسباب عدة منها أسباب صحية، وأخرى دينية، فالنظافة يرتبط بها المسلمون لما لها من علاقة بالوضوء والصلاة، وعادة ما تبنى الحمامات قرب المساجد بسبب الارتباط الديني بين الصلاة والنظافة، إضافة إلى ذلك فإنّ الحمّامَات تُعد ظاهرة اجتماعية تقليدية لدى المسلمين، حيث من المعروف أنّها تجمع عدداً من الناس يتسامرون ويتعارفون[٤]، فقد

---

[١] ديوان ابن قزمان، زجل رقم (٦٨).

[٢] المقري، نفخ الطيب(ج١/٥٥٥).

[٣] ابن عبدون، آداب الحسبة(ص٤٨).

[٤] بلباس، الأبنية الإسلامية(ص١٠٩)، الجيوسي، الحضارة الإسلامية(ص٨٧٨).

حَرِصت النساء على الذهاب إلى الحَمّامَات، والبقاء فيها مدة طويلة، مما جعل العامة تستنكر ذلك، في قولهم "**مشت للحمام غابت سبعة أيام**"(١).

وقد اشتهرت المُدن الأندلسية بكثرة حمّامَاتِها العمومية التي كان يقصدها السكان على اختلاف دياناتهم، لتنظيف أجسامهم، والمسلمون منهم لرفع الحدث الأكبر، وللاغتسال استعدادًا لصلاة الجمعة، ولهذا ارتفع عدد الحَمّامَات في المدن الأندلسية، ففي قرطبة مثلًا وصل عددها في عهد الخلافة الأموية إلى تسعمائة حمام(٢)، منها ثلاثمائة خاصة بالنساء في عهد المنصور بن أبي عامر(٣)، وهذا العدد دليل على اهتمام المرأة بنظافتها، ومما يدفع بنا إلى القول بوجود أكثر من حمام واحد في كل ربض من أرباض المدينة على اعتبار النظافة جزء من الإيمان، وبالتأكيد فإنّ هذا العدد يدل على أنّ إنشاء تلك الحَمّامَات ابتدأً منذ دخول المسلمين إلى الأندلس والاستقرار فيها حتّى وصل إلى هذا العدد في عهد المنصور بن أبي عامر.

أما المنازل المهمة والقُصور، فكانت لها حمامات خاصة على طراز الحَمّامَات العامة ولو أنها أصغر منها بوجه عام(٤).

وكان استخدام الحَمّامَات من قبل العامة قد رافقتها شروط أدبية وصِحْية يجب المحافظة عليها، ومنها المحافظة على العزلة بين الجنسين، إذ كانت الحَمّامَات العامة تحجز للنساء أيامًا معينة في الأسبوع، فكانت النساء يذهبن للاستحمام أيام الأحد والثلاثاء والخميس، والرجال باقي الأيام، وقيل أن الرجال يذهبون إلى الحَمّامَات أيام الثلاثاء والخميس والسبت، والنساء أيام الاثنين والأربعاء، واليهود أيام الجمعة والأحد(٥).

وكانت هناك حَمّامَات تُستَعمل من قِبل كلا الجِنسين في أوقات مختلفة، فالرجال صباحًا والنساء بعد الظُهر، وكان على المُسْتَحم أنْ يَدفع ثمن الدخول وإنْ كان زهيدًا جدًا، وهذه الحَمّامَات

---

(١) الزجالي، أمثال العوام(ج٢/ص٣٣٨).

(٢) المقري، نفح الطيب(ج١/٥٤٠).

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٣٢).

(٤) بلباس، الأبنية الأندلسية(ص١٠٩).

(٥) طه، دراسات أندلسية(ص ٢٤١-٢٤٢).

تابعة للملك أو المساجد أو الجهات الدينية وإذا لم يكن بالحمّام ماء جارٍ فإنه كان يجلب من آبار بواسطة سواقي وينقل على دواب الحمل، وكانت تضاء ليلًا بالشموع[١].

هذا وقد حرصت الدولة على مراقبة الحَمّامَات والتي تعد مراقبتها من وظائف المحتسب، حيث تشمل مُراقبة صهاريج الحَمّامَات حيث يجب أنْ تكون مغطاة، فإن كانت مَكشُوفة لم يُؤمن نجاستُها مَوضِع طَهارة، ويجب أنْ لا يمشي الطيّاب، ولا الحكّاك، ولا الحجّام في الحَمّام إلا بالتُّبّان وسراويلات[٢].

وكان الأندلسيون يذِمون الوَسخ والنَتن، واعتبروا هذه من الأسباب التي تُوجب طلاق الرجل لزوجته، فقالوا: "**إذا رأيت المرأة تمخط في قنعها وتخرج المفتول بأصبعها لا تبقى معها**"[٣]، كما رأوا أنّ عدم اهتمام المرء بتنظيف فمه، ومنع الروائح الكريهة من الانبعاث منه، من الأشياء التي تسيء إلى سمعته، فقد قال الشاعر[٤]:

ومنتن الرّيح إن نَاجَيْته أبدا　　　كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خيشومه فار

اهتمت المرأة الأندلسية بتطيب رائحة فمِها، فتناولت حُبوب كَحَب السُعال مجففة مصنوعة من بسباسة، منّ سعدى، ماء ورد، وقرنفل، وصمغ عربيّ، حيث يحلى الصمغ بماء الورد وتلقى باقي المكونات المذكورة فيه مسحوقة ومنخوله[٥]، أيضاً طيّبت فمها بمضغ العود الرطب، والكزبرة، والفول وقشر الأترج[٦].

واستخدمت المرأة الأندلسية المسواك المصنوع من خشب عطري لتنظيف أسنانها[٧]، وهو أمر لم تعرفه نساء المجتمع الأوروبي حينها[٨]، وفي المسواك يقول الشاعر[٩]:

---

[١] بلباس، الأبنية الأندلسية(ص١١٥).
[٢] ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب(ص٤٨).
[٣] الزجالي، أمثال العوام (ج٢/١٣).
[٤] ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب(ج١/(ص٨٣).
[٥] انظر: السقطي، آداب الحسبة(ص٥٣).
[٦] المصدر السابق(ص٥٢).
[٧] المصدر السابق(ص٥٢).
[٨] عوض الله، دور المرأة السياسي(ص٢٣٨).
[٩] ابن خاقان، مطمح الأنفس(ص٣٤٣).

أرى نكهة المِسَواك في حُمْرةِ اللَّمّـى ... وشاربك المخضرّ بالمِسْكِ قد خُــطَّا

عَسَـــى قَــزَحٌ قَــبَّلْـــتِهِ فـإخَـالـه ... على الشّفَةَ اللمياء قد جاَء مُخْتـطَّا

أيضاً اعتنت المرأة الأندلسية المسلمة بنظافة جسمها، حيث كانت تغسل شعرها بالبورق وميويزج وماء السلق ودردي الشراب والصابون خوفاً من القمل، وتزيل رائحة أنفها بسعوط من دهن المرزنجوش والبنفسج والنيلوفر والياسمين، وتزيل الشعث من أصول الأظافر بغسلها بالخل والعسل والمرتق وبدهن الورد واللوز المرّ[١].

واعتنت المرأة الأندلسية بنظَافة الملابس، حيث كانت تخرج بانتظام إلى النهر لتغسِل مَلابِسها ومَلابِس زَوجِها وأَبنائِها، فكانت لهن أماكن مُخصصة من النهر، بحيث تكون بعيدة عن أماكن السقاية، وبعيداً عن أعين المُتطَفِلين، والمُتسَكِعين، فكان المُحتسب يمنع العَاطِلين من التّسَوُر عليهن، في ذلك الموضع، حتّى يأخذن حُريتِهن في غَسل المَلابس دُون رَقابة، أو مضايقة[٢].

ولم يتوقف اهتمام المرأة الأندلسية عند هذا الحد من الاهتمام بنظافة جسدها وثوبها، بل تعداه الأمر إلى الاهتمام البارز بالتّطَيُب بالرّوائِح العَطِرة، فتُطَيب جَسَدَها بالصندل وماء الورد وبأنواع من البخور، وتُطَيب ثِيابها بالذُّرور المطيَّبة[٣]، فقد أَولت المرأة الأندلسية عِناية فَائقة بِحُسن مَظهرها، فقد كانت تَخضِب شَعْرَها بالحِناء وكذلك رِجليها ويَدَيها، وتُكْحِل عَينيها بالكُحْل، إضافة إلى ارتِدائها الثِياب الجَميلة النّظيفة وارتدائها الحُلي الذهبية[٤]، وكانت المرأة تضع الدُهون والزُيوت على شَعْرِها وتَتَعَطر بها وتَلبس على رأسها الغَفارة، وهي عبارة عن قطعة قماش تكون على رأس المرأة،حفاظاً على خمارها لئلا يتّسخ من الدُهون والزُيوت التي كانت تتعَطر بها[٥]،

---

[١] السقطي، آداب الحسبة(ص٥٢).

[٢] ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل في الحسبة(ص٣٢).

[٣] السقطي، آداب الحسبة(ص٥٢).

[٤] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة(ج٢/٣٥٣).

[٥] دوزي، المعجم المفصل(ص٢٥٥).

وصَنعت من قُشور الجوز صباغاً للشفاه[1]، واستخدمت الأمشاط لتُسَرِح شَعرَها، والمرايا للتزيُن عليها[2].

تأثرت المرأة الأوروبية بنظافة المرأة الأندلسية، فكانت المرأة الأوروبية متخذة من قذارة الجسد دليل طهارة النفس[3]، وذلك عكس المرأة الأندلسية التي اهتمت بنظافتها.

أما نظافة الغذاء اهتمت المرأة الأندلسية بنظافة أواني الطبخ ونظافة الغذاء، فانطلاقاً من أمثال العامة التي ورد فيها مثل يخص نظافة الأواني والطبخ والطّباخ "**قدرة الزَّفت ما يطبخ فيها المعسَّل**"[4]، أي أن القدر الوسخة لا يُمكن أنْ تطبخ فيها الأطعمة خاصة الحلوى والمعسلات.

ومما سبق يتبن أنّ نساء الأندلس قد اهتممن بنظافة أجسادهن، ونقاوة ثيابهن، وطيب رائحتهن، وزينتِهن، واهتممن بنظافة الغذاء.

---

[1] ابن بسام، الذخيرة(ج١/٢٤٢).

[2] الونشريسي، المعيار المعرب(ج٢/٩٤).

[3] عبد العزيز، المرأة العربية في الأندلس(ص١٢٥).

[4] انظر: الزجالي، أمثال العوام(ج٢/ ٣٣٨).

المبحث الرابع: اهتمام النساء المسلمات في الأندلس بطلب العلم.

لقد قدمت الأندلس في واقع الأمر إسهامات علمية جليلة ومقدرة للأمة الإسلامية، وإننا لا نزال حتى اليوم ننهَل من فيض العلم الذي خلفه لنا أهل الأندلس على الرغم من ضَياع الكثير من المخطوطات والكتب النفيسة، وقد اهتمت الدولة الأموية في الأندلس بالعلم والعلماء وطلابه، وشجعت طلب العلم انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[1]، وقال عز وجلّ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [2]، وقال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**"[3].

نالت المرأة الأندلسية المسلمة قسطًا وافرًا من الحرية في التعليم والتثقيف، فنافست الرجل في طلب العلم، فقد طرقت أبواب الأدب والتَعْليم، والدِراسات الدِينية، والعُروض والكتابة[4]، فلا غرو أن يكون أساتذة مثل ابن حزم، فقيه الأندلس، ممن تعلموا على يد النساء، فقد ذكر في رسائله قوله: "**وهن- أي النساء- علمنني القرآن وروينني كثيرًا من الأشعار ودربنني في الخط**"[5]، وكانت المرأة الأندلسية المتعلمة تتولى تدريس الفتيات في مراحل التعليم الأولي حتى إذا جاوزنها اعتمدن في تحصيلهن علي بعض المعلمين الرجال أو النساء وكن يذهبن إلى المسجد للتعليم؛ بل إنّ نشاطهن لم يقف عند حد الدراسة في الأندلس فقط، وإنما رحلن إلى الخارج – المشرق العربي – ليدرسن كالرجال سواء بسواء.

اهتمت بعض نساء الأندلس بالناحية العلمية، فوصف بعضهن بكونهن عالمات مثل الفقيهة فاطمة بنت يحيى المغامي، كما اهتمت النساء ببعض العلوم مثل الطب، حيث نوّه ابن حزم إلى

---

(١) [المجادلة:١١].

(٢) [الزمر:٩].

(٣) [ابن ماجه، سنن ابن ماجه(ج١/٨١)، رقم الحديث: ٢٢٤].

(٤) عباس، دور المرأة الأندلسية(ص١١).

(٥) ابن حزم، رسائل ابن حزم(ص١٦٦).

وجود نساء مارسن الطب، وكانت لُبنى كاتبة الحَكَم، مهتمة بالعلم ولها معرفة بالحساب وعلم العروض[١].

وساهمت المرأة فضلاً عن تلقيها العلم في اقتناء الكتب العلمية، فكانت من هواياتهن جمع الكتب، حتّى صار لدى البعض منهن مكتبة خاصة بهن، منهن عائشة بنت أحمد القرطبية، التي كانت تمتلك مكتبة بها كُتب نادرة، وتَقضي مُعظم وقتِها بين خِزانة كُتبها، وكان ثراؤها عوناً كبيراً في شراء تلك الكتب[٢]، وهذا بحد ذاته يدل على اهتمام المرأة بالحركة العلمية، والرغبة في التعلم والاطلاع على المؤلفات.

أولاً: تعليم المرأة في الأندلس:

كان أهل الأندلس يُرسِلون الفتيات إلى المدارس الأولية منذُ الصِغَر، لكي يتعلمن المواد نفسها التي تُدرس للصِبيان عادةً، وبعضهن فيما بعد كن يواصِلن التعليم العالي، ويحصُلن على الإجازات نفسها التي يحصُل عليها الرِجال عادةً، وبعضهن يدرسن الفِقه، والقِراءات، والسنة، وهي دراسات كان بعضها يؤهل صاحبه لأنْ يحترف التعليم، ويمارسه كمِهنة نبيلة، وأخريات يدرُسن الأدب ومواداً أخرى يُمكن أنْ تنفعهن أحيانًا لكي يتبوأن مناصب في ديوان الكتابة الملكية، إذ كانت خطوطهن جميلة[٣]، أو يجدن التحرير في لغة أدبية راقية، ولم يكن عدد اللائي تميز كشاعِرات وأدِيبات قليلًا، مثل عائشة بنت أحمد القرطبية، التي نافست أشد الرجال شُهرة في عصرِها بذكائِها، وبلاغتِها، ومهارتِها في الشِعر وغيره، وكانت حسنة الخط، وقد وهبت نفسها للدراسة والعلم، وبالتالي ومِن أجل ذلك عزفت عن الزواج وماتت سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)[٤] .

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٧).

[٢] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٣] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة(ج٣/١٥٦)

[٤] المقري، نفخ الطيب(ج٤/٢٩٠).

ومن أستاذات هذا العصر في الشعر مريم بنت يعقوب الأنصاري، وكانت تغدو على بيوت إشبيلية فتُعلِم نِساءُها الشعر والأدب، ولها بينَهُن منزلة محمودة لِسِمُو أدبها وفرط حِشمَتِها، وكان عُظماء البلد يجلونها ويدنونها لعراقة أثرها ونبالة خلقها وحسن بديهتها[١].

وتزاحم الطلاب على الدراسة وطلب العلم جعل المرأة أيضًا تقبل عليها، وتفتح المدراس وتلقي فيه الدروس كما يصنع الرجال، وكان لبني حزم وهي أسرة اشتهرت بالأساتذة مدرسة من أشهر مدارس قرطبة، يدرس فيها الصبيان والفتيات[٢].

وقد بلغت المرأة المسلمة في الأندلس قدرًا عالياً من التعليم، والتقدير الرفيع، يُمكن أنْ يقارن مع أكثر النساء تعليماً بين الشعوب القديمة، دون تفرقة بين جنس الفتيات، فحتّى النساء السوداوات اللائي عشن في الأندلس، ويُمكن أنْ نتخذ منهن مثلًا للمرأة المسلمة المتعلمة في الأندلس[٣].

كان للبنات حظ من التعْلِيم، ويدلُّ على ذلك أسماء كثيرة لنساء أندلسيات برزن في المجالات العلمية المتنوعة، ما يدل على انتشار التعليم بين نساء الأندلس، واحترام الأندلسيين للنساء المتعلمّات واللواتي يُتقِنّ العُلوم المتنوعة، ونذكر هنا حبيب بن الوليد الذي خرج إلى مكة واجتمع مع ابن عم له، وقد وهَبه جارية سوداء حالكة اللون من رقيق المدينة، تسَمَّى عابدة المدنية، تروي عن مالك بن أنس وغيره من العلماء، فتسند عشرة آلاف حديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فأُعجب بذكائها، وفتنته مواهبها العلمية، ولم تمنعه رقة مولدها ولا اختلاف جِنسها من اتخاذها زوجة له، وُرزقَ منها بابنه بشر، وهو من المشهورين في قرطبة، وابنته عبدة مشهورة أيضًا، ولها رواية عنه في أشعَارِه وأخبَاره[٤].

---

[١] الباجوري، المرأة في جاهليتها وإسلامها(ص١٣٣).

[٢] ريبيرا، التربية الإسلامية(ص١٣٠).

[٣] المرجع السابق(ص١٣١).

[٤] ابن حيان، المقتبس(ص ٢٢٧–٢٢٨)، المقري، نفح الطيب(ج١٣٩/٣).

ولم يقتصر التعليم في الأندلس على فئة واحدة من النساء، بل شمل شرائح المجتمع النسوي في الأندلس، إذ رأى الأندلسيون ضرورة تعليم بناتهن منذُ الصغر بما يلزمهن من مجالات الأدب والشعر والفقه، وقد جرت العادة تعليمهن داخل الدور [١].

ثانياً: الرحلة في طلب العلم:

ولم يقف نشاط المرأة الأندلسية عند حد الدراسة فحسب، وإنّما رحلن إلى الخارج ليدرسن كالرجال سواء بسواء، والخروج من أجل طلب العلم، ورغم قلة انتشار هذا النوع من التعليم بين النساء، إلا أنّ ثمّة إشارات قليلة تدل على خروج بعضهن طلبًا للعلم.

فقد أخرج الحَكَم المُستنصر من قصره وصيفة غلامية لم يُذكر اسمها، ذكية كيسة كاتبة فهمة، فَأمر أَبَا الْقَاسِم سُلَيْمَان بن أَحْمد بن سُلَيْمَان الْأنْصَارِيّ الْمَعْرُوف بالرصافي وبالقسام أَن يعلمهَا التَّعْدِيل وخدمة الإسطِرلاب، فَقبلت ذَلِك كُله وحَذِقَته، واستكملت عِلمه فِي ثَلَاثَة أَعْوَام أَو نَحْوهَا وأُعجب الحكم بهَا وألزمها خدمَة مَا تعلمته فِي دَاره[٢].

وقد تكون الرحلة لطلب العلم داخل الأندلس بين مدنها، وذلك من أجل لقاء الشيوخ وأخذ العلوم عنهم، كما حَدَثَ مع ابنة فايز القرطبي التي خرجت من قرطبة إلى دانية لتأخذ علم القراءات، ثم إلى بلنسية، وبعدها إلى المشرق، وربما التقت بالعلماء وهي في رحلتها، وفي طريق عودتها ماتت سنة(٤٤٦هـ/١٠٥٤م)[٣].

وكذلك أُم الحسن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ بن عبد الله بن وانسوس (ت:٢٢٩هـ/٨٤٤م)، التي كان لها رحلة، حيث حجّت وسمعت الفقه والحديث في مكة وتوفيت ودفنت فيها[٤]، ولم تذكر سنة وفاتها.

وذهبت خديجة بنت أبي محمد عبدالله الشنتجيالي، إلى المشرق مع أبيها، وحضرت معه بمكة الدروس نفسها التي حضرها، وسجلت في الإجازات التي شهد بها الأساتذة لصالحها، وفي

---

[١] عيسى، التعليم في الأندلس(ص٢٦١).

[٢] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٧).

[٣] المصدر السابق(ج٤/٢٥١).

[٤] المصدر السابق(ج٤/٢٤٤).

المشرق درست أيضًا فاطمة بنت سعد الخير بن محمد، ذهبت إليه برفقة والدها، وحضرت دروس كبار علمائه، ورحلت راضية مولاة عبدالرحمن الناصر، وقد أعتقها الحكم من أبيه، وتزوجها لبيب الفتى، من رجال قصر الخلافة، وحجا معًا، وكانا يقرآن ويكتبان، ولقيت عددًا من العلماء، ونسخت مجموعة من الكتب حافظ عليها الورثة من بعد، كنسيج من الذهب، وقدرها على نحو عظيم صفوة تلاميذها في الأندلس، وامتد بها العمر طويلًا، فتوفيت في حدود سنة (٤٢٣هـ/١٠٣٢م)، وقد نيفت على مائة وسبعة أعوام[١].

وشاركت النساء الرجال في الإجازة، فقد ذُكِر أنّ إحدى النساء الماهرات في القراءات وتدعى ريحانة قرأت القرآن الكريم على المقرئ سعيد بن عثمان في المرية، وأتمَّت القراءات السّبع، وطلبته الإجازة فامتنع، ولكنَّه كتبها لها فيما بعد[٢].

وأيضًا فاطمة بنت علي بن شريعة، أخت المحدِّث محمد بن علي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م) في إشبيلية، التي منحَتْ هي وأخوها إجازة من محمد بن فطُيس (ت:٣١٩هـ/٩٣١م) وهو فقيه محدِّث بألبيرة[٣]، بخط يده، في جميع روايته[٤].

مما سبق يتضح لنا تعدد علوم وثقافات بعض النساء المتعلمات في الأندلس، فلم يقتصر تعليمهن على جانب من العلوم؛ بل اتسع بالتنوع، وكان لذلك أثر كبير في إثراء النشاط الفكري والثقافي في الأندلس.

ثالثاَ: اهتمام النساء الأندلسيات بالخط العربي:

الخط والكتابة مظهر من مظاهر حضارة الإنسان وتطور علومه، والرقي الفكري، فقد عدّ ابن خلدون الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية[٥]، فمع ازدهار العلوم في الأندلس ازدهرت

---

[١] ابن بشكوال، التكملة(ج٢/٦٥٧).

[٢] الضبي، بغية الملتمس(ص٤١٢).

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٠٦).

[٤] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٣).

[٥] ابن خلدون، ديوان الخبر والمبتدأ(ص٥٣٨).

صنعة النسخ، للمحافظة على المؤلفات والكتب من الضياع والخراب، إضافة إلى إقبال الناس كافة على العلوم في الأندلس، فكانت الحاجة إلى النساخ والكتاب[١].

ثمة ظاهرة تستحق الإعجاب، وهي تفوق النساء في هذا الميدان وبُروز عدد كبير منهن خطّاطات وناسخات ماهرات، حيث شاركت النساء في هذا النشاط العلمي، فكان منهن الخطّاطات البارعات، وكان في قرطبة وأرباضها المختلفة طائفة كبيرة من النساء البارعات في الخط، وكنّ ينسخن المصاحف بخط جميل[٢]، ففي قرطبة كان مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[٣]، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع أرباض قرطبة خاصة، ومُدن الأندلس عامة، ولم يقتصر نسخ المصاحف على نساء العامة، وإنما اشتهرت بها أيضاً نساء البلاط، فقد عُرف عن البَهَاء بنت الْأَمِير عبد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام أنها كانت تنسخ الْمَصَاحِف توقفها[٤]، واشتهرت من حرائر الأندلس، عائشة بنت أحمد القرطبية بكتابة المصاحف[٥].

ومن الحرائر اللاتي مارسن الكتابة، فاطمة بنت زكريا التي كانت لها مقدرة في الكتابة بأسلوب رائع ومعبر، فكانت تكتب الكتب الطوال بطريقة جزلة عمّرت عُمراً طويلاً، واستكملت أربعاً وتسعين سنة تكتب، توفيت سنة(٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، ودفنت بمقبرة أم سلمة وشهدها جمع من الناس، ماتت بكراً لم تُنكح قط[٦].

ومارست مِهنة الكِتابة طائفة كبيرة من الجواري الأندلسيات مع اتصافهنّ بالبراعة وجَودة الخط، والبلاغة والفَصاحة في التعبير والإنشاء[٧]، وكان لذلك أثره في بلوغ بعضِهن منزلة عالية لدى الخلفاء، فتولت المرأة منصب الكَاتِبة في قُصور الخِلافة الأموية في الأندلس، ومن يتولى هذا المنصب يجب عليه أنْ يكون واسع بعلم اللغة والخط، بالإضافة إلى السّرية والكِتمان، فقد تفوقت

---

[١] عباس، دور المرأة الأندلسية(ص٢٦٥).

[٢] البشري، الحياة العلمية(ص١٣٣).

[٣] المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب(ص٢٦٧).

[٤] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٣).

[٥] المقري، نفخ الطيب(ج٤/٢٩٠).

[٦] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٦).

[٧] عوض الله، دور المرأة(ص٢٨٩).

المرأة الأندلسية على المرأة المشرقية حينما عملت كاتبة في قصور الخلافة، ومن أبرز الكاتِبات التي وردت أسمائُهن في المصادر، الكاتبة رُقية بنت الْوَزير تَمام بن عَامر بن أَحْمد بن غَالب بن تَمام بن عَلْقَمَة مولى عبد الرَّحْمَن بن أم الحكم الثَّقَفِيّ، دخلت الْقصر بقرطبة، وَكَانَت تكْتب لابنَة الْأَمِير الْمُنْذر بن مُحَمَّد[١]، وزُمرد الكاتبة الحاذِقة توفيت سنة(٣٣٦هـ/٩٤٧م)[٢]، وكان للخليفة عبدالرحمن الناصر كاتبة تُدعى مزنة، وُصفت بالمهارة في الكتابة وحُسن الخط، توفيت سنة(٣٥٨هـ/٩٦٩م)[٣]، أما كِتمان الكاتبة من جواري قصر الْخلَافَة بقرطبة المتصفات بالفهم والنُبل، كَانَت من طبقَة مُزنة الكاتبة للناصر عبد الرَّحْمَن[٤].

كما كان للخليفة الحكم المستنصر كاتبة تدعى لُبنى من أشهر الكاتبات، عُرفت بالبراعة في الكتابة وسِعة الأدب حتّى قال في وصفها ابن بشكوال: " لم يكن في قصرهم – أي الخلفاء– أنبل منها وكانت عروضية، خطاطة جداً"[٥]، أيضاً برعت في عِلم البلاغة نِظام الكاتبة في عصر الخليفة هشام المؤيد، ووُصفت بأنها بليغة مدركة مُحبرِة للرسائل[٦].

وباستعراض أسماء هؤلاء الكاتبات المتميزات نستدل على أنّ المرأة الأندلسية تَعَلّمت وأبدَعَت ونالت ثقة كبيرة لدى الحكام بتنصيبها منصب الكاتبة في قصورهم.

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٥).

[٢] المصدر السابق(ج٤/٢٤٦).

[٣] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٤] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٧).

[٥] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[٦] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٩).

الفصل الرابع

أثر صلاح النساء المسلمات في الأندلس على الدولة والمجتمع.

المبحث الأول: تربية الأبناء الصالحين

رَغَب الإسلام في اختيار الزوجة الصالحة على أساس الدين، وحثت السنة النبوية المسلم على الزاوج بالمرأة الصالحة ذات الدين لسعادته في الدنيا والآخرة، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم مواصفات لاختيار الزوجة الصالحة، فقال: " **تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين ترِبت يداك**"[١]، فالمرأة ذات الدين هي المرشحة للنجاح وتربية الأجيال تربية صالحة، والمؤهلة لأداء الطاعة للزوج كما أمرها الله تعالى، وتُحسن تربية الأبناء، و تقوم على شؤونهم، وتغرس فيهم حب الله ورسوله وحب الدين وتعاليمه السمحة، في هذا الإطار ترشدهم على الطاعات كالصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وتحذرهم من ارتكاب المعاصي كالكذب، والسرقة، والغش، والابتعاد عن كل منكر وحرام.

لا شكّ أنّ الأُسرة هي الوسط الأول الذي يتلقى فيه الطفل مبادئ التربية الخلقية والدينية، لذا جعلت الأُسرة الأندلسية تربية الأبناء أُولى أولوياتها[٢]، فالمهمة الأُولى والرئيسة للأُسرة بعد تكوينها، هي إنجاب الأطفال والسهر على تربيتهم، وإعدادهم لأنْ يكونوا رعايا صالحين، ينفعون أنفسهم والمجتمع في آن واحد[٣] .

فشكلت المرأة الأندلسية الرُكن الأساسي في الأُسرة والمجتمع على حد سواء، فقد أسهمت إسهاماً بالغَ الأهمية في تربية الأبناء، فأطلق الأندلسيون كلمة (فرخ) على الطفل، فيقال للطفل المنتمي لأُسرة كريمة (فرخ حلال)[٤]، وكانوا يعتقدون أنّ صلاح الطفل من صلاح أبيه وأمه، وأنّ التنشئة والتربية السليمة وراءها دائماً أبٌ وأمٌ، يتحليان بخلق كريم وأصل طيب خاصة من جهة الأم[٥]، وقد وضح ذلك في أمثال العامة للزجالي، كما كان إنجابهم للأطفال أمنية كل زوجين،

---

[١] [البخاري، صحيح البخاري(ج٧/٧)، رقم الحدبث :٤٨٠٢].

[٢] محي الدين، الحياة الاجتماعية(ص١١١).

[٣] المرجع السابق(ص٩٧).

[٤] انظر، الزجالي أمثال العوام(ج٢/٣٦,٤٣,٧٩,٨٣).

[٥] النبراوي، جوانب من الحياة الاجتماعية(ص٣).

خاصة الأب تخليداً لذكراه في الحياة بعد الموت، فيقال للذي ليس له ولد" **لا ولد ولا تلد ولا من يدور في البلد**"[١] .

فالأُم الأندلسية تتحمل المسؤولية كالأب، بل ومسؤوليتها أكبر، باعتبار أنّها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أنْ يكبر ويترعرع ويبلغ السن التي تؤهله ليكون رجلاً في الحياة[٢]، وقد أفردها الرسول صلى الله عليه وسلم بتحمل المسؤولية، حينما قال:" **والمرأة راعية على بيت زوجها وولده**"[٣].

فتبدأ عناية الأم الأندلسية بطفلها منذ أنْ يولد، إذ تجتهد في تناول أغذية جيدة غير فاسدة، حتى لا ينتقل فسادها إلى رضيعها عن طريق الحليب، وتستعمل أثناء تحريكها المهد به، ألحاناً وأصواتاً مطربة للنفس تساهم في إصلاح نفسيته، كما تمنع عنه كل ما يؤذي جسمه أو عقله[٤].

وتتابع الأم الأندلسية خطوات نمو طفلها برعاية، فتكون أمه مرضعة، ومربية له، وحاضنة، وإنْ لم تستطع الأم إرضاع طفلها لظرف ما، تحضر الأسرة لمولودها حاضنة تحصل على أجرة معينة نظير قيامها بإرضاع طفلهم[٥]، لقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾[٦].

وقُدِمت النساء للحضانة على الرجال؛ لِما ظهر منهن الشفقة والحنان وحسن القيام على التربية[٧]، فحضانة الأطفال تؤول للأم فإنْ ماتت أو نكحت فلأمها، وإنْ لم تكن فلأختها خالة المحضون، فإنْ لم تكن فلعمته، فإن لم تكن فلابنة الأخ ثم للعصبة[٨].

يرى بعض العلماء، كابن سينا(ت:٤٢٨هـ/١٠٣٦م)[١]، أنّ التربية تبدأ عند فِطام الصبي عن الرضاعة، بتأديب الطفل قبل أنْ تهجم عليه الأخلاق الذميمة، لأنّ الصبي تبادر إليه مساوئ

---

[١] الزجالي، أمثال العوام(ج٢/٤٥٨).

[٢] علوان، تربية الأولاد في الإسلام(ص١٤٣).

[٣] [البخاري، صحيح البخاري (ج٧/٣١)، رقم الحديث: ٥٢٠٠].

[٤] الخطابي، ابن خلصون(ص١٤٩-١٥٠).

[٥] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٢٦).

[٦] [الطلاق:٦].

[٧] انظر، الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٥٦).

[٨] انظر، ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى(ص٢٢٦).

الأخلاق، فيجب تجنيبه مقابحها، ورأى ابن سينا أنْ يقابل المربي الطفل بطرق عديدة بالترغيب والترهيب ولإيناس والإيحاش، وبالأغراض، وبالإقبال وبالحمد مرة وبالتوبيخ مرة أخرى ما كان كافياً[2].

فإذا بلغ الطفل السابعة من عمره، تأمره أمه بأداء الصلوات المفروضة لقوله صلى الله عليه وسلم: "**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها على عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**"[3]، فكانت الأم الأندلسية الصالحة تصطحب ابنها معها إلى المسجد لأداء الصلاة[4]، كما أنّ الفقهاء شددوا على أنّ من واجبات المحتسب أنْ يأمر الصبية بتأدية الصلاة في أوقاتها، فإنْ لم يفعلوا أُدبوا على ذلك، أيضاً كان الأهل يعودون أطفالهم على الصيام[5].

والتأديب للأطفال والتحلي بالأخلاق والقيم الفاضلة يأتي منذ نعومة أظافرهم، فوجب أنْ يُؤدب الأطفال ويعودوا بالأشياء الجميلة، وتربيتهم تربية فاضلة ليكونوا إنْ قبلت طبائعهم منفعة التأديب والتعاهد وصاروا أخيار فضلاء، ويُؤدب الصبيان وهم صغار؛ لأنّهم ليس لهم عزيمة تصرفهم، كما يأمرون به من المذاهب الجميلة والفِعال الحميدة والطرائق المثلى[6].

ويختلف الأندلسيون في الطريقة المُثلى لتأديب الطفال، فمنهم من يرى أنّ شدة الضبط والقيد والإغلاظ هي الطريقة الناجحة لتأديب الأطفال[7]، وفي ذلك يقول ابن خفاجة[8]:

نَبِّه وَليدَكَ مِن صِباهُ بِزَجرَةٍ	**فَلَرُبَّما أَغـفى هُـناكَ ذَكاؤُهُ**
وَاِنـهَرهُ حَتّى تَستَهِلَّ دُموعُهُ	**في وَجنَتَيهِ وَتَلتَظي أَحشاؤُهُ**

---

(1) ابن سينا، أَبُو عَلِيٍّ، الحُسَيْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الحَسَنِ بن عَلِيِّ بنِ سِينَا، البَلْخِيُّ ثُمَّ البُخَارِيُّ، مؤلف كتب فِي الطِّبِّ وَالفَلْسَفَةِ وَالمنطِقِ، توفي عام(٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، انظر،الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج١٣/١٩٩).

(2) مجموع في السياسة(ص١٠١).

(3) [أبو داود: سنن أبي داود(ج١/١٣٣)، رقم الحديث: ٤٩٥].

(4) المقري، نفخ الطيب(ج٣/٢٦٢).

(5) انظر، ابن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب(ص٧٧).

(6) النبراوي، جوانب من الحياة الاجتماعية(ص٧).

(7) المقري، نفخ الطيب(ج٣/٥٧٣).

(8) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة(ص١٦).

فَالسَيفِ لا تَذكو بِكَفِّكَ نــارُهُ حَتّى يَسيلَ بِصَفحَتَيهِ مــاؤُهُ

ومنهم من كان يدعو إلى الرفق بالأطفال، وعدم تعنيفهم، والاكتفاء إنْ اقتضى الأمر، بضربهم ضرباً خفيفاً تحت القدمين، إذا تجاوزوا سن العاشرة من العمر، لأنّ الزجر العنيف يكسر نشاط الطفل، وينعكس سلباً على سلوكه[١]، لقول ابن خفاجة في توسيع مدارك فهم الأطفال[٢]:

سَدِّد مَرامي الطِفلِ في شَأنِهِ بِلَفظَةٍ تَـشـدُد بِها أَزرَه

وَاِكتــــفِ بِاللَمحَةِ مِن فَهمِهِ إِنَّ المَبادي أَبَداً نـــزرَه

أَما تَــرى النيرانَ مِن شُعلَةٍ وَالدَوحَةَ اللَفاءَ مِن بَزرَه

ولم تقتصر تربية الأبناء على مرحلة الطفولة، بل كثيرا ما كانت تتعداها إلى مرحلة الشباب، فقد اضطر الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم إلى تأديب ابنه المنذر؛ لِما رأى منه كثرة إنصاته إلى الوشاة، فجعله أبوه تحت الإقامة الجبرية لمدة معينة تأديباً له، ثم سمح له بالعودة إلى حياته الطبيعية بعد أنْ زوده بمجموعة من النصائح[٣] .

وأولت الأم الأندلسيةعناية فائقة لتعليم أبنائها ذكوراً وإناثاً، فإذا بلغ الطفل سبع سنوات من عمره، أرسلته أمه إلى المدرسة، ومن المدارس التي وجدت بقرطبة خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، مدرسة لأسرة تعرف ببني حزم، يدرس فيها الأب الصبيان، والابن الفتيان، والابنة الفتيات[٤].

فكانت الأم ترسل ولدها في سن السابعة إلى الكتاب ليتعلم القرآن الكريم، لأنّه منبع الدّين والعلوم، ويخلطون في تعليمهم رواية الشّعر في الغالب والتّرسل، وأخذهم بقوانين العربيّة، وحفظها

---

[١] انظر، السقطي، آداب الحسبة(ص٦٨).

[٢] ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة(ص١٣٠)

[٣] المقري، نفخ الطيب(ج٣/٥٧٥).

[٤] ريبيرا، التربية الإسلامية(ص١٣١).

وتجويد الخطّ، والكتاب[١]، ومن أشهر الاحتفالات الخاصة بالطفل حينما يتم حفظه وختمه القرآن الكريم عند المعلم يَوْمُ حِذاقِه[٢]، حيث يقام له احتفال يسمى(الحذقة)[٣] .

وكانت الأُسر الأندلسية الميسورة تؤجر لأبنائها معلماً مقابل أجرة، يتم الاتفاق عليه سلفاً[٤]، وأسندت بعض الأُسر مهمة تعليم أبنائها إلى مُعلِمات، يتلقى على أَيديهن خلال سنوات التعليم الأُولَى، والتي تدوم حوالي سبع سنين، القرآن الكريم والشعر والخط ، فقد ذكر لنا ابن حزم أنّه تربى في وسط النساء قائلاً: " **ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنّي ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تبقل وجهي؛ وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط**"[٥]، وهذه المنهجية حسب ابن خلدون تُمَكن الولد من التحكم في اللغة العربية وتفتح أمامه أبواب العلوم المختلفة[٦].

فالأُم الأندلسية لها الدور الأبرز في تنشئة الأطفال وتربيتهم، وملازمتهم خلال السنوات السبع الأولى من حياتهم[٧]، إذ ينسب إلى الحسن بن علي –رضي الله عنه– قوله: "**العلم في الصغر كالنقش على الحجر**"[٨]، فقد غرست الأمهات، وبخاصة الحُرات منهن في أبنائهن الشعور بالشرف والانتماء إلى الأسرة أو الطبقة النبيلة[٩]، كما استطاعت الأم الأندلسية توجيه أبنائها خلقياً ودينياً من ذلك، (فلورا) التّي وُلدت من أُم نصرانية وأب مسلم، وبعد وفاة أبيها تولت أمها تربيتها، فلقنتها مبادئ الديانة النصرانية، وأنشأتها على كره الإسلام فكبرت على ذلك[١٠].

---

[١] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر(ج١/٧٤٠).
[٢] الحذاقة :المهارة في كل عمل، ابن منظور، لسان العرب(ج١٠/٤٠).
[٣] الونشريسي، المعيار المعرب(ج١/٢٥٤).
[٤] الجزيري، المقصد المحمود(ج٢/٣٣٢).
[٥] رسائل ابن حزم(ص١٦٦).
[٦] ديوان المبتدأ والخبر(ج١/٧٤١).
[٧] محي الدين، الحياة الاجتماعية(ص١٠٤).
[٨] البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى(ص٣٧٥).
[٩] محي الدين، الحياة الاجتماعية(ص١٠٣).
[١٠] عنان، دولة الإسلام(ج١/٢٧٢).

وكان في جيش عبد الرحمن الداخل الصقالبة، وهم أطفال نصارى اشتراهم عبد الرحمن الداخل من أوروبا، ورباهم تربية إسلامية عسكرية صحيحة مُنذ أنْ اشتراهم، فرباهم على الإسلام، من حيث صحة العقيدة وصحة العبادات وصحة الفهم، والجهاد في سبيل الله، لذلك كان هؤلاء عماد الجيش عند عبد الرحمن الداخل ومن جاء بعده من خلفاء وأمراء بني أمية[١].

وقد قامت الشفاء جارية عبد الرحمن بن الحكم بتربية الأمير محمد بن عبد الرحمن في صغره لوفاة أمه تهتز، ولم ينسَ الأمير هذا المعروف، فعندما ماتت بفج الْبُشْرَى من حوز طليطلة دفنت هُنَالك، وَصَارَ قبرها مَعْرُوفاً، وقد حرر الْأَمِير مُحَمَّد فِي دولته أهل تِلْكَ الْقَرْيَة من المغارم لاحتراسهم إيَّاه وتجديدهم لرسمه[٢]، وما فعله يدل على الوفاء لتلك المرأة التي أحسنت إليه، وربته على الدين والبر والاحسان .

وأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر بن محمد، الذي تولى حُكم الأندلس وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبثت أنْ قرّت له وسنت لخشيته، وبعد أنْ كانت قرطبة دار إمارة يذكر الخليفة العباسي على منابرها، وتمضي أحكامها باسمه، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها، ويأتي إلى معاهدها علماء الأمم[٣]، وسَرّ هذا كله أُمه التي ربته، فقد نشأ عبد الرحمن يتيماً قتل عمه المطرف أباه محمد، فتفردت أمه مُزنة جارية محمد بن عبد الله، التي كانت أم ولد فأحسنت تربيته، وأخرجته خليفةً قائداً صالحاً [٤].

وكان للأم في الأندلس منزلة عظيمة، حيث يُذكر أنّ المنصور بن أبي عامر عفا عن رجل مسجون، لجرم استعظمه منه لإشفاقه على والدته، التي رفعت إليه رقعة استعطاف[٥]، وهنا يتبين لنا أنّ الأم لها مكانتها في المجتمع.

---

[١]عنان، دولة الإسلام(ج١/٢٤٩).

[٢] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٠-٢٤١).

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/١٥٨).

[٤] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج٢/١٩٤).

[٥] المصدر السابق(ج٢/٢٢٦).

خلاصة القول نقول أنّ المرأة الأندلسية لعبت دوراً مُهماً في المجتمع الأندلسي، عن طريق قيامها بإنجاب الأطفال وتربيتهم وتنشأتهم على الأخلاق الحميدة، ورعايتهم، والمساهمة في تعليمهم، وإعدادهم للمحافظة على الأسرة، ليكونوا أفراداً صالحين في المجتمع.

المبحث الثاني: حث الأبناء والأزواج والحكام على الجهاد

عاشت المرأة في الأندلس وضعاً يختلف عن الوضع الذي عاشته المرأة في المشرق، فلقد كانت الأندلس محاطة بالأعداء من كل الجهات، وظروفها لا تشبه ظُروف أي بلاد افتتحها المسلمون في تلك الفترة[١]، وقد وصفت بأنها بلد الجهاد والرباط[٢]، يقول فيها المقري:" **واعلم أنّه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً**"[٣].

ولقد أثبتت المرأة قوتها وشجاعة نادرة في مواقفها مع الأُمراء والخُلفاء، فها هي تكفات البربرية زوجة أبي قرة وانسوس البربري، التي خبأت عبد الرحمن الداخل تحت ثيابها عندما فتشت رُسل ابن حبيب بيتها عنوة، فلمّا دخل عبد الرحمن الأندلس واستتبّ أمره به سار إليه أبو قرة وانسوس البربري، فأحسن إليه وحظي عنده وأكرم زوجته تكفات لما قدمت له من حماية[٤].

وتتجلى عظمة المرأة الأندلسية ومكانتها الرائعة في المجتمع الأندلسي، فيما ورد لنا في المصادر الأندلسية من القصص إلى درجة استنفار الحملات العسكرية من أجلها، لإنقاذ الأسيرات من أيدي الأعداء، فيخبرنا صاحب كتاب(أخبار مجموعة) عن الأمير الحَكم بن هشام الربضي الذي غزا بلاد الشرك من أجل امرأة مسلمة أسيرة استغاثت به، حيث عاد عباس بن ناصح[٥] من ثغر ناحية وادي الحجارة وقد سَمِع امرأة تقول: " **واغوثاه، يا حكم، ضيّعتنا، وأسلمتنا، وانشغلت عنّا، حتى استأسد العدوّ علينا**"، فذكر عباس إلى الأمير الحكم شعراً في قول المرأة واستصراخها به[٦]، قائلاً[٧]:

---

[١] مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس(ص٢٧٧).

[٢] أرسلان، الحلل السندسية(ص١٨٤).

[٣] المقري، نفخ الطيب(ج١/١٨٦).

[٤]مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس(ص١١١).

[٥] عَبّاس بن ناصح الثَّقَفي الشّاعر من أهْل الجزيرة؛ يُكنّى، أبا العَلاءِ، رَحَلَ به أبوه صغِيراً فَنَشأ، بِمصر وتَرَدّد بالحِجاز انْصرَف إلى الأندلس وكان يمدح الحَكَم بن هِشام ، فاسْتَقْضاه على شَذُونة والجزيرة، وَوُلِّي القضاء وكان عَبّاس من أهْل العِلْم باللغة والعَربية، وكان جزل الشّعر، يَسْلكُ في أشْعاره مَسالِكَ العَرب القديمة، وكان لهُ حظٌّ من الفِقْهِ والرِّواية ولم تُشْهَرُ عنهُ لِغَلَبة الشعر عَلَيه، انظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس(ج١/٣٤١).

[٦] مجهول، أخبار مجموعة(ص١١٧)، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة(ج١/٢٧١).

[٧] المقري، نفخ الطيب(ج١/٣٤٣).

تَمَلمَلتُ في وَادِي الحِجارة مسهرا **أراعي نجوماً ما يردن تغوّرا**

إليك أبا العاصـي نضـيتُ مطيّتي **تـسير بهم سارياً ومهجــــرّا**

تَدَارَكْ نِسَـاءَ العَالَـمينَ بِـنُصْرَةٍ **فَإِنّكَ أَحْرَى أَنْ تُغيثَ وتَنْصُرَا**

فأثارت قصيدته الحكم إلى الجهاد وإغاثة المرأة وقومها سنة(١٩٤هـ/٨٠٩م)[١]، فأمر بالاستعداد للجهاد، وخرج غازياً إلى أرض الشرك؛ فأوغل في بلادهم، وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك، وتوجه إلى الناحية التي كانت بها المرأة، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم، يصلحون بها أحوالهم ويفدون سباياهم[٢]، وخص المرأة وآثرها، وأعطاها عدداً من الأسرى، وقال لها: "**هل أغاثك الحكم؟ قالت: إي والله، أغاثنا وما غفل عنّا، أعانه الله وأعزّ نصره**"[٣].

أيضاً ورد لنا أنّ المنصور بن أبي عامر سّير جيشاً كاملاً لإنقاذ ثلاث من نساء المسلمين أسيرات في مملكة نافار، ذلك أنّه كان بينه وبين مملكة نافار عهد، وكانوا يدفعون له الجزية، وكان من ضمن هذه العهد: ألا يأسروا أحداً من المسلمين أو يستبقوهم في بلادهم[٤].

فذات مرة ذهب رسول من رسل محمد بن أبي عامر إلى غرسيه صاحب البشكنس، فأولى في إكرامه، وتناهى في برّه واحترامه، فطالت مدّته فلا متنزّه إلا مرّ عليه متفرّجاً، فبينما يجول في ساحة الكنيسة، إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر، قويمة على طول الكسر؛ فكلمته، وعرفته بنفسها وأعلمته، وقالت له: "**أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بُؤسها، ويتمتع بلبوس العافية وقد قصت لبؤسها؟**"، وزعمت أنّ لها عدة من السنين بتلك الكنيسة مسجونة، وبكل ذلٍّ وصغار ملبسه، وناشدته الله في إنهاء قصتها، وإبراء غصتها، واستحلفته بأغلظ الأيمان، وأخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمان[٥].

---

[١] الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس(ص٢٩٤).

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٧٣).

[٣] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة(ج١/٢٧١).

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٩٧- ٢٩٨).

[٥] انظر :المقري، نفخ الطيب(ج١/٤٠٤).

فلمّا وصل الرسول إلى المنصور، عرّفه بما يجب تعريفه به وإعلامه، وهو مصغ إليه حتى تمَّ كلامه، فلما فرغ، قال له المنصور: "**هل وقفت هنالك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته؟**"، فأعلمه بقصة المرأة، ثم أخذ في الجهاد من فوره، حتى وافى ابن شانجه في جمعه، فأخذت مهابته ببصره وسمعه، فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما هي الجنية، ويحلف له بأعظم ألية، ما جنا ذنبا؛ ولا نبا عن مضجع الطاعة جنبا، فعنف أرساله، وقال لهم: " **كان قد عاهدني ألا يبقى بأرضه مأسورة ولا مأسور، ولو حملته في حواصلها النسور؛ وقد بلغني بعد مقام فلانة المسلمة بتلك الكنيسة، ووالله! لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها!**"[١]، فأرسل إليه المرأة في اثنتين معها، وأقسم له أنه ما أبصرهن، ولا سمع بهن، وأعلمه أنّ الكنيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدمها، تحقيقا لقوله، وتضرع له في الأخذ بطوله، فاستحيى منه، وصرف الجيوش عنه، وأوصل المرأة، وألحق توحشها بأنسه، وغير سوء حالها، وعاد بمواكب نعماه على جذبها، وحملها إلى قومها، وكحلها بما كان شرد من نومها[٢].

وهذه عزة كبيرة جداً لجيش المسلمين ولدولة المسلمين ونساء المسلمين، والغيرة عليهن أنْ يسير قائد بجيشٍ كبير جبار لمجرد إنقاذ ثلاث من نساء المسلمين.

ومارست الجواري اللعب بالسيوف، والأسنة، والخناجر وغير ذلك من فنون المبارزة والنزال[٣]، ومن أبرز النساء التي أتقنت مجال المبارزة والفروسية في الأندلس، جميلة بنت عبد الجبار بن زاقلة المصمودي، أخت محمود بن عبد الجبار، الساكن بماردة[٤]، اشتهرت جميلة بالشجاعة والنجدة والفروسية ولقاء الفرسان ومبارزتهم في العساكر[٥]، فهذه مثال للمرأة العسكرية الشجاعة.

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٩٧– ٢٩٨).

(٢) المصدر السابق(ج٢/٢٩٧– ٢٩٨).

(٣) شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي(ص١٨٠).

(٤) ماردة، مدينة بجوفي قرطبة، منحرفة إلى الغرب قليلاً، وكانت مدينةً ينزلها الملوك الأوائل، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة إليها، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً. الحميري، صفة جزيرة الأندلس(ص١٧٥).

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب(ص٥٠١).

عرفت جميلة بجمالها البارع، وتفوقها في الفروسية، وظهر ذلك حينما شاركت أخاها محمود في ثورته بمدينة ماردة، ضد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وصحبت أخاها إلى مملكة ليون، فراراً من جيش قرطبة، الذي أرسله إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط، لإخماد ثورتهم، فهربا إلى جليقية، والتجأ إلى ملكها ألفونسو الثاني، فرحب بهم وأكرم وفادتهم، وأنزلهم بأطراف مملكته[١].

فاكتشف محمود بعد حين أنّه تورط في موقفه، وأنّ الملك الإسباني لا يساعده في حركته الانفصالية إلا ليحقق مكاسب سياسية لمملكته على حساب الإمارة الأموية، فرأى محمود الثائر أنْ يعود إلى الطاعة فكاتب عبد الرحمن، فعرف ألفونسو برسالته، فخشي إن أفلت الثائر منه أن ينقلب حرباً عليه، فسار إليه وأحاطت به الجند من كل ناحية، ودافع محمود عن نفسه دفاع الأبطال، ولكنه قتل(٢٢٥هـ/٨٤٠ م)[٢]، وأسر أهله وصحبه، وكانت أخته الحسناء جميلة بين الأسرى ووقعت في نصيب كبير من كبراء النصارى، فحملها على اعتناق النصرانية وتزوج منها، وكان من ولدها فيما بعد أسقف[٣](شنت ياقب) [٤].

ساهمت المرأة الأندلسية في بعض الحروب، وذلك من خلال بعض الحوادث العسكرية التي مرت في الأندلس مثال على ذلك ما حدث أثناء غزوة سرته (٣١٤هـ/١٠٢٦م)، في عهد الخليفة الناصر لدين الله، برزت في هذا المجال عجب زوجة لب بن موسى ، التي كانت جارية لديه اعتقها وتزوجها، فكانت هناك منافسة بين لب وإخوته ، إسماعيل ومطرف وفرتون أبناء موسى بن موسى(ت:٢٤٨هـ/٨٦٢م)، الذين هاجموه في حصنه بقيرة ، لكنه استطاع الانتصار عليهم، واستولى على حصون أخرى، فغضبوا وهاجموه وتمكنوا من أسره، وجاءوا به إلى حصن أرنيط، وكانت زوجته معتصمة فيه، وطلبوا منها تسليم الحصن مقابل إطلاق سراح زوجها، فامتنعت في البداية ، ولكنها وافقت فيما بعد، لاسيّما عندما كادوا أن يقتلوا زوجها[٥].

---

[١] عنان، دولة الإسلام(ج١/٢٥٨).

[٢] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس(ص٨٣).

[٣] السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس(ص١١٧).

[٤] شنت ياقب، قلعة حصينة في الأندلس، الحموي، معجم البلدان(ج٣/٣٦٨).

[٥] العذري، نصوص عن الأندلس(ص٣٢).

من هنا نستنتج القدرة العسكرية التي تمتعت بها بعض النسوة في الأندلس، والتّي وصلت إلى حد الاعتصام في أحد الحصون والدفاع عنه، إلى درجة عدم تمكن العدو من الوصول اليه والتفاوض معها لأخذه.

وأشارت إحدى الروايات إلى بعض جوانب المقدرة العسكرية للمرأة الأندلسية، حيث ينقل لنا ابن حزم، خبر الجارية رسيس، كانت جارية رفيعة مهيبة، مقربة من عبد الرحمن الناصر، في يوم سُرور أركبها في موكبه على بغل خلفه، بينه وبين أولاده، مكشوفة الرأس وترتدي قلنسوة ومتقلدة سيفاً، وشقَّ قرطبة من باب العطارين في الرَّبَض الغربيّ كلّه إلى الزهراء على هذه الحال[١].

أيضاً كانت المرأة الأندلسية المسلمة تُشارك في الجهاد؛ لتنال الأجر من الله سبحانه وتعالى، وتساعد المجاهدين في إعداد الطعام وخدمتهم وتطبيبهم، فكانت الشفاء جارية الْأَمِير عبد الرَّحْمَن تذهب معه فِي بعض مغازيه[٢]، أيضاً كانت جواري المنصور بن أبي عامر يذهبن معه إلى الغزوات لمساعدته والقيام بخدمته[٣].

وقد أورد لنا ابن عبد الملك، خبراً أنّ أميمة الكاتبة جارية الْحُسَيْن بن حييّ وحظيته الَّتِي تزَوجهَا بعده الْفَقِيه الْقرشِي المقرىء، تولت حراسة الخليفة هشام المؤيد، الذي اختبأ في منزل سيدها، وذلك في أعقاب الفتنة الكبرى التي حلّت بالأندلس بقيادةُ محَمَّد بْن هِشَام بْن عَبْد الْجَبَّار، المعروف بالمهدي، الذي خلع الخليفة هشام المؤيد، وتولى الخلافة مكانه[٤].

---

[١] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج٢/٧٦).

[٢] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة(ج٤/٢٤١).

[٣] عوض الله، المرأة في المجتمع الأندلسي(ص١٤١).

[٤] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة(ج٥/٤١٣).

المبحث الثالث: التأثير السياسي الإيجابي على أُمراء الأندل.

كانت المرأة الأندلسية واسعة النفوذ بقسط كبير من الحرية، ولا تقل المرأة الأندلسية عن المشرقية في مدى النفوذ السياسي، ومكانتها المميزة في المجتمع الأندلسي من خلال تواجدها وفاعليتها في الحياة العامة والحياة الاقتصادية والثقافية، كما كان لها دورها المؤثر في الحياة السياسة من خلال طبيعة علاقتها بالسياسي أُماً كانت أو ابنة، أو شقيقة، أو مواطنة ، أو حتى جارية من خلال تواجدها في القصر، فكان لها إسهاماتها سواء في تعيين ولي العهد أو في تقريب وإقصاء رجال الدولة.

تميزت الأندلس في بعض الأحيان بكثرة جواريها ودُخولهن إلى قصور كبار رجال الدولة، ما يجعلها تتميز في دور الجواري بالمشاركة في الحكم والسياسة، بعد أنْ يُصبحن زوجات وأمهات، وكان لاختلاف أعراق النساء اللاتي دخلن القصور كزوجاتٍ، ومنهن الإسبانيات خاصة ، أثر كبير في الناحية السياسية، وسنحاول هنا أن نلقَي الضوء على هذه النَّاحية.

فمن خلال ما ورد في المصادر التاريخية وجدنا (راح) أم ولد، من قبيلة نفزة البربرية من شمال إفريقيا[١]، أُم أول أمراء بني أمية بالأندلس، عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، هرب عندما قامت دولة بني العباس[٢]، حتّى أتى إفريقيا، فكان من واجبها كأم رجل ينحدر من سلالة ملكية، أنْ تعمل جاهدة لرفع ابنها إلى العرش، فقد قامت بالإلحاح عليه وإقناعه بأحاديثها معه بالتطلُع ليُصبح ملكاً على الأندلس بمساعدة أخواله[٣]، فذهب إلى المغرب، وقد ألحقت به أخته شقيقته أم الأصبغ مولاه بدراً، ومولاه سالماً، ومعهما دنانير للنفقة، وقطعة من الجواهر، فنزل بإفريقيا وقد سبقه إليها جماعة من قبل بني أمية[٤]، بالتالي يتضح لنا دور والدته وأخته أم الأصبغ في مساعدة عبد الرحمن الداخل بالهروب ودعمه معنوياً وبالمال والحرس لإنشاء دولة أموية في الأندلس.

---

[١] ابن الأبار، الحلة السيراء(ج١/٣٥).

[٢] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج٢/١٩١).

[٣] الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان(ص١٧٣).

[٤] المقري، نفخ الطيب(ج٣/٢٨).

ولم يكن دور المرأة في الحياة السياسية قاصراً على الإيحاءات لولدها بالتطلع إلى الحكم، بل نجدها تراقب الأحداث السياسية، وتبلغ زوجها عن أي تطور خطير يمس الدولة، مثال على ذلك دور زوجة يوسف الفهري(أم عثمان) التي لم تفصح المصادر عن اسمها، بل اكتفت بالقول بأنها أم ولده وصاحبة سلطانه[١].

وقد تمثل دورها بأنّها قد أوفدت مَعَ غُلَام خَاص لَهَا على بغلتها الْمَشْهُورَة يحمل رسالة إلى زوجها يوسف الفهري الذي كان خارج قرطبة، تنص على أنْ عبد الرحمن بن معاوية قد دخل الأندلس ونزل قرية طرش[٢]، من كورة ألبيرة[٣]، عند أحد كبار موالي بني أمية واسمه عبيد الله بن عثمان، وكان هو وعبيد الله بن خالد يتعاقبان على حمل لواء بني أمية في ألبيرة[٤].

وبإمعان النظر فيما سبق يتضح لنا بأنّ المرأة كانت تتمتع بوعي سياسي حتى في غياب زوجها، فزوجة يوسف الفهري نجدها تسهر على مصير الدولة بذكاء، وعزم بدليل أنها لم تترد بإبلاغ زوجها عن أي جديد يمس الدولة .

ولعبت عُجب دوراً مُهماً في البلاط الأموي، وفي دفة الحُكم فهي تُعد من شهيرات النساء القرطبيات، في عصر الحَكم بن هشام الربضي، وقد بلغ حبه لها بأنْ أنشأ لها مُنية خاصة بها حملت اسمها منية(عجب)[٥]، كما حصلت على قدر كبير من التعليم والتفقه في الدين، والعلوم الأدبية واللغوية[٦].

ويورد لنا الخشني قصة في كتابه(قضاة قرطبة)، نستنتج منها أنّ عجب تمتعت بمكانة فريدة، في عصر مولاها الحكم الربضي، أيضاً ابنه عبد الرحمن بن الحكم من بعده، فقد تسببت في عزل القاضي محمد بن زياد عن القضاء ، وذلك لمجاملته لها ومحاباته لابن أخيها الذي تلفظ بألفاظ مهينة للإسلام، وبلغ هذا الأمر للأمير عبد الرحمن الأوسط، الذي أمر بالقبض عليه

---

[١] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة(ص٧٤).

[٢] ابن الأبار، الحلة السيراء(ج٢/٣٤٦).

[٣] مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس(ص١١٢).

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٤٢).

[٥] منية : عبارة عن أرض بها بيت حوله أشجار، حيث كانت تطلق عند العرب بالمصيفات والمرتبعات ،أرسلان، الحلل السندسية(ج١/١٨٣).

[٦] شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي(ص١١١)،

وحبسه، فتوسطت له عجب عند الأمير، اعتمادا على مكانتها عند أبيه راجية الشفاعة لابن أخيها[١]، فَقَالَ لَهَا: "**مهلا يَا أُمَّاهُ، فَلَا بُد، وَالله من أَن نكشف أهل الْعلم عَمَّا يجب عَلَيْهِ فِي لَفظه ذَلِك الَّذِي شهد بِهِ عَلَيْهِ؛ ثمَّ يكون الْفَصْل بعد فِي أمره، فَإنَّا معشر بني مَرْوَان، لَا تأخذنا فِي الله لومة لائم وَمَا نرى أَن الله رفع ملكنا، وَجمع بِهَذِهِ الجزيرة فلنا، وَأَعْلَى فِيهَا ذكرنَا، حَتَّى صرنا شجى فِي حلق عدونا، إِلَّا بِإِقَامَة حُدُوده، وإعزاز دينه، وَجِهَاد عدوه، مَعَ مجانبة الْأَهْوَاء المضلة، والبدع المردية**"[٢]، وأحضر فقهاء المدينة، وعلى رأسهم القاضي محمد بن زياد، فأفتى الجميع بقتله، ماعدا القاضي محمد بن زياد، وفَطِن عبد الرحمن إلى أنّ عُجب توسطت إلى القاضي، حتّى يدلي بتلك الشهادة، التي تبعد ابن أخيها عن القتل، فما كان من عبد الرحمن الأوسط إلا أنّ عزله عن القضاء[٣].

وتعدُّ طَروب أم عبد الله، جارية عبد الرحمن الأوسط والأثيرة لديه[٤]، أكبر مثال على المحظيات اللواتي حصلن على المكانة والنفوذ، فقد كان عبد الرحمن الأوسط شديد الولع بها، ولا يبخل عليها بالهبات والعطايا الثمينة، فقد غضبت منه ذات مرة، ولاسترضائه، واستعطافاً لوصلها بنى على باب غرفتها جداراً من أكياس الدراهم استرضاء لها، فلما فتحت الباب، تساقطت الأكياس من كل جانب، فأخذتها، فألفت فيها نحوا من عشرين ألفا[٥]، وأهداها ذات مرة عقداً بقيمة عشرة آلاف دينار[٦]، وتمكنت من السيطرة على مَنْ في القصر من النساء والخدم والفتيان، وعلى رأسهم نصر الخصي[٧].

---

[١] الخشني، قضاة قرطبة(ص١٣٢).

[٢] انظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس(ص٥٥).

[٣] الخشني، قضاة قرطبة(ص١٣٢).

[٤] ابن حيان، المقتبس(ص١٤٩).

[٥] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٩٢).

[٦] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة(ص١٣٦).

[٧] نصر الخصي أبو الفتح الأثير عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وكان من الفتيان المنتقين الذين خصاهم أبوه الأمير الحكم من أبناء الناس الأحرار الذين تعبدوا ليستخدمهم داخل قصره وأبوه المعروف بأبي الشمول من أسالمة أهل الذمة من أهل قرمونة، وقد ارتفعت منزلة نصر عند الأمير عبد الرحمن الأوسط لدرجة أنه أصبح يتصرف باسمه في شؤون الدولة ومازال في سؤدد حتى توفي سنة ٢٣٦هـ، ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس(ص١٥٦).

ويظهر نُفوذ طروب السياسي عندما سعت هي ونصر الخصي للحصول على ولاية العهد لابنها عبد الله، حيث يذكر ابن حيان أنّ نصر الخصي غلب على قلب مولاه عبد الرحمن بن الحكم، حتّى أصبح ملْكُ عبد الرحمن بن الحكم في يده يديره، فبدأ بالتعاون مع طروب باستمالة الناس لولدها عبدالله، والإشادة بذكره أمام عبد الرحمن الأوسط، والتشجيع على ولايته للعهد[١]، لكنَّ هذا الأمر لم يتّم لهما، خاصة وأنّ عبد الرحمن بن الحكم مَالَ لابنه محمَّد، وفكر عملياً بتوليته العهد، لما يمتاز به من الفضل والعقل، وحسن السيرة[٢]، على عكس عبد الله بن طروب، وعندما شعر نصر الخصي بفشل مساعيه خشي على نفسه إنْ وصل محمد إلى الحُكم، فقرر اغتيال عبد الرحمن بن الحكم بالسُّم، ولم يخشَ من ذلك لكثرة أنصاره من أهل الدار وغيرهم، لكن لم تتم هذه المؤامرة، وانتهت بمقتل نصر الخصي من بعد أنْ سقاه الأمير دواءً مسموماً أتى به نصر الخصّي ليسمم به الأمير عبد الرحمن من الطبيب الحّراني[٣]، فبعث الطبيب للأمير مع إحدى جواريه يحذّره من شرب أي دواء يقدّمه نصر الخصيّ له[٤].

وقد ازداد تدخُل المرأة في مسألة ولاية العهد في العصور التي تلت عهد الإمارة، فقد وصف ابن حزم بعض النساء أنّهن من "المعرقات في الخلافة"[٥]، وكانت من بينهن من تزوجها خليفة وولدت خليفة، ويقصد بها الجارية التي يعتقها الخليفة ويتزوجها وتلد له ولداً، ويصبح خليفة من بعده، مثل مُرجان زوجة الناصر لدين الله، وصُبح زوجة الحكم المستنصر[٦].

فكانت كل الأميرات من الأمهات تسعى لبلوغ ابنها منصب ولاية العهد من أجل الاحتفاظ بمركزها داخل القصر بعد وفاة الأمير[٧]، ففي عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله برزت الجارية مرجان أم الحكم المستنصر بالله، كَانَت أديبة لَطِيفَة الْمَقَاصِد، تمكنت بذكائها ورجاحة

---

[١] ابن حيان، المقتبس(ص١٤٩).

[٢] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج١٩٢/٢).

[٣] الحراني كَانَ فِي أَيَّام الْأَمِير مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن وَكَانَت عِنْده مجربات حسان بالطب فاشتهر بقرطبة وَحَازَ الذّكر فِيهَا ، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء(ص.٤٨٦).

[٤] ابن حيان، المقتبس(ج١/١٥٥).

[٥] ابن حزم، رسائل ابن حزم(ج٦٥/٢).

[٦] المصدر السابق(ج٦٧/٢).

[٧] عباس، دور المرأة الأندلسية(ص١٥٢).

عقلها من الاستحواذ على قلب الخليفة حتى وفاتها، وتخلصت من جميع منافِساتها من نِساء القصر من جوارٍ وحرائر، بمن فيهن زوجته الحرة وابنة عمه فاطمة بنت المنذر التي هجرها حتى وفاتها[١]، لبيعهَا لَيْلَتهَا مِنْهُ بِعشْرَة آلَاف دِينَار للجارية مرجان، وغنتها مُرجان بنظم سنح لَهَا فِي ذَلِك[٢] :

يَا لَيْلَةَ لَو أَنَّهَا تبَاع لي أو تُشْتَرَى   شَرَيتُها بِكُل مَا أَطلُبهُ مِن المُنَى

ولذلك اتّخذها سيدة نسائه، ولقبها ب(السيدة الكبرى)[٣]، وكبرى حظاياه، وقيّمة قصره، وألقى إليها بمقاليده، ووثق بها في سره وجهره، ولم تزل منزلتها تتزايد عنده حتى ملكت زمامه، فتقدمت لديه على جميع نسائه، حتى كانت كرائمه وحظاياه لا يصلن إلى مطالبهن ورغباتهن من الناصر لدين الله، إلا بشفاعة مرجانة لهنَّ إليه، وتوسلهن بها لديه، للطف منزلتها، وغلبتها على قلبه، لدرجة أنّ الخليفة إذا تعب أو مرض لا يسكن إلا إلى علاجها، ولا يصيب الراحة إلا بمداواتها ورْفقها وقد وصفها ابن حيان دونا عن جميع نساء وحظايا الخليفة بأنها الزائدة الحظوة على جماعته، ونتيجة ذلك عهد بولاية العهد لولدها الحكم المستنصر[٤].

وفي عصر الحَكم المستنصر ازداد تدخل نساء القصر في سياسة الدولة، فقد برزت في بلاط الحَكم جارية بشكنسية الأصل تُدعى صُبح، من شمال اسبانيا واسمها النصراني(Aurora) وتعني الفجر[٥]، ملكت قلب المستنصر لذكائها وجمالها وصغر سنها، وحسن الإدارة والتدبير، فشغف بها وأطلق عليها لقب جعفر، فاستأثرت به فلم يكن يرد لها أمراً[٦]، فازدادت مكانتها بعد أنْ ولدت له ابنها الأول عبد الرحمن الذي مات صغيراً، ثم ولدت له ولداً آخر هو هشام، ففرح المستنصر به، لأنّه كان شديد الولع والحرص بطلب الولد لكبر سنه[٧].

---

[١] ابن حيان، المقتبس(ج٥/٨).
[٢] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٦).
[٣] المقري، أزهار الرياض(ج٢/٢٦٥).
[٤] ابن حيان، المقتبس(ج٥/١٣).
[٥] عنان، دولة الإسلام (ج١/٥٢٠).
[٦] ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٥٣).
[٧] المصدر السابق(ج٢/٢٣٧).

استمرت صُبح أيام الحَكم، تتمتع في البلاط والحكومة، بنفوذ لا حد له، فكان الحكم يثق بإخلاصها وحزمها، ويستمع لرأيها في معظم الشئون، وكانت كلمتها هي العليا، في تعيين الوزراء ورجال البطانة، فتنافس رجال الدولة لنيل رضاها وكسب ثقتها[١]، فقد سعى لذلك الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، يجتهد في خدمتها وإرضائها، ويستأثر لديها ولدى الحكم بنفوذ كبير حتى أصبح بمنزلة رئيس الوزراء، وبعد وفاة المستنصر واستيلاء محمد بن أبي عامر على السلطة اعتقله وصادر أملاكه وقتله سنة(٣٧٢هـ/٩٨٢م)[٢].

وظهرت شخصية محمد بن أبي عامر، الذي أدرك أنّ السلطة بِيَد هذه المرأة، فأخذ يتقربُ لها بالهدايا والتُحف الثمينة، فقد أهداها نموذج قصر من الفضة، وحمله على رؤوس الرجال فجَلب حُبها بذلك[٣]، وكان الحَكم المُستنصر يرى تأثيره على صُبح، وعلى نِساء القصر جميعاً، ويقال إنّه قال يوماً لبعض خاصته: "**ما الذي استلطف به هذا الفتى حَرُمنا حتى ملكَ قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضين إلا ما أتاه، إنه لساحر عظيم، أو خادم لبيب، وإني خائف على ما بيد**" [٤]، من المُؤكد أنّ الحَكم المُستنصر شعر بالغيرة على زوجته وتَخَوف من ازدياد نُفوذ محمد بن أبي عامر.

فاستطاع ابن أبي عامر أنْ يرتقي إلى أعلى المراتب في الدولة، ويرجع الفضل في زيادة نفوذه إلى دعم السيدة صبح البشكنسية زوجة المستنصر أم هشام[٥]، إذ كان ابن أبي عامر كاتباً لها، وأظهر جدارة في عمله وكفاءة عالية، فاستحسنته وأوصت الحكم المستنصر به، فوّلاه قضاء بعض الأماكن، ثم استمرَّ محمد بن أبي عامر بالارتقاء في المناصب حتى وفاة الحكم المستنصر وتولية ابنه هشام الحُكم[٦].

---

[١] عنان، دولة الإسلام(ج١/٥٢١).

[٢] ابن الأبار، الحلة السيراء(ج١/٢٥٩).

[٣] المقري، نفخ الطيب(ج٣/٨٨).

[٤] انظر: ابن عذاري، البيان المغرب(ج٢/٢٥٢).

[٥] القحطاني، الدولة العامرية في الأندلس(ص٣٥).

[٦] عوض الله، دور المرأة السياسي(ص٥٣).

اجتمعت السلطة بيد الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر، إضافة إلى أم هشام السيدة صُبح البشكنسية التي حرصت منذ البداية على تولية العهد لابنها، وكانت تعتمد في ذلك على مساعدة ابن أبي عامر، فقد كانت تثق بقدرته على ضبط البلاد، وتوطيد الأمن والسلام، وحماية عرش ولدها الصغير[١].

استقرَّ الأمر لهشام بن الحَكَم، وتولى محمد بن أبي عامر الحُكم والاستبداد بأمور الدولة، بعد أنْ تخلص من جميع منافسيه بضربه بعضهم ببعض، وقد لخَّص لسان الدين الخطيب سياسة ابن أبي عامر في التخَّلص من منافسيه فقال: " **كان آية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة، عدا بالمصافحة على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصافحة حتى قتلهم، ثم عدا بجعفر الأندلسي على غالب حتى استراح منه، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه، ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر هل من مبارز، فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده، واستقام له أمره منفردا بسابقةٍ لم يشاركه فيها غيره**" [٢].

ويصف ابن خلدون استبداده بالحكم دون هشام المؤيد، وقضاءه على خصومه بالعبارة التالية: "**لمّا تجرّد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه، فمال عليهم، وحطهم عليهم، وحطهم عن مراتبهم، وقتل بعضهم ببعض، كل ذلك عن أمر هشام وتوقيعه حتى استأصل شأفتهم، ومزق جموعهم**"[٣]، لم يبقَ للخليفة هشام المؤيد شيء من الخلافة سوى الرسم السلطاني والدعوة بالاسم الخلافي[٤]، وأصبح الخليفة هشام المؤيد محكوما على أمره، فقد تغلب عليه ابن أبي عامر، فكان يتولى جميع الأمور، والذي شجَّعه على ذلك صفات الخليفة الذي كان صغيَر السِّنِّ، ميَّالا إلى اللهو واللعب، ولم تكن فيه صفة من صفات الأمراء، ما دفعه إلى الحجر عليه، فلم يسمح لأحدٍ غيره برؤيته أو مخاطبته[٥].

---

[١] المراكشي، المعجب(ص٣١).

[٢] ابن الخطيب، أعمال الأعلام(ج٢/٧٢).

[٣] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج٤/١٨٩).

[٤] الحميري، الروض المعطار(ص٢٨٤).

[٥] ابن الأثير، الكامل(ج٧/٣٤٩).

وفي أواخر عصر الخلافة برزت امرأة حرة ذات نفوذ واسع، وهي الذلفاء زوجة المنصور بن أبي عامر، ووالدة ابنه المظفر عبد الملك بن أبي عامر، ولقُبِّت بالسّيدة[١]، لمكانتها العالية في القصر، ونفوذها الواسع، فقد أودع المنصور بن أبي عامر لديها، جميع أمواله الخاصة التي تركها بعد وفاته لابنه عبد الملك، وذلك أثناء مرضه الأخير، إذ أوصى ولده عبد الملك بقوله: "**والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك، وعدة لحاجة تنزل بك**"[٢]، لثقته بها، وترك لها حرية التصرف بها، فقد وهَبتِ ابن شهيدَ[٣]، وهو طفل أربعة آلاف دينار، وربما كان لذلك أبعد الأثر فيما بعد، ما جعلها تتدخل في شؤون الدولة وإدارتها، حتى أصبحت ذات تأثير كبير على ابنها، فقد عُرَفتْ بالذكاء وقوة التدبير والتخطيط[٤]، وقد وصف ابن عذاري لنا حال المظفر بقوله: "**استقام أمر عبد الملك بنظره، وهابه كلُّ السلطان من أصحاب السيوف والأقلام واستقاموا على الطاعة ولما نظر الناس الدولة وإدارتها، حتى أصبحت الذلفاء ذات تأثير كبير على ابنها**"[٥].

كما حظي بعض الفقهاء بمكانة لدى الذلفاء، كابن حاتم بن ذكوان، الذي كان صاحب المظالم في عصر ولدها[٦]، فقد كان لابن ذكوان مكانة لديها، ومن المعروف أنّ الفقهاء في الأندلس يتمتعون بعضهم بمكانة واسعة، فمن المُؤكد أنّها قربت بعضاً منهم، لتوطيد حكمها في الأندلس، وتدعيم نفوذها وسلطتها في البلاد.

ويتضح مما سبق من تاريخ الأندلس أنّ عدداً من الشخصيات النسائية التي لعبت دوراً في السياسة الأندلسية، منها أم عبد الرحمن بن معاوية وأخته أم الأصبغ، وزوجة يوسف الفهري، وعُجب زوجة الحَكم الربضي، وطَروب زوجة الأمير عبدالرحمن الأوسط، وصُبح البشكنسية زوجة الحَكم المُستنصر، وكذلك الذلفاء زوجة الحاجب المنصور بن أبي عامر وأُم وريثه على الحجابة العامرية عبدالملك الملقب بالمظفر.

---

[١] ابن بسام، الذخيرة(ج١/١٢٤).

[٢] ابن الخطيب، أعمال الأعلام(ج٢/٧٧).

[٣] ابن شهيد أحمد بن عبد الملك من كبار شعراء وأدباء الأندلس، وله كتاب التوابع والزوابع وقد، استأثرت أسرته بمناصب الحجابة والكتابة في الدولة الأموية في الأندلس توفي سنة (٤٢٦هـ)، المقري، نفخ الطيب(ج١/١٥٦).

[٤] الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان(ص١٩٣).

[٥] ابن عذاري، البيان المغرب(ص٢٨).

[٦] ابن بسام، الذخيرة(ج١/١٢٦).

المبحث الرابع: اتحاف الأدب الأندلسي بروائع القصائد

كان الشعر مرآة الحياة الأندلسية وعذوبتها وجمالها وطبيعتها وحس نسائها، فحظي الشعر باهتمام كبير من أبناء الأندلس باختلاف طبقاتهم وتنوع أعمالهم، فاعتنى حكام الأندلس، وأتقن كثير منهم الشعر وأصوله، فكان لهم الأثر الكبير في غزارة الشعر الأندلسي [١].

وكان مجال الأدب واسعاً جداً، حيث برزت فيه النساء الأندلسيات، لامتلاكهن المقومات الأساسية للنبوغ في هذا المجال فقد وصفهن المقري: "**لهن اليد الطولى في البلاغة**"[٢]، وقد كتبت نساء الأندلس في مختلف الأغراض الشعرية، ولا غرابة في ذلك، لأن المرأة الأندلسية كانت تتمتع بالحرية، وتساهم في جميع جوانب الحياة وميادينها[٣]، فقد تأثرت المرأة الأندلسية بالحركة الأدبية التي كانت في العصر الاموي الأندلسي، لذلك ذخرت المصادر بالعديد من الشاعرات اللائي برزن خلال هذه الفترة، والملاحظ أنّ المرأة الحرة نالت قسطاً كبيراً في هذا المجال من الجواري والاماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء[٤].

ففي عصر الإمارة اشتهرت الشاعرة حسانة التميمية، وهي ابنة الشاعر أبي المخشي[٥]عاصم بن زيد عاصم بن زَيْد بن يحيى بن حَنْظلةَ بن عَلْقمةَ بن عَدِيّ بن زَيْد التّميميِّ العباديّ، وكانت شاعرةً مطبوعة[٦]، والمصادر لم تذكر سنة ولادتها، أوسنة وفاتها، لكننا نجد أنّها مدحت الحكم، ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط، وقد تولى الحكم بن هشام الخلافة سنة(١٨٠هـ/٧٩٦م)[٧]، وابنه عبد الرحمن تولى الحُكم سنة(٢٠٦هـ/٨٢١م)[١]، فنستنتج من ذلك

---

[١] عباس، المرأة الأندلسية (ص٢٧٩).

[٢] المقري، نفخ الطيب(ج٤/١٦٦).

[٣] عوض الله، دور المرأة السياسي الاجتماعي والثقافي في الأندلس(ص٢٧٩).

[٤] بيهم، المرأة في حضارة العرب(ص٢٤٠)

[٥] أبو المخشي ، عاصمُ بن زيد بن يحيى بن حَنْظَلَة بن عَلْقَمةَ بن عَدِيٍّ بن زَيْد بن حِمار بن زَيْد بن أيّوب بن مَجروفِ بن عامِر بن عُصيّةَ بن امرئ القَيْس بن زَيدِ مَنَاةَ بن تَمِيم بن مُرٍّ بن أُدٍّ بن طابخةَ بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنانَ التَّميميُّ العَبّاديُّ، قُرطُبيّ، وأبوه زيدٌ هو الداخِلُ من المشرِق إلى الأندلس،كان شاعرًا مطبوعًا مجوِّدًا حُلوَ الألفاظ بارعَ المعاني، ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة(ج٣/٨٤).

[٦] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة(ج٥/٤١٤)

[٧] ابن عبد ربه، العقد الفريد(ج٥/٢٣٢).

أنّها عاشت في نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي، وبداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وكانت شابة لم تتزوج بعد عندما مدحت الحكم بن هشام، كما ورد في كتاب(نفح الطيب) للمقري[٢].

حسّانة من أوائل الشاعرات الأندلسيات الحرائر، وشعرها من أقدم ماوصلنا من شعر النساء في الأندلس، وأهم سمات شعرها أنه مشرقي الطابع[٣]، وقد لجأت إلى الأمير الحكم بن هشام بعد وفاة أبيها، تمدحه بقصيدة شعرية، تَستعطِفهُ بأن يكون لها عوناً فتقول[٤]:

إني إليكَ أبا العاصــي موجَعةٌ	**أبا المخشّى سَقَتْهُ الواكفَ الدّيَمُ**
قد كنتُ أرتعُ في نعماهُ عاكفةً	**فاليومَ آوي إلى نعمــاكَ يا حكمُ**
أنتَ الإمام الذي أنقاد الأنامُ له	**وملّــكَتْهُ مقــاليدَ النّهَى الأمـمُ**
لا شيء أخشى إذا ما كنتَ لي	**كنفاً آوي إليه ولا يعرونِيَ العَدَمُ**
لا زِلْتَ بالعزّة القعساء مرتــدياً	**حتى تذلّ إليك الــعُــرْبُ والعَـجَمُ**

وقد أُعجب الحَكم بشعرها، فأجرى لها راتباً، وكتب إلى عامله على ألبيرة، حيث تقيم الشاعرة، جابر بن لبيد الإحسان إليها وإكرامها، وبعد أنْ مات الحكم نقض عامله جابر ما أمر به الخليفة، فعادت الشاعرة إلى الخليفة، وهذه المرة لعبد الرحمن بن الحكم، فتلطّفت في الدخول إليه عن طريق بعض نسائه، وهو في مجلس أنس وسرور، وعندما مثلت بين يديه انتسبت إليه فعرفها[٥]، أنشدت قائلة[٦]:

إلى ذِي النَدى والمَجدُ سَارتْ رِكَائِبي	**على شَحط تصلي بِنارِ الهَواجِرِ**

---

[١] ابن الأبار، الحلة السيراء(ص١١٣).

[٢] نفخ الطيب(ج٤/١٦٧).

[٣] العقيلي، الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية(ص٤٢١).

[٤] المقري، نفخ الطيب(ج٤/١٦٧).

[٥] مجهول، ذكر بلاد الأندلس(ص١٤٢).

[٦] المقري، نفخ الطيب (ج٤/١٦٨).

ليجبـر صدعــي إنه خـــير جابــر **ويمنعني من ذي الظلامة جابر**

فإني وأبــنائي كفـه كـذي الريــش **أضحى في مخــالب كــاســـر**

جدير لمثلى أن يـقال مَرُوعة لمـوت **أبي العاصي الذي كان ناصري**

سـقــاه الـحيا لـو كــان حـيا لمــا **اعتد عليَّ زمـــان باطش قادر**

أيمحو الـــذي خطته يمـناه جــابر **لقد سام بالإملاك إحدى الكبائر**

ولما فرغت رفعت إليه خط والده، وحكت له ما كان من أمرها، فرق لها، وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه، وقال: "**تعدى ابن لبيد طوره، حين رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أنْ نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حسّانة فقد عزلته لك**"، ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم، فقبلت يده، وأمر لها بجائزة[١]، وهذه القصة تؤكد على عدل عبد الرحمن بن الحكم، ومنع وقوع الظلم على النساء، والاستماع لتظلمهن، وإقرار الحق لهن، فهي صورة جميلة وموقف إنساني للأمير سجله تاريخ الأندلس، فانصرفت وبعثت إليه بقصيدة تشكره فيها منها[٢]:

ابن الهشامين خير الناس مأثرة **وخـيــر مــنتجع يــومــاً لرواد**

إنْ هزّ يوم الوغى أثناء صعدته **روى أنابيبها من صرف فرصاد**

قل للإمام أيــا خيــر الـــورى **نسباً مقابلاً بين أبــاء وأجــداد**

جودت طبعي ولم ترض الظلامة **لي فهاك فضل ثـنـاء رائـح غاد**

فإن أقــمت ففي نعمــاك عاطفة **وإن رحلــت فقد زودتني زادي**

قد تكون القصيدة طويلة، لأنّ المقري قبل أنْ يذكرها جاء بكلمة "منها"، مما يدل على أنّ أكثرها ضاع، ولا تذكر لنا المصادر عنها شيئاً سوى هذه المناسبات الثلاثة، وبالتالي نستنتج أنّ

---

[١] انظر :المقري، نفخ الطيب(ج٤/١٦٨).

[٢] المصدرالسابق(ج٤/١٦٨).

الشاعرة حسّانة التميمية لم تقل الشعر ولم تنظمه إلا عندما احتاجت للتعبير عن حاجتها المادية وطلباً للمساعدة، أو شكاية من ظلم وقع عليها، أو شكراً لمعروف.

فحسّانة التميمية امرأة ذكية طرقت باب الحكام تذكرهم بوالدها الشاعر المعروف لديهم، وتطلب المعونة، لذا كان من الأفضل لها ولمسألتها أنْ تنظم شكايتها شعراً لا نثراً، فيكون أوقر في النفس وأجمل أثراً[١]، وشعر حسانة يتسم بالأصالة والصدق، ففيه يظهر طبيعة المرأة في ضعفها وحاجتها إلى الحماية وبحثها عن الكنف، وفزعها من القهر، وفرط إحساسها بالعدوان، وصراخها بطلب الغوث[٢]، ونستنتج من ذلك أنّها لم تنغمس تماماً في الترف، الذي عاشته المرأة فيما بعد من العصور.

وبرز في عصر الخلافة شاعرات عديدات، منهن الشاعرة الحرة عائشة بنت أحمد بن قادم القرطبية، لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة، تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف[٣]، وقد نقل المقري عبارة ابن حيان عن كتابه (المغرب): " **إنها من عجائب زمانها، وغرائب أوانها، وأبو عبد الله الطبيب عمها، ولو قيل إنها أشعر منه لجاز**"[٤]، وتوفيت ولم تتزوج قط سنة(٤٠٠هـ/١٠٠٩م)[٥].

ويتضح مما سبق أنّ الشاعرة عائشة عاشت في القرن الرابع للهجرة/العاشر ميلادي، ويبدو أنّها عمرت طويلاً، فقد ذكر ابن بشكوال أنها كانت تمدح ملوك زمانها، فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا ترد شفاعتها[٦]، وهذا يدل على أنّها عاصرت أكثر من ملك، وكانت على مقدرة بارتجال الشعر، فقد دخلت على المظفر ابن المنصور بن أبي عامر وبين يديه

---

[١] المعيقلي، الرؤية الذاتية(ص٤٠٩).
[٢] هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة(ص١٠٩).
[٣] الصلة(ج٢/٦٥٤).
[٤] المقري، نفخ الطيب (ج٤/٢٩٠).
[٥] السيوطي، نزهة الجلساء(ص٦١).
[٦] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

ولد له، فارتجلت[1]:

أراكَ اللهُ فيه مــــــا تُريد	ولا بَرِحــتَ معــاليه تـــزيدُ
فــقد دلَّـــــت مَخَايِلُه على	ما تُؤمَله وطالــعه السـعيدُ
تشوقت الجياد له وهز ال	حسام هوى وأشرقت البنودُ
فسوف تراهُ بدراً في سَماءٍ	من العليــا كـواكبه الجـنودُ
وكيف يخيب شِبل قد نَمَتْهُ	إلى العليا ضراغـمةٌ الأسودُ
فأنتم آلَ عَــامرٍ خيــرَ آلٍ	زكا الأبناءُ منـــكمْ والجدودُ
وَلـيدُكمُ لـــدى رأي كــشيخ	وشيخكُم لدى الحـــربِ وَليدُ

وقد ذكر ابن بشكوال لعائشة مطلعاً لقصيدة وجهتها لأحد الرؤساء وهذه مقدمتها قائلة[2]:

لولا الدموع لَما خشيتُ عذُولاً	فهيَ الّتي جعلت إليك سبيلا

وخَطَبها أحد الشُعراء مِمَنْ لم ترضه فهجته قائلة[3]:

أنا لبوة لكنني لا أرتضي نَفْسِي	مُناخاً طــول دهـــري من أحدِ
ولو أَنني أختار ذلك لم أُجِــبْ	كلباً وكم غَلّقْتُ سَمعي عن أسدِ

من المُؤكد أنّ هذا الخاطب غير كفو لها، ورأت أنّ في تجرئه على خطبتها إهانة لمكانتها، ولعلّ اعتزازها بنفسها، وعراقة أصلها، وأدبها، وثرائها أسباب جعلتها لا تقدم على الزواج من أي شخص، لأنّها لم تجد فيمن تقدم لها من هو جدير بها[4].

---

[1] المقري، نفخ الطيب(ج٤/٢٩٠).

[2] ابن بشكوال، الصلة(ج٢/٦٥٤).

[3] السيوطي، نزهة الجلساء(ص٦٢).

[4] العقيلي، الرؤية الذاتية(ص٤٣٩).

أيضاً نذكر من الشاعرات، الحُرة مريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبي الحاجة أديبة شاعرة، جزلة مشهورة، كانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها، وعمّرت عمراً طويلاً، سكنت أشبيليه(١)، وقد أنشد لها أصبغ بن سيد الإشبيلي(٢)، أبياتاً تصف حالها بعد أنْ عاشت سبعة وسبعين سنة لقولها(٣):

وما تَرْتَجي مِنْ بِنْتِ سبعين حِجـَّةً ... وسبع كنسْجِ العَنْكبوتِ المهلْهل

تدِبُّ دبيبَ الطِّفْل تَسْعى إلى العصا ... وتمشي بِها مَشْيَ الأسير المُكَبَّلِ

وهذه الأبيات تدُل على أنّها عمرت طويلاً، فقد شكت مريم زمانها، والشكوى الصادقة لون من ألوان غناء النفس، فلقد بلغت الذروة في التعبير عن آلام الشيخوخة وهمومها تعبيراً لم يستطع كثير من الشعراء الرجال المعمّرين أنْ يصلوا إلى مقامه دقة في التصوير وبراعة في التعبير.

كما أنّ ابن المهند(٤) بعث إليها بدنانير يشكرها على ما قدمت له من علم وكتب إليها(٥):

ما لي بشُكرِ الذي أوليْتِ من قِبـَلِ ... لو أنني حُزْتُ نُطْقَ اللُّسْنِ في الخَبَلِ

يا فَرْدَةَ الظَّرْفِ في هذا الزّمانِ ويا ... وحيدةَ العصْرِ في الإخلاصِ و الـعملِ

أشْبَـهْتِ مريماً الـعذراءَ فـي وَرَعٍ ... وفُقْتِ خنساءَ في الأشعـــارِ والمثَلِ

فيظهر في شعره الكثير من الاحترام والإجلال لها، حيث شبهها بمريم العذراء في ورعها، بالخنساء في شعرها فكتَبَتْ إليه مَادِحة(٦):

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس(ص٤١٢).

(٢) ابن بشكوال، الصلة(ج٢/١١٠).

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس(ص٤١٢).

(٤) ابن المهند شاعر مشهور، كان بعد الأربعمائة، ووالده المهند هو طاهر بن محمد، الضبي، بغية الملتمس(ص٥٣٩).

(٥) الضبي، بغية الملتمس(ص٥٤٤).

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس(ص٤١٣).

مَنْ ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عــملِ	**وقَدْ بَدَرْتَ إلى فضْلٍ ولم تُـــسَلِ**
ما لي بشكرِ الذي نَظَّمْتَ في عُنُقي	**منَ اللآلي ومـــا أوْلَـيْتَ من قِبَلِ**
حَلَّيتــني بِحُـلًى أصبحــتُ زاهـــيةً	**بِها على كلِّ أُنثًى مِنْ حُلىً عُطُلِ**
لله أخـــلاقُـــكَ الغُــرُّ التي سُقِيــتْ	**ماء الـفراتِ فَرَقَّتْ رِقَّـــةَ الغَــزَلِ**
أشـبهْتَ مـروان مَنْ غــارت بدائعُهُ	**وأنْجَدَتْ وغَدَتْ من أحْسن المــثَلِ**
من كان والِدُهُ العَضْبَ المهنَّدَ لـــم	**يَلِدْ من النَّسلِ غير البيضِ والأسَلِ**

لكن مع هذا توجد بعض الجواري ممن نظمن الشعر، كقمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب إشبيلية(ت:٢٩٨هـ/٩١٠م)[١]، ومن تاريخ وفاة سيدها يدل أنّها عاشت في القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي.

وقمر من الجواري اللواتي جُلبن من بغداد، وهي قيْنة مغنية من أنواع قيان بغداد، وأصنعهُن في الغناء وأعرفهن بفنون الكلام، سمع بها إبراهيم اللّخمي، فاشتراها بأموال عظيمة حتّى قدم بها إلى الأندلس[٢]، وقد تميزت بفصاحة اللسان والبيان والأدب، وكانت تجيد نظم الشِعر، لا تُدَانِي أحداً في الظرافة والرواية والحفظ مع فهم بارع وجمال[٣]، ويبدو أنّ الشاعرة قد أحست بغربة شديدة، فقد ذكر ابن الأبار لها أبياتاً تفتقد فيها وطنها العراق ومدينتها بغداد التي جاءت منها، وتتغنى بمحاسنها وحسانها قائلة[٤]:

آهـاً على بغدادِهـــا وعِـــراقِها	**وظِـبائها وَالسِّــحْرُ فِي أحـْداقِـــها**
و مَــجَالِها عِنْدَ الْفُرَاتِ بـأوجُهٍ	**تــبـــدو أهِــلّتُها عــلى أطــواقِـــها**
متبخـــتراتٍ فِي النَّعيمِ كَأَنَّـمَــا	**خُلِقَ الْهَوَى العُذْرِيِّ مـن أخـــلاقِها**
نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهَا فَأَيُّ محَاسِنٍ	**فِي الدَّهْر تشرق من سنا إشراقــها**

---

[١] إبْرَاهِيم بن حجاج بن عُمَيْر بن حبيب اللَّخْمِيّ أَبُو إِسْحَاق، ملك إشبيلية وقرمونة، كَانَ منت(جعاً على الْبر وَالْبَحْر (جواداً ممدّحاً يرتاح للثناء وَيُعْطِي الشُّعَرَاء عداد الْأَمْوَال؛ انظر، ابن الأبار، الحلة السيراء(ج٢/٣٧٦).

[٢] الباجوري، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها(ج٣/٥٠).

[٣] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٥).

[٤] المصدر السابق(ج٤/٢٤٦).

ومع هذه الغربة ويبدو أن سيدها كريم معها لذا مدحته بأبيات شِعرية قائلة فيها[1]:

مَا فِي المغارب من كَريم يُرتَجى — إِلَّا خَليف الْجُود إِبْرَاهِيم

إِنِّي حللت لَدَيْهِ منزل نعْمَة كـل — الـمنَازل مَا عداهُ ذميم.

فازدرى بها نِساء العرب لأنّهن يألفن جارية ذات مكانة، وأخذن يتهامسن إذا مرّت ويتغامزن إذا غنّت[2]، فردت على عُذالها بأبيات شِعريه وقالت[3]:

قـــالــــوا أتـــتْ زي أطـــمـــار — من بعد ما هتـكتْ قلـباً بأشـفـارِ

تـمـشي على وَجَلٍ تغدو سَـبَلٍ — تشقّ أمصار أرضٍ بعـد أمصـارِ

لا حُرّةٌ هـي من أحـرار مـوضعها — ولا لهـا غـير تـرسيلٍ وأشعـــارِ

لو يعـقـلون لمـا عابوا غـريبتهم — لله مِـــنْ أَمَــةٍ تـُـزْرِي بأحـــرارِ

ما لابـن آدمَ فـخـرٌ غـير هـمتهِ — بـعـد الديـانة والإخـلاص لـلبـاري

دعني من الجهل لا أرضى بصاحبهِ — لا يخلس الجهل من سَبٍّ ومن عـارِ

لــو لــم تـكـن جـنـةٌ إلا لـجـاهلةٍ — رَضِيتُ من حُكْم ربّ النـــاس بالـنارِ

وعزيز جاريةُ الحَكم بن هشام الربضي، شاعرة مغنية لبيبة أديبة فطينة، كثيرة الرواية[4]، في يوم قال الحكم لجواريه: هل فيكن من ينظم الشعر؟ فبدرت عزيز فقالت[5]:

قد تقضي النّهار إلا بَقــايَا — مِن شُعاعٍ مخلّف للأصيل

وأتانا الظّلام من جِهة الشر — قِ فأهلا منه بِخير نــزيل

---

[1] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٦).

[2] الباجوري، المرأة في جاهليتها وإسلامها(ج٣/٥٠).

[3] المقري، نفخ الطيب(ج٢/١٢٨).

[4] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الآمصار(ج١٠/٥٧٦).

[5] المصدر السابق(ج١٠/٥٧٧).

دَام هذا وذا بِطول بَقاء ال   حكم السيد الفتى المأمول

فوقع شعرها منه موقع الإستحسان، ووصلها بما غمرها به من الإحسان.

أيضاً من الشاعرات، الجارية أنس القلوب جارية المنصور بن أبي عامر، وفي يومٍ نادم الوزير أبو المغيرة بن حزم، المنصور بن أبي عامر في مُنية السرور بالزاهرة، وقد غَنّت أُنس القلوب أبيات من الشعر بحضور الوزير أبو المغيرة بن حزم جاء فيها[1]:

قدمَ الليلُ عند سيرِ النّهارِ   وبـدا البـدُر مِثل نِصفِ سِوارِ

فكأنّ النّهارَ صفحة خـدٍّ   وكـأنّ الظـلام خـطّ عـذارِ

وكأنّ الكؤوسَ جامدُ مـاءٍ   وكـأن الـمدامَ ذائـبُ نـار

نظري قدْ جَنى عليّ ذنوباً   كيف ممّا جنتْه عيناي اعْتذاري

يا لقومي تعجّبوا من غزالٍ   جَائر في مَحبّتِي وهـو جـَاري

ليتَ لو كان لي إليه سبيلٌ   فأقـضّي من حـبّه أوطـارِي

فقال أبو المغيرة بن حزم: فلمّا أكْمَلتْ الغِنَاءِ، أحسست بالمعنى، فقُلت[2]:

كيف كيفَ الوصولُ للأقمار   بين سُمْر القنا وبيضِ الشّفارِ؟

لو علمنا بأن حبـكَ حقٌّ   لطلبنا الـحياة مِـنكَ بثـارِ

وإذا ما الكرامُ همُّوا بـشيءٍ   خاطروا بالنفوسِ في الأخـطارِ

فعند ذلك بادر المنصور لحسامه، وغلظ في كلامه، وقال لها: قولي واصدقي إلى من تشيرين، بهذا الشوق والحنين؟ فقالت الجارية: إنْ كان الكذب أنجى، فالصدق أحرى وأولى، والله ما كانت إلاّ نظرة، ولّدت في القلب فكرة، فتكلّم الحب على لساني، وبرّح الشوق بكتماني، والعفو

---

[1] المقري، نفح الطيب(ج١/٦١٧).

[2] المصدر السابق(ج١/٢١٨).

مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة؛ ثم بكت فكأن دمعها درٌّ تناثر من عقد، أو طلٌّ تساقط من ورد، وأنشدت[١]:

أذنبتُ ذنباً عظــيماً	**فكيف منه اعتذاري**
والله قـــــدَرَ هــذا	**ولم يَكــنْ بِاختِيارِي**
والعَفوُ أَحسنُ شيءٍ	**يكــونُ عـندَ اقتدارِ**

قال: فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب إليّ، وسلّ سيف السخط عليّ، فقلت: أيدك الله تعالى، إنّما كانت هفوةً جرها الفكر، وصبوة أيدها النظر، وليس للمرء إلاّ ما قدر له، لا ما اختاره وأمله. فأطرق المنصور قليلاً ثم عفا وصفح، وتجاوز عنّا وسمح، وخلّى سبيلي، فسكن وجيب قلبي وغليلي، ووهب الجارية لي فبتنا بأنعم ليلة[٢].

ويتضح لنا أنّ الجارية أنس القلوب عاشت في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، ويدل على ذلك أنّها عاصرت المنصور المتوفي سنة(٣٩٢هـ/١٠٠٢م)[٣]، أبو المغيرة ابن حزم المتوفي سنة(٤٢٠هـ/١٠٢٩)[٤]، ويتضح من شِعرها الصدق والغزل العفيف.

ومن الجواري الشاعرات الجارية متعة تلميذة وجارية زرياب[٥]، عاشت في القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، ويبدو أنها وصلت إلى درجة كبيرة من الإتقان في صنعة الغناء والمعرفة بالأدب، والحفظ، وجمال الصوت، وجمال الصورة[٦].

---

[١] المقري، نفخ الطيب(ج١/٢١٨).

[٢] المصدر السابق(ج١/٢١٨).

[٣] ابن الأبار، الحلة السيراء(ص٢٩٨-٣٠٠).

[٤] أبو المغيرة بن حزم، عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن المغيرة، الوزير، الكاتب من المقدمين في الأدب والشعر والبلاغة، وهو ابن عم الفقيه أبي محمد ابن حزم، ووالد أبي الخطاب، وأبو محمد خاله، وشعره كثير مجموع، الحميدي،جذوة المقتبس(ص٢٩١).

[٥] المقري، نفخ الطيب(ج١/٣٣٤).

[٦] المصدر السابق(ج٣/١٣١).

ومن المعروف أنّ الجارية عندما تنال الحظوة لدى السادة، بالتالي ينال مثل هذه الحظوة بائعها أو مُؤدبها أو مُهديها وهذا جعل زرياب أو غيره من المغنيين يرغب في إظهار تلميذتهِ النجيبة في مجالس الخلفاء والأمراء، وعلى رأسهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي أعجب بالجارية مُتعة، فقد كانت تغنيه مرة وتسقيه أخرى، وهذا الإعجاب لم يخف على الجارية الحسناء التي أظهرت له رغبتها به وحبها له فغنته[١]:

يَا من يُغطي هَوَاهُ من ذَا يُغطي النهارَا

قد كُنتُ أَمـلِكُ قلبِي حَتَّى عَلقت فطَـارَا

يَا ويــلتي أَتـَـراهُ لي كَـــانَ أَو مُستَعارَا

يَا بِأبي قـــرشي خَلعــتُ فِيهِ العَـــذَارا.

فَلَمَّا انْكَشَفَ لزرياب أمرهَا أهداها إِلَيْهِ فحظيت لَدَيْهِ.

من خلال استعراض الشعر النسوي في الأندلس، يمكننا أنْ نقول لقد أثبتت المرأة الأندلسية القدرة على قول الشعر وإتحافنا به من خلال المقاطع الشعرية التي ذكرها المؤرخون في مصادرهم، وبرهنت على أنّها تمتلك موهبة لا تقلّ عن موهبة الرجل من حيث القدرة على العطاء؛ فكان نتاجها الشعري قيّماً، يعبّر عن ثقافتها وفهمها ووعيها، وأنّ هذا يدل على قوة شخصية المرأة الأندلسية، وأهمية الشعر في حياة الأندلسيين كوسيلة للتعبير وطريقة للرد.

---

[١] ابن الأبار، التكملة(ج٤/٢٤٣).

الخاتمة ونتائج الدراسة

أولاً: النتائج:

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذه الدراسة، وقد توصلت الباحثة إلى نتائج عدة أهمها:

- اهتمت المرأة الأندلسية المسلمة بالعلم، وكانت نساء الأندلس المسلمات بوجه عام متعلمات، إذ تلقين العلم على أيدي أهلهن في البيوت أو على أيدي مُعلمات ومعلمين.
- حافظت المرأة الأندلسية المسلمة على ارتداء الحجاب وفق ما أمر الله ورسوله.
- كانت المرأة الأندلسية المسلمة مُحافظة في علاقتها بالرجال الغرباء، إذ لم تشارك في مجالسهم .
- أنّ قوة الإيمان وسلامة العقيدة وكثرة العبادة والزهد والورع كانت من الصفات التي تحلّت بها الكثير من النساء المسلمات في الأندلس.
- أنّ كثيراً من مسلمات الأندلس أدّين فريضة الحج، بالرغم من بعد الأندلس عن مكة المكرمة، وأنّ منهنّ من استثمرن هذه الرحلة في طلب العلم.
- التزمت كثير من نساء الأندلس بأخلاق الإسلام السامقة كالحياء والعفة والأمانة والصدق والحلم.
- اهتمت مسلمات الأندلس بنظافة بدنها وبيتها وطعامها.
- تدخلت المرأة الأندلسية في السياسة، وأثرت فيها، من خلال تأثيرها على ذوي السلطان أزواجاً وأبناءً وإخوة.
- عَرفت الأندلس كثيراً من النساء الصالحات العابدات الزاهدات العالمات المتصدّقات اللائي سجّل التاريخ بناءهنّ المساجد والمرافق العامة.
- اهتمت المرأة الأندلسية المسلمة بتربية أبنائها ورعاية زوجها.
- شاركت المرأة الأندلسية المسلمة في إصلاح المجتمع وخدمته من خلال عملها كطبيبة ومعلمة وكاتبة وشاعرة وأمينة.

ثانيًا: التوصيات

بعد الانتهاء من هذه الدراسة فإن الباحثة تُوصي بما يأتي:

- ضَرُورة الإقدَام على دِراسَة صَلاح نِسَاء الأندلس مُنذُ سنة(٤٠٠-٨٩٧هـ)/(١٠٠٩-١٤٩٢م)، وفي المصادر مايكفي لإنجاز هذا البحث.
- يجب الاهتمام بِتَعلِيم المرأة لأَن العِلم مِن أَهم أَسْبَاب صَلاحِها.
- لابدّ من كِتابة البُحوث والأَوراق والمَقالات حَول شَخَصيات نِسائِية أَندَلُسِية صَالِحة، لإِظهَار حَقيقَة المرأة الأندَلُسية المُسلِمة التي غَلبَ عليها الصّلاح، والرد على المُغرِضِين الذين صَورُوهَا مَاجِنة عَابِثَة.

والحمد الله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر. (١٩٩٥م). *التكملة لكتاب الصلة*. تحقيق: عبد السلام الهراس. (د.ط). لبنان: دار الفكر للطباعة .

٢. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر. (١٩٨٥م). *الحلة السيراء*. تحقيق : حسين مؤنس. ط٢. القاهرة: دار المعارف.

٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد. (١٩٩٤م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: علي محمد معوض ،عادل أحمد عبد الموجود. ط٥. دار الكتب العلمية.

٤. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد. (١٩٩٧م). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

٥. ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي أبو الوليد. (١٩٧٦م). *أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن* .تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية. ط١. بيروت : مؤسسة الرسالة.

٦. أرسلان، شكيب. (١٩٣٦م). *الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية*. (ط١). مصر: المطبعة الرحمانية.

٧. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق. (١٩٧٤م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. (د.ط). مصر: مطبعة السعادة .

٨. الألوسي، شهاب الدين محمود. (٢٠٠٥م). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. (د.ط). بيروت: دار التراث العربي. المطبعة المنيرية.

٩. أمين، أحمد. (١٩٩٧م). *ضحى الاسلام*. (د.ط).القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

١٠. الباجوري، عبد الله بن عفيفي. (١٩٣٢م). *المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها*. ط٢. (د.م):مكتبة الثقافة.

١١. بروفنسال، ليفي. (د.ت). *حضارة العرب في الأندلس*. ترجمة: ذوقان قرقوط. (د.ط). بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة.

١٢. ابن بسام، علي الشنتريني. (١٩٨١م). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. تحقيق: إحسان عباس. ط١.تونس: الدار العربية للكتاب.

١٣. البشري، سعد عبدالله. (١٩٨٦م). *الحياة العلمية في عصر الطوائف*. رسالة ماجستير. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.

١٤. ابن بشكول، خلف بن عبدالله بن مسعود. (١٩٨٩م). *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط١. مصر: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.
١٥. البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد. (١٩٨٣م). *شرح السنة*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش. ط٢. دمشق: المكتب الإسلامي.
١٦. بلباس، ليوبولد توريس. (١٩٥٣م). *الأبنية الإسبانية الإسلامية*. تعريب: علية إبراهيم العناني. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مدريد. العدد١١.
١٧. بنشريفة، عصمت. (١٩٩٥م). *مظاهر الحياة الاجتماعية طقوس الجنائز*. مجلة الدراسات الأندلسية. تونس. العدد(١٣).
١٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. (د.ت). *المدخل إلى السنن الكبرى. تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي*. (د.ط). الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
١٩. بيهم، جميل. (١٩٦٢م). *المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة*. ط١. بيروت: دار النشر للجامعيين.
٢٠. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى. (١٩٧٥م). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢).ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣).وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥). ط٢. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٢١. الجبالي، خالد حسن. (د.ت). *الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي وحتى سقوط الخلافة*.(د.ط). القاهرة: مكتبة الأداب.
٢٢. الجزيري، علي بن محمد. (١٩٩٨م). *المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود*. تحقيق: اسونثقيون فريرس. مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.
٢٣. جمعة، أحمد خليل. (٢٠٠١م). *نساء من الأندلس*. ط١. بيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٤. الجنحاني، الحبيب. (١٩٨٤م). *الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من كتاب المقتبس لابن حيان*. مجلة المناهل. ع(٢٩).
٢٥. ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ (سبط ابن الجوزي). (٢٠١٣م). *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*. تحقيق :محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي. ط١. دمشق: دار الرسالة العالمية.
٢٦. الجيوسي، سلمي الخضراء. (١٩٩٨م). *الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس*.(د.ط). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢٧. الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد. (١٩٨١م). *المدخل*. (د.ط). (د.م). دار الفكر.

٢٨. ابن حبيب، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان. (١٩٩٢م). *أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية*. تحقيق: عبد المجيد تركي. ط١. (د.م): دار الغرب الإسلامي.

٢٩. الحجي، عبد الرحمن. (١٩٨١م). *التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة*. ط٢. بيروت: دار القلم.

٣٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. (١٩٨٣م*)*. *جمهرة أنساب العرب*. تحقيق: لجنة من العلماء. ط١. لبنان: دار الكتب العلمية .

٣١. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (١٩٨٣م). *رسائل ابن حزم الأندلسي*. ط١. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (١٩٨٧م). *طوق الحمامة في الألفة والألاف*. تحقيق: د. إحسان عباس. ط٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (٢٠٠٣م). *المحلى بالآثار*. تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. الحمد، محمد إبراهيم. (د.ت). *قطيعة الرحم: المظاهر – الأسباب – سبل العلاج* .(د.ط). (د.م): الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

٣٥. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (١٩٩٥ م). معجم *البلدان*. ط٢. بيروت: دار صادر.

٣٦. الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد. (١٩٦٦م). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*. (د.ط).القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر .

٣٧. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (١٩٨٠م*)*. *الروض المعطار في خبر الأقطار*. تحقيق: إحسان عباس. ط٢. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة .

٣٨. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. (١٩٨٣م). *فضائل الصحابة*. تحقيق: د. وصي الله محمد عباس. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة .

٣٩. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. (د.ت). *مسند الامام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٠. الحنفي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان. (١٣٤٨هـ). *بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية*. (د.ط). (د.م). مطبعة الحلبي.

٤١. ابن حوقل، محمد. (١٩٣٨ م). *صورة الأرض*.(د.ط). بيروت : دار صادر.

٤٢. ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين بن حيان. (١٣٩٠هـ). *المقتبس من أنباء الأندلس*. تحقيق: محمود علي مكي. (د.ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

٤٣. ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (١٤٢٠هـ). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط). بيروت : دار الفكر .
٤٤. ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله.(١٩٨٣م). *مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس* .تحقيق: محمد علي شوابكة. ط١. (د.م): دار عمار – مؤسسة الرسالة.
٤٥. الخراط، أحمد بن محمد أبو بلال. (د.ت). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. (د.ط). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٤٦. خزعل، ياسين مصطفى. (٢٠٠٤م). *بنو أمية ودورهم في الحياة العامة(١٣٨-٤٢٢هـ)*.رسالة ماجستير. العراق. جامعة الموصل.
٤٧. الخشني، محمد بن الحارث. (١٩٨٩م). *قضاة قرطبة*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط٢. القاهرة: دار الكتاب المصري. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
٤٨. خطاب، محمود شيت. (٢٠٠٣م). *قادة فتح الأندلس*. ط١. (د.م). مؤسسة علوم القرآن- منار للنشروالتوزيع.
٤٩. الخطابي، محمد العربي. (د.ت). *ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها*. مجلة أكاديمية المملكة المغربية. ع(١).
٥٠. الخطابي، محمد العربي. (١٩٨٨م). *الطب والأطباء في الأندلس*. (د.ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٥١. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله. (١٩٥٦م). *تاريخ إسبانيا الإسلامية المسمى بأعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام في ملوك الإسلام*. تحقيق: ليفي بروفنسال. ط٢. بيروت: دار المكشوف.
٥٢. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله. (١٤٢٤هـ). *الإحاطة في أخبار غرناطة*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
٥٣. ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح الهواري. (٢٠٠٧م). *ديوان ابن خفاجة*. تحقيق: عبدالله سندة. ط١. بيروت: دار المعرفة.
٥٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (١٩٨٨م). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. تحقيق: خليل شحادة. ط٢. بيروت: دار الفكر.
٥٥. ابن خلدون، عبدالرحمن. (٢٠٠١م). *مقدمة ابن خلدون*. تحقيق: خليل شحادة. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

٥٦. الخلف، سالم بن عبد الله. (٢٠٠٣م). *نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس*. المدينة المنورة. ط١. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
٥٧. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (١٩٩٤م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر.
٥٨. ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد. (٢٠٠٦ م). *التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة – السفر الثاني* .تحقيق: صلاح بن فتحي هلال. ط١. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة.
٥٩. الدارمي، محمد بن حبان. (١٩٧٣م). *الثقات*. ط١. حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية.
٦٠. أبي داوود، سليمان بن الأشعث. (د.ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية.
٦١. ابن دراج القسطلي، أحمد بن محمد. (١٩٦٩م). *ديوان ابن دراج القسطلي*. تحقيق: محمود علي مكي. ط٢. (د.م): المكتب الإسلامي.
٦٢. الدغلي، محمد سعيد. (١٩٨٤م). *الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها على الأدب الأندلسي*. ط١. (د.م). دار أسامة.
٦٣. دوزي، رينهارت. (د.ت). *المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب*. ترجمة: أكرم فاضل. مجلة اللسان العربي. مج (٩). ج (٢).
٦٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (١٩٨٥م). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. (د.م). مؤسسة الرسالة.
٦٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (٢٠٠٣م). *تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام*. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف. ط١. (د.ط). دار الغرب الإسلامي.
٦٦. الرازي، محمد بن عمر. (د.ت). *مفاتيح الغيب*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٦٧. الراوي. رقية مالك. (٢٠١٢). *حقوق المرأة في الميراث بين الشريعة الإسلامية وقانون الأحوال الشخصية العراقي*. رسالة ماجستير. العراق: الجامعة العراقية.
٦٨. ربوح، عبد القادر. (٢٠٠٦م). *الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرن (٤-٩هـ)*. رسالة ماجستير. الجزائر. جامعة الجزائر.
٦٩. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. (١٩٨٨م). *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة*. تحقيق: محمد حجي وآخرون. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٧٠. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. (١٩٩٣م). *مسائل أبي الوليد ابن رشد*

(الجد).تحقيق: محمد الحبيب التجكاني. ط٢. بيروت: دار الجيل.

٧١. ريبرا، خوليان. (١٩٩٤م). *التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية*. ترجمة: الطاهر أحمد مكي. ط٢. القاهرة: دار المعارف.

٧٢. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق : مجموعة من محققين. (د.م): دار الهداية.

٧٣. الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد. (١٩٧٥م). *أمثال العوام في الأندلس*. تحقيق: محمد بن شريفة. (د.ط). (د.م): منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي.

٧٤. ابن زكريا ، يحيى بن عمر بن يوسف. (د.ت). *أحكام السوق*. تقديم: محمد العمراوي السجلماسي. (د.ط).

٧٥. أبو زيد، سعيد سيد. (٢٠٠٨م). *المقابر الإسلامية في قرطبة الأندلسية دراسة تاريخية*. ط١. طنطا: مركز الصفا للطباعة.

٧٦. ابن زيدون، أحمد بن عبدالله. (١٩٨٤م). *ديوان ابن زيدون*. تحقيق: كرم البستاني. (د.ط). بيروت: دار للطباعة والنشر.

٧٧. السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون. (٢٠٠٠م). *تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس*. ط١. بنغازي: دار الكتب الوطنية.

٧٨. ابن سحنون، محمد. (١٩٧٢م). *أداب المعلمين*. تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب. ط٢. تونس.

٧٩. السعدي، ناجية ناحي. (د.ت). *الزهد في الشعر الأندلسي حتّى آخر القرن الثالث الهجري*. رسالة ماجستير. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.

٨٠. ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى. (د.ت). *الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. (د.ط). مصر: دار المعارف.

٨١. ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى. (١٩٥٥م).*المغرب في حلى المغرب*. تحقيق: شوقي ضيف. ط٣. القاهرة: دار المعارف .

٨٢. السقطي، أبو عبدالله محمد. (١٩٣١م). *في آداب الحسبة*. نشر: ج.س. كولان وليفي بروفنسال. (د.ط). باريس: مكتبة إرنست لورو.

٨٣. ابن سهل، عيسى بن سهل بن عبد الله. (٢٠٠٧م). *ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام*. تحقيق: يحيي مراد.(د.ط). القاهرة: دار الحديث.

٨٤. ابن سينا، الحسين بن عبد الله. (د.ت). مجموع *في السياسة*. تحقيق: فؤاد عبد المنعم

أحمد. ط١. الإسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة .
٨٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *نزهة الجلساء في أشعار النساء*. تحقيق: عبد اللطيف عاشور. (د.ط). (د.م). مكتبة القرآن.
٨٦. شافع، راوية عبد الحميد. (٢٠٠٦م). *المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة*. (د.ط). القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
٨٧. شاويش، وهيبة شعبان. (٢٠١٥م). *المرأة في الأندلس ما بين القرنين(٥-٦هـ)*. رسالة ماجستير. البويرة: جامعة اكلي محند أولحاج.
٨٨. شبانة، جانان عزالدين. (٢٠١٥م). *أثر الجواري في الشعر العربي في الأندلس*. رسالة ماجستير. جامعة الخليل.
٨٩. الشحود، علي بن نايف. (٢٠٠٩م). *الخلاصة في أصول التربية الإسلامية*. ط١. ماليزيا: دار المعمور.
٩٠. الشكعة، مصطفى. (١٩٧٥م). *الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه*. ط٣. بيروت: دار العلم للملايين.
٩١. الشنتوت، خالد أحمد. (د.ت). *تربية الأطفال في الحديث الشريف*.ط٢. (د.م).
٩٢. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان. (١٤٠٩هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١. الرياض: مكتبة الرشد.
٩٣. ابن صاعد، صاعد بن أحمد. (١٩١٢م). *طبقات الأمم*. تحقيق: لويس شيخو.(د.ط).بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
٩٤. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس. (د.ت). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. تحقيق: نزار رضا. (د.ط). بيروت: دار مكتبة الحياة.
٩٥. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد. (١٩٦٧م). *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*. (د.ط). القاهرة: دار الكاتب العربي .
٩٦. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. (١٩٩٤م). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
٩٧. الطبري، محمد بن جرير. (١٤٠٧هـ). *تاريخ الأمم والملوك*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
٩٨. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر.ط١. (د.م). مؤسسة الرسالة.

٩٩. الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد. (١٩٩٨م). *الحوادث والبدع*. تحقيق: علي بن حسن الحلبي. ط٣. (د.م). دار ابن الجوزي.

١٠٠. طه، عبد الواحد ذنون. (٢٠٠٤م). *دراسات أندلسية*. (د.ط). (د.م). دار المدار الإسلامي للتوزيع.

١٠١. عاشور، سعيد عبدالفتاح. (١٩٨٠م). *الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية مجلة عالم الفكر*. الكويت. مج(١١). ع(١).

١٠٢. ابن عباد، إسماعيل. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (د.ط). (د.م).

١٠٣. العبادي، وآخرون. (٢٠٠٦م). *دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية*. (د.ط). (د.م). دار المعرفة الجامعية.

١٠٤. عباس، فايزة حمزة. (١٩٨٩م). *دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية*. رسالة ماجستير. العراق: جامعة الموصل.

١٠٥. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. (١٩٨٠م). *الكافي في فقه أهل المدينة*. تحقيق: محمد الموريتاني. ط٢. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

١٠٦. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. (١٩٩٢م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط١. بيروت: دار الجيل.

١٠٧. عبد العزيز، محمد. (١٩٨٠م). *المرأة العربية في الأندلس*. مجلة المؤرخ. ع(١٣).

١٠٨. ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد. (١٩٦٥م). *السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*. تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: دار الثقافة.

١٠٩. ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد. (٢٠١٢م). *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*. تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة. ط١. تونس: دار الغرب الإسلامي.

١١٠. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد. (١٤٠٤هـ). *العقد الفريد*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

١١١. ابن عبدالرؤوف، (١٩٥٥م). *رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب*. تحقيق: ليفي بروفنسال. (د.ط). القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

١١٢. ابن عبدون، التجيبي. (١٩٥٥م). *رسالة في الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة والمحتسب*. تحقيق: ليفي بروفنسال. (د.ط). القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

١١٣. العذري، أحمد بن عمر. (١٩٦٥م). *نصوص عن الأندلس: من كتاب ترصيع الأخبار*

وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك. (د.ط).مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية .

١١٤. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (١٩٩٥ م). *تاريخ دمشق*. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. (د.ط). (د.م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١١٥. العسكري، الحسن بن عبد الله. (١٤١٢هـ). معجم *الفروق اللغوية*. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات. ط١. (د.م). مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

١١٦. العقيقي، نجيب. (١٩٦٤م). *المستشرقون*. ط٣. مصر: دار المعارف.

١١٧. العقيلي، فوزية عبدالله. (١٤٢١هـ). *الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية*. رسالة ماجستير. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.

١١٨. العكش، إبراهيم علي. (١٩٨٦م). التربية والتعليم في الأندلس. (د.ط). عمان: دار عمار للنشر.

١١٩. علوان، عبد الله. (١٩٩٢م). *تربية الأولاد في الإسلام*. ط٢١. (د.م). دار السلام للطباعة والنشر.

١٢٠. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله. (١٤٢٣ هـ). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. ط١. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

١٢١. عنان، محمد عبد الله. (١٩٩٧م). *دولة الإسلام في الأندلس*. ط٤. القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٢٢. العنزي، سعد بن ماشي. (٢٠١٢م). *التجليات الحضارية في الشعر الأندلسي*. رسالة ماجستير. الأردن: الجامعة الاردنية.

١٢٣. عوض الله، رحاب. (د.ت). *دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي في الأندلس ما بين(١٣٨-٤٨٤هـ)*. رسالة ماجستير. سوريا: جامعة دمشق.

١٢٤. العوفي، سلمي سلمان. (١٤٢١هـ). *الحسبة في الأندلس(٩٢-٨٩٧هـ)*. رسالة ماجستير. المدينة المنورة. جامعة الإمام محمد بن سعود.

١٢٥. عياض، القاضي عياض بن موسى. (د.ت). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك*. ط١. تحقيق: عبد القادر الصحراوي. المغرب: مطبعة فضالة.

١٢٦. عيسى، محمد عبد الحميد. (١٩٨٢). *تاريخ التعليم في الأندلس*. ط٢. (د.م). دار الفكر العربي.

١٢٧. الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري. (١٩٨٧م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.

١٢٨. فايد، عبد الحميد. (١٩٨٣م). *المرأة وأثرها في الحياة العربية*. (د.ط). لبنان: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢٩.ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف. (١٩٨٨م). *تاريخ علماء الأندلس*. ط٢.القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٣٠.فكري، أحمد. (١٩٨٣). *قرطبة في العصر الإسلامي*. (د.ط). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

١٣١.القابسي، علي بن محمد بن خلف. (١٩٨٦م). *الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين*. تحقيق: أحمد خالد. ط١.تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

١٣٢.القحطاني، علي أحمد. (١٩٨١م). *الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية*. رسالة ماجستير. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.

١٣٣.القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (١٩٦٤م). *تفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية.

١٣٤.ابن قزمان. (٢٠١٣م). *إصابة الأغراض في ذكر الأعراض أو ديوان ابن قزمان*. تحقيق: فيديريكو كورنبتي. ط١. (د.م): دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

١٣٥.ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر. (د.ت). *تاريخ افتتاح الأندلس*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط١. القاهرة: دار الكتاب الإسلامية المصرية ودار الكتاب اللبناني.

١٣٦.ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (٢٠٠٧م). *تهذيب السنن*. تحقيق: إسماعيل بن غازي. ط١. مكتبة المعارف.

١٣٧.الكتاني، محمد بن الحسن. (١٩٨١م). *كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس*. تحقيق: إحسان عباس. ط٢. بيروت: دار الشروق.

١٣٨.الكحلوت، يوسف شحدة. (٢٠١٠م). *الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف*. رسالة ماجستير. غزة. الجامعة الإسلامية بغزة.

١٣٩.لعناني، مريامة. (د.ت). *الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين*. رسالة ماجستير. الجزائر. جامعة منتوري قسنطينة.

١٤٠.ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). (د.م): دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٤١.محي الجين، صفي الجين. (٢٠١٦م). *الحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد الدولة الأموية*. رسالة ماجستير. الجزائر. جامعة وهران.

١٤٢.المراكشي، عبد الواحد بن علي. (٢٠٠٦م). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*. تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري. ط١. بيروت: المكتبة العصرية.

١٤٣.مسلم، بن الحجاج. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٤٤.مصطفى، ابراهيم وآخرون. (د.ت). *المحيط في اللغة*. (د.ط). القاهرة: مجمع اللغة العربية دار الدعوة.

١٤٥.أبو مصطفى، كمال السيد. (١٩٩٧م). *بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي*. (د.ط). الإسكندرية: مركز إسكندرية للكتاب.

١٤٦.أبو مصطفى، كمال. (١٩٩٧م). *جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي*. (د.ط). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

١٤٧.ابن المعتز، عبد الله بن محمد (د.ت) . *طبقات الشعراء*. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. ط٣. القاهرة : دار المعارف .

١٤٨.المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد. (١٩٣٩م). *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*. تحقيق: مصطفى السقا وأخرون. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٤٩.المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد. (١٩٩٧م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: دار صادر.

١٥٠.ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (١٤١٤هـ). *لسان العرب*. ط٣. بيروت: دار صادر.

١٥١.مؤلف مجهول. (١٩٨٣م). *ذكر بلاد الأندلس*. تحقيق: لويس مولينا. (د.ط). مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.

١٥٢.مؤلف مجهول. (١٩٨٩م). *أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط٢. القاهرة: دار الكتاب المصري.

١٥٣.مؤنس، حسين. (٢٠٠٠م). *معالم تاريخ المغرب والأندلس*. ط٥. القاهرة: دار الرشد.

١٥٤.الناصري، محمد المكي. (١٩٨٥م). *التيسير في أحاديث التفسير*. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١٥٥.النباهي، علي بن عبد الله بن محمد. (١٩٨٣م). *تاريخ قضاة الأندلس*. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. ط٥. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

١٥٦.النبراوي، نجلاء.(د.ت). *جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطفل بالأندلس*. (د.ط). (د.م).

١٥٧.هونكة، زيغرد. (١٩٩٣م). *شمس العرب تسطع على الغرب*. ترجمة: فاروق بيضون

وكامل الدسوقي. ط٨. بيروت: دار الجيل.

١٥٨. هيكل، أحمد. (١٩٩٥م). *الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة*. (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

١٥٩. الونشريسي، أحمد بن يحيى. (١٩٨١م). *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب*. تحقيق: محمد حجي. (د.ط). الرباط: دار المغرب الإسلامي.